

الدكتور محمد علي داهش

محمد بن عبد الكريم الخطابي

صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار

صفحات من الجهاد والكفاح المغربي

ضد الاستعمار

وزارة الثقافة

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد - ٢٠٠٢



دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية)

تعنون جميع المراسلات الى

رئيس مجلس الادارة: عادل ابراهيم

العنوان:

العراق ــ بغداد ــ اعظمية

ص. ب. ٤٠٣٢ ــ فاكس ٤٤٤٨٧٦٠ ــ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

البريد الالكتروني **dar @uruklink. net**

الموقع على شبكة الانترنيت **www. uruklink. . net/iraqinfo/culture. htm**

صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار

محمد بن عبد الكريم الخطابي

الاستاذ الدكتور
محمد علـــــي داهــش

الطبعة الاولى ــ بغداد ــ ٢٠٠٢

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٨٣٠) لسنة ٢٠٠٢

بســم الله الرحمن الرحيم

"إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرحٌ فَقَدْ مَسَّ القَومَ قَرحٌ مثلُهُ وتلكَ الأيامُ نداولُها بَينَ الناسِ وَلَيَعْلَمَ اللهُ الذين آمنوا يَتَّخِذَ مِنكُمْ شَهداءَ واللهُ لا يُحِبُّ الظّالِمينَ"

صدق الله العظيم

سورة آل عمران

الآية ١٤٠

المقدمـــــة

بقي المغرب، طوال أربعة قرون فـــي منـــأى عـــن الســـيطرة الأوربيـــة والعثمانية المباشرة، وظل يقاوم محاولات الهيمنة والتســـلط شـــعبيا ورســـميا، بالجهود العسكرية أو السياسية حتى مطلع القرن العشرين، حين تمكنـــت فرنســـا وأسبانيا من احتلاله عام ١٩١٢.

جاء التغلغل الاستعماري، ثم اعلان الحماية الثنائية الفرنســـية والاســـبانية على البلاد، وفي ظل ضعف وخضوع "المخـــزن المغربـــي"(*) للمحتليـــن، ليؤكـــد تواصل الفعل الشعبي المقاوم للتغلغل والاحتلال الأجنبي، فظهرت حركات مقاومـــة مسلحة في عموم المغرب.

وفي الشمال المغربي (اقليم الريف وجبالة) الذي خضع للحماية ــ الاحتـــلال ــ الاسبانية منذ عام ١٩١٢ ظهرت حركة مقاومة شعبية في اقليم جبالة، بقيـــادة الشريف احمد الريسوني استمرت حتى عام ١٩٢٥، وتداخلت معها ثـــورة اقليـــم الريف منذ عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٢٦ بقيادة الأمير محمد بـــن عبـــد الكريـــم الخطابي.

ان ثورة الريف المغربية (١٩١٩ ــ ١٩٢٦) لم تقم بمعزل عـــن الظـــروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت في المغرب آنذاك. ولم تمثـــل رد

(*) المخزن يعني الحكومة.

فعل عفوي وقبلي ضد الحضور الاستعماري وهيمنته على مختلف مرافق البــلاد، بل كانت حركة واعية ومنظمة. واعية لطبيعة الظروف التي عاش فيها المغــــرب منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين والتــــي اسـلمته الــى الخضوع للسيطرة الأجنبية. ومنظمة، لأنها بدأت وفق أسس فكريـــــة وسياســـية مهدت لانطلاق الفعل العسكري المقاوم لتحقيق الأهداف الوطنية منذ عــام ١٩٢١ وحتى عام ١٩٢٦.

تميزت ثورة الريف المغربية في فكرها وأهدافها وأسلوب عملها العســـــكري والسياسي بأنها ثورة وطنية هدفت الى تحرير المغــرب بأجمعـــه مـــن الحمايـــة الثنائية واعادة الوحدة الوطنية والقوة للبلاد وفـــي ظــل المؤسســـة السياســـية الحاكمة، ولكن المؤطرة بنظام دستوري. وقد كان ذلك مطلبا شعبيا عرفه المغـرب قبيل اعلان الحماية. وجاء الاعلان عن قيام نظام سياسي جديـــد فـــي المنـــاطق المحررة من الشمال المغربي والذي دعي باسم "جمهورية الريف" ليؤكـــد علـــى طموح المغاربة لتحقيق هدف الديمقراطية والعمل بالدستور ضمن أطار الشــرعية السياسية والمبادىء الاسلامية، فلم يكن مصطلح "جمهورية" في فكر ثورة الريـف وسلوكها هو اقامة نظام سياسي جديد في المغرب، وانما هو تعبير عـــن ســـلطة الشعب، وجل الطروحات الفكرية والسياسية والممارسات العملية لقـــائد الثــورة الريفية الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي كانت تؤكد أهدافه من ثورته بـــالعمل على تحقيق الحرية والاستقلال والوحدة الوطنية في ظل السلطنة المغربية، لكـــن السلطنة القوية المتحررة والمؤطرة بنظام دستوري ومستلهم المبادىء الاســلامية في أصول الحكم.

ان طموحات ثورة الريف المغربية لم تقف عند حـــدود الأهـداف الوطنيـــة وحسب، وانما سعت الى تحقيق حرية المغرب العربي من الاســـتعمار الفرنســـي ومقاومة الاستعمار في كل مكان من أرض الوطن العربي.

وتميزت الثورة الريفية الى جانب ذلك، بأنها ثورة واعية لأهدافها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية خلال التحرر وبعده وتحقيق الوحدة الوطنية، وذلك بـــالعمل على بناء مجتمع مغربي قائم على أسس عصرية ترتقي بالبلاد وتستطيع مســـايرة العصر، وبدى ذلك واضحا من خلال الجهود الحثيثة والصادقة لحكومة الريف فـــي تنظيم المناطق المحررة من الشمال المغربي على الأصعدة الادارية والاقتصاديـــة والاجتماعية والثقافية وحتى في طروحاتها في مجال السياسة الخارجية.

ان ثورة الريف المغربية، تجربة غنية في معانيها، تركت آثارها ليس علـــى الصعيد المغربي وحسب، وانما على الصعيد العربي أيضا، وكـــان لـــها صداهـــا وتأثيرها في مسيرة العديد من الثورات العالمية كـــالثورة الفيتناميـــة والصينيـــة باعتراف قادتها.

الفصل الاول

الاوضاع العامة للمغرب منذ القرن التاسع عشر حتى بدايات القرن العشرين

الاوضاع الاقتصادية:

يحتل المغرب موقعا ستراتيجيا من خلال مواجهتـــه لكــل مـــن البحــر المتوسط والمحيط الأطلسي، فهو يقع في أقصى الجزء الغربــي مــن الوطــن العربي. يحده من الشرق الجزائر ومن الشمال البحر المتوسط ومضيـــق جبــل طارق، ومن الغرب المحيط الأطلسي، ومن الجنوب الصحـــراء الكــبرى. أمــا مساحته فتبلغ قرابة (٤٤٧) الف كم٢، ويمتلك ساحلين أحدهمـــا علـــى البحــر المتوسط، طوله ٤٧٥كم والآخر على المحيط الأطلسي وطوله ١٦٦٠كم، وفـــي الساحل المطل على البحر المتوسط، هناك عدة جزر منـــها بـــادس والجعفريـــة والنكور (الحسيمه)، وموانىء هي مليلية وسبته وطنجة، أما الســـاحل المطــل على المحيط الأطلسي ففيه أصيلا والعرائش والقصـــر الكبــير، ومــن موانئـــه المهمة الدار البيضاء.

يواجه الساحل الشمالي للمغرب، وخاصة في مثلث سبتة، طنجة، نطـــوان، مضيق جبل طارق الذي يمر خلاله أحد ابرز الخطوط الملاحية العالمية، توجد فـــي المغرب سلسلتان جبليتان هما سلسلة جبال الريف وسلسلة جبال الأطلس، وتمتــاز الأولى بوعورة مسالكها وتعقد تضاريسها، ويفصل بين السلســـلتين ممـــر نــــازة الستراتيجي وعرضه يتراوح بين (٢ ـــ ٣) كم، ويكاد يكون الممر الوحيد الـــذي يصل المغرب بالجزائر. وفي المغرب انهار عديدة منـــها نـــهر الملويـــة وطولـــه

٤٨٠كم، ويمر في المنطقة الشمالية، ولجريان هذا النهر في المنطقة أهمية اقتصادية كبيرة من حيث ازدهار زراعة الزيتون والكروم والتين والحبوب فيها، أما نهر سبو وطوله ٨٠٠كم، فهو أبرز أنهار المنطقة الوسطى.

يتألف القسم الشمالي للمغرب من اقليمين هما الريف وجبالة، والريف هو القسم الشرقي من المنطقة، وهو عبارة عن حوض منبسط مابين غمارة وهضلب نهر الملوية شرقا وممتدا على البحر المتوسط شمالا ومشرفا على مدينة تازة وسهول مسون جنوبا، وتمتد فيه الجبال من الشرق الى الغرب، ويصل ارتفاع بعض قممها الى (٣٠٠٠) متر، ولهذه الجبال انحدارات مباشرة على البحر المتوسط الذي أدى الى قلة موانيه، ولكنه مع هذا احتفظ بموقعه الستراتيجي، وتنتشر في الجنوب الشرقي للريف جبال عديدة منها، كبدانة وبني بو يحيى والكركو ومزكوب، هذا فضلا عن هضبتي (التدني) و (النتدري) اللتان تضمان الآبار والكهوف الطبيعية، وثمة سهول فسيحة في هذه المنطقة منها السهل الذي يربط بين سهل المسون وسهل الكرط بسهول بوصواب وعين الأحمر، وتتكون أراضي الريف الأوسط من مجموعة جبال بقيوة مفصولة عن بقية السلسلة الجبلية الكبيرة متصلة بسهول بني ورياغل التي تتسع شرقا في اراضي اجدير ويمتد في منبسطها نهري غيس والنكور، وأعلى جبل في هذه المنطقة ازور اقشار وكذلك جبل حمام[1].

أما منطقة جبالة، فتقع الى الغرب من الريف والى الجنوب من طنجة، وتمتاز بقلة تضاريسها المعقدة وسهولة المواصلات فيها الى حد ما، فتمتد بين شواطيء غمارة وضواحي نطوان وشمالي شفشاون الى شاطيء المحيط الأطلسي بين العرائش والقصر الكبير.

ومهما يكن من أمر، فان منطقة شمالي المغرب بقسـميه الريـف وجبالـه، تمتاز بكثرة أودينها ومرتفعاتها ووعورة مسالكها وافتقارها الى الطـرق البريـة المعبدة، وكان لهذه المناعة الطبيعية أثر كبير في بـروز ظـاهرتين. أولاهمـا، انعزال المنطقة وفقرها من خلال قلة الأراضي الزراعية الخصبة فيها، وكان لذلـك أثره في بروز هجرة موسمية نحو الجزائر عن طريق الممرات الجبلية للعمل فـي مزارع المستوطنين الفرنسيين، أو الى الأجزاء الوسطى والجنوبية من المغـرب للاشتغال فيها وابتياع حاجاتهم منها، كما تميزت بتدهور أوضاعها الصحية. أمـا الظاهرة الثانية، فتتمثل في مقاومة الغزاة عبر التاريخ، وقد كان لذلك أثـر كبـير في ظهور طراز صعب من المقاتلين الشجعان المتمرسين على الاسـتخدام الجيـد للسلاح والقادرين على تحمل صعوبات الحياة في هذه المنطقة(٢).

تمثل الزراعة في المغرب عصب الحياة الاقتصادية، وتبلغ مساحة الأراضـي الزراعية فيها قرابة (١٥) مليون هكتار (والهكتار يسـاوي عشـرة آلاف مـتر مربع)، ولم يكن مستغلا منها حتى عام ١٩١٢ الا (٥و١) مليون هكتار، أي مـا يعادل (١٠%) من هذه المساحة الشاسعة، ويرجع ذلك الى طبيعة علاقات الانتـاج بين ممثلي السلطان والفلاحين والقائمة على نظام السخرة مـن جهـة، وبدائيـة الوسائل الانتاجية، وجهل الفلاحين بأساليب الانتاج الحديثة، وتذبذب الأمطار فـي بعض السنين من جهة أخرى.

تمثل زراعة الحنطة والشعير والذرة في منطقة شمالي المغرب، وفـي وادي الورغة خاصة، المورد الاقتصادي الرئيسي، هذا فضلا عن انتشار زراعة الفواكه والخضراوات، ويعتمد السكان في حياتهم المعيشية كذلك في منـاطق السـواحل على صيد الأسماك(٣) .

اما التجارة المغربية فقد نشطت منذ أواخر القرن الثامن عشر، ولعل ذلك يرجع الى ازدهار عمليات التبادل التجارية مع بعض الدول الأوربية، فقد أدى هذا النشاط الى تغلغل المصالح الأجنبية عن طريق الامتيازات ونظام الحماية الممنوح لهم بموجب هذه العلاقات. وقد لعبت تلك الامتيازات الأجنبية وطبيعتها، دورها في تخريب الاقتصاد المغربي وتهديد استقلال البلاد(٤) .

لقد نشطت حركة التجارة مع أوربا في الموانيء المغربية، فعن طريقها يتم استيراد السكر والشاي والمنسوجات القطنية والحريرية والصوفية وبعض المصنوعات المعدنية والأسلحة والذخائر، أما صادراتها فاقتصرت على الأصواف والجلود والعسل والشمع والبلح واللوز والجوز والصمغ، وكذلك الحبوب التي لم يكن يسمح بتصديرها الا في المواسم الزراعية الجيدة. ان عمليات التبادل التجاري في منطقة شمال المغرب اقتصرت على جزيرة النكور ومنطقة الورغة، وكانت حزيرة النكور التي خضعت في وقت مبكر للاحتلال الاسباني، تمثل موردا رئيسا للبضائع المستوردة، ومنها السكر والدقيق والملابس وماشاكل ذلك، وكان الحاكم العسكري الاسباني في هذه الجزيرة يسهم في تسهيل مهمة التبادل التجاري ضمن خطة استعمارية استهدفت السيطرة على الريف سلميا، الا أن معظم الأهالي لم يكونوا مقتنعين كثيرا باستيراد تلك المواد وبيعها. أما منطقة الورغة، فقد كانت المجال الرئيس للاتصال التجاري بين شمال المغرب وجنوبها.

وقد تأثرت الحركة التجارية بأوضاع الزراعة وانتظام سقوط الأمطار، وكانت المواشي من أبرز الصادرات، وبعد اعلان الحماية الثنائية عام ١٩١٢، سيطر الاسبان والفرنسيين على تجارة المغرب سيطرة تامة(٥) .

وبصدد الصناعة، فقد ظلـت محليـة تقليديـة بسـبب الاحتـلال الاسـباني والبرتغالي للموانىء المغربية التي كانت من المراكز الصناعية النشيطة آنـــذاك. ونتيجة للفوضى الداخلية وزحف الحياة القبلية الى داخل المدن نفسها، لم يسـتطع الصمود في وجه تدفق المصنوعات الأجنبية منذ القرن التاسع عشر، وظلت هـذه الصناعة مقتصرة على حياكة السجاد والأحزمة والخيام وبعض الأقمشة الصوفيـة الخاصة بالاستهلال المحلي. لقد بقي المغرب بلـدا زراعيـا، ومصـدرا لبعـض المعادن، وخاصة الحديد الذي يكثر في اقليم الريف، وبالأخص في أراضي قبيلـة بني ورياغل ويعد منجم الناظور قرب جبل أكسان أكـبر منـاجم الريـف لانتـاج الحديد(٦) .

الاوضاع الاجتماعية والثقافية:

بلغ عدد سكان المغرب حتى مطلع عام ١٩١٢ قرابة (٦) ملايين نسـمة، وكانوا يتوزعون في ثلاث مناطق. وهي، طنجة وضواحيها (٦٠) الـف نسـمة، منطقة الريف وجبالة (٥٥٠) ألف نسمة، والتي أصبحت تدعى فيما بعد (منطقـة النفوذ الاسباني) والمغرب الجنوبي (٥,٥٠٠) الف نسمة، ودعي (منطقة النفـوذ الفرنسي)(٧).

غلب التكوين الاجتماعي القبلي على الحياة الاجتماعية في المغرب، وخاصـة في المناطق البعيدة عن المدن الساحلية، ويعتمد هذا التكوين في حياته المعيشـية على الاقتصاد الزراعي، وقد توزعت القبائل المغربية في الشـمال فـي منـاطق الريف وجباله والورغة. ففي منطقة الريف سكنت قبائل متعـددة، منـها: بنـي

بزناسن، قلعية، كبدانة، أولاد ستوت، بني توزين، كزنايه، زناتة، بنو ورياغل، بقيوه، بنو يطفت، بني بويفرح، بنو اكميل، مسطاسة، متيوة الريف، ترجيست، بنو غمرت، بنو فودوى، زرقات، تعزويت، بنو أحمد، كتامة، تمسمان، وأشهرها قبائل غمارة، أما قبائل جباله، فهي بني سعيد، ادلو، بني حسان، بني ليث، بني حرمز، بني بدر، الأخماس العليا، الأخماس السفلى، بني احمد، حوز تطوان، أنجرة، بني عروس، ادراس، بني مصور، فحص طنجة، الغربية، البدور، الخلوط، سماتة، بني كرفط، آل سويف، بني يسف بني زكار، إغزاوة، وضمت منطقة الورغة قبائل بني عمارت، مرنيسة، بني ونجل، فناسة،، بني وليد، بو عادل، تزوحنا، وأشهرها بني زروال[٨] .

لقد كان من الطبيعي في ظل ذلك التكوين الاجتماعي أن تقوم القبيلة بدور التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي. وقد اسهمت صعوبة المواصلات وقلتها وبدائيتها في بقاء تلك القبائل بعيدة عن متناول السلطة المركزية، وفي معظم الأحيان كانت العلاقة بين القبائل سلبية، اذ سادت النزاعات القبلية، وكان السلاح عادة هو الحكم الفيصل في فض النزاعات التي قد تستمر مدة طويلة.

ان حل النزاعات القبلية كان يتم عن طريق ألـ (أمغازن) أي رؤساء القبائل، حيث يعقد هؤلاء مؤتمرا يدعى (أكراو) للحد من العداوات عن طريق فرض الغرامات، كما قام علماء جامع القرويين بدور مهم في تحقيق الوئام بين القبائل[٩] ، وكثيرا ما تناست القبائل منازعاتها حينما يتهددها خطر خارجي.

شهد المغرب انتشار العديد من الزوايا والطرق الصوفية منها الدرقاوية والكتانية والتيجانية وغيرها، ومع أن هذه الزوايا والطرق أسهمت في توجيه الناس ورفع مستواهم الثقافي، الا أن بعض المشايخ نصبوا أنفسهم واسطة بين

الشعب والحكومة. وقد استفادت منهم الحكومة في حفظ الأمن وجباية الضرائب وتعبئة الجيوش، وكانوا يدعون أنهم "يشعون عليها من بركة نفوذهم مايسهل عليهم تحقيق أغراضها". وحين ضعفت السلطة الوطنية وحلت محلها السلطة الاجنبية بعد عام ١٩١٢، لم ير بعض المشايخ غضاضة في أن يكونوا عونا للمحتل مادام المحتل يضمن لهم مصالحهم[١٠] .

لقد ظل التعليم الاسلامي التقليدي سائدا في المغرب حتى بداية القرن العشرين، وكان يتمثل بصفة عامة في الكتاتيب والمدارس القرآنية التي ينفق عليها السلطان أو بعض الوجهاء. كما قام جامع القرويين الذي يعد المركز الاول للتعليم العالي في البلاد، بدور مهم في التعليم الديني والحفاظ على اللغة العربية وعلومها.

كانت حاجة المغرب الملحة تيسير سبل التعليم الثانوي، وحاجتها في مرحلة ماقبل الحماية ١٩١٢ الى التعليم الحديث بالمعنى المعروف، وبالرغم من اقتصار التعليم التقليدي على الذكور، الا أن ذلك لا يعني انعدام التعليم للاناث، ففي الفترة مابين ١٩٠٢ ــ ١٩٠٣، وجدت في مدينة فاس وحدها خمسة عشر مدرسة للبنات تشرف عليها بعض النساء المتعلمات، وكان هناك عدد من المدارس المهتمة بتعليم الخياطة والتطريز.

ولم يكن التعليم في المغرب الزاميا حتى مطلع القرن العشرين، ففي عهد السلطان عبد الحفيظ (١٩٠٨ ــ ١٩١٢) صدر قانون التعليم الالزامي واصلاح المدارس، ويبدو أن تلك المحاولة كانت بداية لادخال المدارس الحديثة في المغرب من خلال هذا الاجراء، الا أن الأحداث السياسية، كما سنرى، حالت دون

تطبيق هذا القانون الذي ظل حبرا على ورق، لذلك بقي التعليم على طابعه حتى عهد الحماية الفرنسية والاسبانية عام ١٩١٢[١١].

تميز الريفيون في شمال المغرب بعنايتهم الكبيرة للعلم، ففي هذه المنطقة قام مصلحو الزوايا المنتشرة وأصحاب الطرق الصوفية وعلماء جامعة القرويين بدور كبير في تنوير السكان وفي ارساء اسس التعليم الديني فيها، فبفضل جهودهم ((نشأت في مختلف قبائل الريف معاهد علمية، وهي تعد فروعا كاملة عن جامعة القرويين، وقد ظهرت فوائدها الجمة، فتسابقت الجماعات لفتح مساجدها للطلبة، ورتبت الفقهاء المقتدرين في تلك المساجد باجازة مالية من حبوب الغذاء... وذلك لأجل اعداد الطلبة للتوجه الى القرويين لاستكمال معارفهم، فهي في الواقع مرحلة ابتدائية... وقد أدى هذا العمل خدمة جلى لسكان الشمال... ان هذه الجهة قد انفردت بهذا العمل عن بوادى المغرب الا ماكان في بلد سوس... وأغلب ما كان الطلبة يتبادلون الرحلات بين الريف وغمارة وجبالة... وقد انتشرت هذه المعاهد انتشارا متزايدا في القرى...)). ان انتشار هذا الضرب من التعليم الديني، قد أسهم في توجيه الناس نحو الالتفاف حول العرش، حيث كان "من مبادىء التعليم الاساسية وكذلك مبادىء التصوف، ان الفتق على الملك يعتبر مروقا من الدين"، الا أنه زاد من الوعي والتمسك بالوحدة الوطنية[١٢].

الأوضاع والتطورات السياسية:

ظهرت الاسرة الحاكمة في المغرب على المسرح السياسي منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر، وبدأت بتوطيد نفوذها السياسي وتوسيع سلطانها

حتى تمكنت من القبض على زمام الأمور في البلاد، وينتسب أفراد هـذه الأسـرة الى الخليفة الرابع علي بن ابي طالب (رضي الله عنه)، وذكر بأنهم قدمـوا مـن ينبع في الحجاز واستقروا في تافيلالت في الجنوب الشرقي من المغرب منذ القرن الرابع عشر، ومهما يكن من أمر فقد اكتسبوا من خلال هذا النسب الشريف مكانة دينية بين السكان ومنذ القرن السابع عشر بدأ نفوذهم يتسع حتى جنوب المغـرب ووادي السوس، وقد استفادوا من ظروف ضعف الدولة السعدية في بداية القـرن السابع عشر أثر وفاة احمد المنصور وحاجة الناس الى قيادة جديدة تعـبر عـن رغباتهم في طرد الأجانب من بلادهم، لذلك بايع الأهالي السيد محمـد الشـريف أميراً عليهم في مدينة سجلماسة عام ١٦٣١، وكان ذلك بداية لحكم أسرة جديـدة في المغرب.

في عهد مولاي الرشيد (١٦٦٥ ــ ١٦٧٢) نظمت الادارة الحكومية، وتعرف في المغرب باسم المخزن (أي الحكومة)، كما جمع في يـده السـلطتين الدينيـة والسياسية وبات يشرف على ادارة البلاط السلطاني موظفون يرأسـهم الحـاجب وصاحب المشورة، أما شؤون الحكومة فتشرف عليها هيئة وزارية تحت رئاسـة الصدر الأعظم وهو في الوقت نفسه وزير الداخلية، وهناك وزير البحر (الشـؤون الخارجية) والعلاف (وزير الحربية) وأمين الأمناء (وزيـر الماليـة) والشـكايات القضاء[١٤] .

تألفت البلاد من اقاليم ومدن ونواح صغيرة، أما الأقاليم أو النواحي الكبـيرة فيديرها موظف يعرف باسم الخليفة، ويساعده في ذلك وزيـر ودائـرة خاصـة للاشراف على اعمال القواد والعمال وغيرهم مـن الموظفيـن، ويـرأس المـدن باشوات مهمتهم حفظ الأمن والاشراف على جباية الامـوال ونظـارة الأوقـاف

والتجنيد، كما يتولون بعض اختصاصات القضاء، والى جانبهم مجالس استشارية تتألف من المنتخبين، وتنقسم المدن الى حومات (نواحي) يرأس كل منها مقدم (شيخ) يعينه الباشا عاملاً على الناحية.

أما المدن الرئيسة في منطقة شمال المغرب فتخضع مباشرة لسيادة السلطان ويحكمها الباشوات المعينين من قبله، وظلت المناطق القبلية تحكم من قبل رؤسائها الذين يقرهم السلطان نيابة عنه في حكم تلك المناطق[١٥].

وتكون هذه السلطة المحلية مسؤولة عن الادارة العامة لمنطقتها وحفظ الأمن وجباية الضرائب وتجهيز الجند وقت الحاجة، وبهذا ضمن السلطان سلطة بشكل غير مباشر على هذه القبائل التي ظلت تابعة للدولة وتعترف بالسلطة الدينية للسلطان. ويؤكد البعض من الكتاب أن هذه البلاد لم تنفصل عن مملكة السلطان ولم تخرج عن طاعته قانونياً وواقعياً، على عكس مايراه البعض الآخر من الكتاب الذين يقولون بأن المناطق البعيدة عن الحكم المباشر والمعروفة ببلاد (السيبة) لم تكن تعترف بالسلطان والذي اقتصرت سلطته على المناطق الخاضعة لحكمه المباشر والمعروفة بالمخزن[١٦] .

ارتفعت أهمية المغرب في عهد السلطان مولاي اسماعيل (١٦٧٢ ـ ١٧٢٧) من خلال التنظيم الاداري الذي أقامه، والجيش القوي الذي أنشأه، وتبوأ بذلك مكانة دولية خلال مدة حكمه الطويلة، ولكن بعد وفاته عام ١٧٢٧ عادت البلاد الى حالة الفوضى والتنازع على السلطة، حتى عام ١٧٥٧ حين تولى السلطان محمد بن عبد الله بن اسماعيل (١٧٥٧ ـ ١٧٩٢) الحكم وفرض سلطانه على البلاد وحرر بعض الثغور ومنها مزغان من أيدي البرتغاليين.

وخلال عهد السلطان محمد بن عبد الله بن اسماعيل، سادت علاقات ايجابيـــة مع الدولة العثمانية، اذ تبودلت المراسلات والهدايا بين الطرفين[١٧]، فيمـــا ازدادت بعد وفاة السلطان محمد بن عبد الله الأطماع الأوربية في البـــلاد نتيجـــة لحالـــة الاضطراب الداخلية حتى جاء السلطان عبد الرحمن بن هشام (١٨٢٢ ــ ١٨٥٩) الذي أعاد الأمن والأستقرار وحاول الوقوف أمام الأطماع الفرنسية والاسبانية، اذ احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠ وأرادت أن توسع نفوذها باتجاه المغرب بحجـة مطاردة الأمير عبد القادر الجزائري، فاضطر السلطان المغربي الى محاربتها عـام ١٨٤٤ وكذلك الى محاربة اسبانيا التي حاولت الاعتداء علـــى أهـــالي المنـــاطق المجاورة لمدينة سبتة لتوسيع دائرة نفوذها عام ١٨٥٩، بيد أن المغرب هزم فـي هاتين الحربين أمام مواجهة تفوق الجيـــوش الفرنسـية والاسـبانية المنظمـــة والمزودة بأحدث الاسلحة، الا أن فرنسا وأسبانيا لم تستطيعا أن تستثمرا هزيمـــة المغرب لتوسيع دائرتي نفوذها، وذلك يرجع الى جهود بريطانيا في هذه المرحلـــة وتتلخص سياستها في عدم تغيير موازين القوى قرب منطقة نفوذها فـــي جبـل طارق الذي كانت تحتله منذ عام ١٧٠٣.

بقي النفوذ الأوربي في السواحل حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشـر حين بدأ نفوذهم يتسع الى داخلية البلاد وأصبح بامكان التجار الأوربيين من خلال الامتيازات الممنوحة لهم، التغلغل الى قلب البلاد عن طريـــق بعـض السماســـرة المغاربة، مستفيدين من حق الحماية الذي شملهم من خلال الامتيـــازات ســـالفة الذكر.

وحاول السلطان محمد بن عبد الرحمن (١٨٥٩ ــ ١٨٧٣) العمل لاصـــلاح أوضاع البلاد، وتركزت جهوده في تقوية الجيش والاقتصاد للوقوف بوجه القـوى

الطامعة، لكن محاولاته هذه لم تستطع أن تنقذ البلاد من ضعفها لتقف بمواجهة الأطماع الاوربية. فقد عاشت البلاد خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر حالة من الضعف العام، اذ انتشرت المجاعات في البلاد وتدهورت قيمة النقد، وغلت الأسعار، وانتشرت الأمراض التي أودت بحياة المئات من السكان، كما قامت التمردات القبلية المسلحة ضد الحكومة لاسباب مختلفة، فاستنزفت هذه الأوضاع خزينة الدولة وارهقتها وشغلتها عن التفكير في الاصلاحات العامة الضرورية لانقاذ البلاد، وبذلك وجد الأجانب الباب الذي ينفذون منه الى التلاعب بمقدرات البلاد[١٩].

أما خلفه الحسن الأول (١٨٧٣ ـ ١٨٩٤) فقد بذل جهوداً صادقة لصيانة وحدة البلاد وحماية سيادتها، وتقوم خطته على تدعيم نفوذ السلطة في الداخل تمهيداً لتحصين البلاد في وجه أي عدوان خارجي، ثم التدرج بعد ذلك الى تحقيق الاصلاحات الداخلية التي تتطلبها الحالة في البلاد آنذاك[٢٠].

برزت في عهد السلطان الحسن الأول ظاهرتان اساسيتان: أولاهما الاحتكاك بالغرب وما نجم عنه من مشاكل، وثانيتهما وصول أصداء حركة الجامعة الاسلامية الى المغرب[٢١]، فبصدد الظاهرة الأولى، عمل الحسن الأول على توجيه البلاد للأخذ بأساليب الحضارة الأوربية والعمل على تحديث الادارة وارسال البعثات الى أوربا وخلق اقتصاد قوي وتقوية الجيش، الا أن تأثير المحاولات الاصلاحية هذه كان محدوداً، وكما أشار ابن جلون فان "الخرق كان قد اتسع ولم يعد بالامكان السيطرة عليه"[٢٢].

عاشت البلاد خلال هذه المرحلة حالة مروعة من الفوضى الادارية، فقد كانت الوظائف تباع وتشترى بالمزايدة، واعتمد الموظفون وحتى القضاة على ما

يأخذونه من المتخاصمين (حلاوة) وليس على مرتب الدولة، وزادت الحالة ارتباكاً الامتيازات الممنوحة للأجانب الذين اساؤوا استغلالها حتى استندوا اليها في تهريب المجرمين حتى من أبناء البلاد، وفي التهرب من دفع الضرائب بمختلف انواعها، وبالاجمال التهريب من سلطة القانون، فسلط الأجانب عملاءهم لبث الفوضى داخل البلاد، وشجعوا رعاياهم المقيمين على التمادي في الاعتداء على حقوق الشعب، حتى صار وجودهم خطراً على الدولة، وبذلك تعدى الأجانب الحدود التي رسمت لهم في المعاهدات المعقودة مع المغرب[٢٣].

ازاء الأطماع الاوربية، كان سلطان المغرب الحسن الأول يرقب الأحوال ويعرف ماتدبره المؤامرات الأوربية، كما أدرك في الوقت نفسه ضعف المغرب عن مقاومة التيارات السياسية فلم يجد بد من جعل استقلال المغرب "مسألة دولية تثير المنافسة بين هذه الدول"[٢٤] .

دعت الحكومة المغربية الى عقد مؤتمر دولي للنظر في تجاوزات الدول على الامتيازات الممنوحة لهم، ومعالجة مشاكل الحماية الدبلوماسية وحق ملكية الأجانب في المغرب وتجنيس الرعايا المغاربة بجنسيات مختلفة، وتقرير حقوق المفوضيات والقنصليات الأجنبية وتنظيم صلات المغرب بدول أوربا، ووضع حد للتنافس القادم بين هذه الدول، وتنظيم شؤونها الاقتصادية وضمان استقلالها، وذلك بتدويل المسألة المغربية خوفاً من أطماع أسبانيا وفرنسا وربما انكلترا، وذلك بتحقيق توازن بين هذه الدول فلا تستأثر احداها باحتلال المغرب، وكان ذلك مبدأ واضحاً في سياسة الحسن الأول الخارجية والقائمة على تحقيق التوازن الدولي في المغرب، وهو ما كان يسميه الحسن نفسه "عدم تفضيل أجنبي على آخر في المغرب"[٢٥].

شاركت في مؤتمر مدريد اثنتا عشرة دولة، فضلاً عن المغرب[26]، واستمر المؤتمر في جلساته بضعة شهور حتى انتهى الى وضع اتفاقية من (١٨) فصلاً، وأصدر قراراته في أيار ١٨٨٠، وعالجت هذه القرارات موضوعين أساسيين، الأول يتعلق بمسألة امتيازات الأجانب الشخصية وتوسيع هذه الامتيازات حتى تشمل الوطنيين، كما عالجت القضاء القنصلي ومسألة الاعفاء من الضرائب باستثناء الرعايا المغاربة المشمولين بالحماية الأجنبية فانهم يدفعون ضريبة لا تتجاوز (٤%)، وأن تدفع هذه الضريبة عن طريق القنصليات التي يتبعونها، كما تتمتع عائلاتهم بالامتيازات نفسها، وترك المؤتمر الباب مفتوحاً للهيئات الدبلوماسية أن تبسط حمايتها على أي عدد من الرعايا المغاربة وبذلك اتسع اكثر نظام الحماية. أما الموضوع الثاني فقد نص على جواز تملك العقارات، ولم يكن هذا ممنوحاً لسوى اسبانيا وفرنسا، فقرر المؤتمر مساواة جميع الدول المشتركة فيه ومنحهم الامتياز نفسه، وهو الذي كانوا يسعون من أجله ويتذرعون بمختلف الوسائل للحصول عليه، كما منح المؤتمر كافة الدول حق المعاملة على أساس "الدولة المفضلة" وبذلك وسع هذا الامتياز الذي كان قاصراً على فرنسا وأسبانيا وانكلترا طوال المرحلة السابقة لذلك[27].

لقد فرضت معاهدة مدريد على الدولة المغربية كثيراً من الالتزامات وأجبرتها على الاعتراف للدول الأوربية بامتيازاتها، وجعلتها مكتوفة الأيدي ازاء رعاياها المحميين والذين كانوا يعملون على بث الفساء في كيان المغرب، وبذلك فتحت قرارات المؤتمر أبواب المغرب رسمياً لنفوذ الأجانب الاقتصادي والسياسي، ولكن المؤتمر سد في الوقت نفسه ابواب التجنيس بالجنسيات الأجنبية في وجه الرعايا

المغاربة وان لم يمنع من استمرار الحماية الفردية والامتيــــازات القنصليـــة بـــل اعطاها صفة رسمية.

ومما يلحظ فان الوفد المغربي برئاسة محمد بركاش وعبد الكريـــم بريشـــة، دافع بكل جهده من أجل الحد من الامتيازات الأجنبية، لكن مســـاعيه لـــم تنجـــح لاتفاق المؤتمرين على تأكيد الحماية الفردية واعطائها صبغة قانونية(٢٨).

اما الظاهرة الثانية المتعلقة بوصول أصداء حركة الجامعة الاســـلامية الـــى المغرب، فقد حاول السلطان الحسن الأول تأييدها، خاصة وقد وجد فيها وســـيلة فعالة للوقوف بوجه الأجانب، فبعد مؤتمر مدريد أرسل وفـــداً برئاســـة الوزيـــر بريشة الى استانبول ليوقع اتفاقاً ينص على تبادل التمثيـــل الدبلوماســـي، الا أن فرنسا قادت الدول الأوربية ضد هذا المشروع وابلغت الحسن الأول بعدم رضـــى "حلفاء المغرب" لما يقوم به من سياسة مع الدول العثمانية، وعلى ذلـــك اضطـــر ازاء هذا الى ايقاف مشروعه الخاص بالتقرب من الدولة العثمانية.

استطاع السلطان الحسن الأول المحافظة على استقلال المغرب طـــوال مـــدة حكمه من خلال اتباعه سياسة التوازن بين الدول وعدم السماح لاحـــدى الـــدول بالانفراد في السيطرة على المغرب وتهديد استقلالها، لكنـــه بـــدا للدبلوماســـيين الأوربين في نهاية القرن التاسع عشر أن هذا القطر لا يمكنه الاستمرار على هـذه السياسة مدة أطول، رغم محاولات الحسن الأول ابعاده عن السقوط(٢٩).

توفي السلطان الحسن الأول عام ١٨٩٤، وتولى الحكـــم مـــن بعـــده ابنـــه السلطان عبد العزيز (١٨٩٤ ــ ١٩٠٨) ولم يكن يبلغ آنذاك من العمـــر ســـوى (١٤) سنة، وبذلك اوكلت الوصاية عليه الى الوزير با احمد الذي عرف بحزمـــه وشدته، فاستطاع القبض على زمام الأمور حتى وفاته عام ١٩٠٠، وبدأت عندئـذ

مرحلة جديدة في تدهور الادارة من خلال التنافس بين مختلف الوزراء لاستغلال صغر سن السلطان عبد العزيز، كما فتح باب التغلغل الأجنبي الى المغرب بحجة الاصلاح(٣٠).

بعد سنتين من وفاة الوزير با أحمد، اضطربت أحوال البلاد بسبب التمردات الداخلية لأبي حمارة(٣١)، وكان من الموالين للفرنسيين، وكانوا يمدونه بالمال والسلاح لتسهيل تغلغلهم في المغرب بعد اكمال سيطرتهم على الجزائر وتونس، وقد توسع نفوذه حتى عام ١٩٠٩ حين استطاع من خلال التفاف بعض القبائل حوله السيطرة على الشمال الشرقي من المغرب، والحق عصيانه ضرراً كبيراً في البلاد بعد الهزائم المتكررة التي منيت بها جيوش الحكومة، وتكبيدها الأموال الطائلة وأدى ذلك الى افلاس الخزينة والاضطرار الى طلب القروض من المصارف الفرنسية والاسبانية(٣٢) ، وقد استغلت اسبانيا نفوذ ابو حمارة في تلك المرحلة فتمكنت من الحصول منه على امتياز للتنقيب عن المعادن لبعض الشركات الاسبانية(٣٣).

خلال تلك المرحلة، كان الفرنسيون والأسبان والانكليز، قد أتموا اتفاقاتهم الاستعمارية بموجب الاتفاق الودي لعام ١٩٠٤ الذي عيّن القسم الشمالي للمغرب منطقة نفوذ اسبانية والقسم الوسطي والجنوبي منطقة نفوذ فرنسية في حين اطلقت يد انكلترا للعمل في مصر.

بعد هذا الانفاق الاستعماري، بدأت فرنسا تتدخل في شؤون المغرب بحجة الدعوة الى ضرورة الاصلاح وصيانة مصالح الأوربيين والقضاء على الفوضى، وقدمت في آذار ١٩٠٥ للسلطان عبد العزيز بعض المقترحات، وطلبت منه تنفيذها على أمل الضغط عليه لتعزيز نفوذها في البلاد بشكل اكبر(٣٤) .

وفي هذه المرحلة بدأت المانيا تدخلها في المسألة المغربية حين احتجت على الاتفاق الفرنسي ـ الانكليزي وأعلنت انها لن تبلغ به، وهي لا توافق على اطلاق يد فرنسا في المغرب، لأن ذلك يبدد مصالحها التجارية والاقتصادية، وعلى هذا الأساس زار الامبراطور الالماني وليم الثاني في ٣١ آذار ـ مارس ـ ١٩٠٥ المغرب، وأعلن تأكيده على استقلاله وسيادته، وقد أمل السلطان عبد العزيز من تدخل المانيا خيراً، وقيل انها وعدت بأن نؤيده بدون قيد ولا شرط في مقاومته لفرنسا.

اقترحت المانيا على السلطان عبد العزيز أن يبادر الى ترتيب عقد مؤتمر دولي تبحث فيه اصلاحات المغرب من قبل الدول المعنية بالأمر جميعها فلا تنفرد فرنسا بذلك(٣٥) ، ومن هنا فقد رفض السلطان عبد العزيز مطالب فرنسا، وأبلغ الحكومة الفرنسية بذلك في ١ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٠٥ قائلاً: "انه ليس في طاقته قبول هذه المطالب وانه يرجو أن كل اصلاح يرام ادخاله يكون بمصادقة سائر الدول الموقعة على معاهدة مدريد عام ١٨٨٠".

وهكذا عبرت الحكومة المغربية عن ضعفها وعدم قدرتها على رد الأطماع الفرنسية لتعود ثانية الى تدويل القضية المغربية عسى أن تحافظ على استقلالها بضمانات دولية، فدعا السلطان عبد العزيز الى عقد مؤتمر دولي.

وكما هو معروف، فقد توصلت كل من فرنسا واسبانيا وانكلترا قبل انعقاد المؤتمر الى اتفاق خاص يقضي بالاخلاص والتضامن مع فرنسا خصوصاً فيما يتعلق ببوليس الموانىء ومراقبة تهريب السلاح والاشتراك في الامتيازات الاقتصادية في المغرب.

انعقد المؤتمر الدولي الثاني عام ١٩٠٦ للنظر في القضية المغربيـــة فـي مدينة الجزيرة Algeciras الاسبانية، وقد حضرت جميع الدول الموقعة على اتفاق مدريد. وحاول الالمان اضعاف نفوذ الفرنسيين فعجزوا عن ذلـك لوقـوف اكـثر الدول الى جانب فرنسا، فيما حاول الفرنسيون الحصول على تفويـض بـاطلاق يدهم على المغرب، لكن المانيا وقفت ضد ذلك انطلاقاً من مصالحها(٣٦). وقـد جاء ضمن قرارات المؤتمر ما يؤكد بشكل واضح المصالح الفرنسية والاسـبانية في المغرب ويعزز نفوذ الدولتين في السيطرة على بعض المرافق الحيوية، ومـن هذه القرارات:

١ــ انشاء قوة بوليسية فرنسية اسبانية لمراقبة الموانيء.

٢ــ انشاء مصرف مغربي تحت اشراف دولي.

٣ــ اقرار مبدأ حرية التجارة بالمساواة لجميع الدول الممثلة في المؤتمر.

٤ــ التأكيد على سيادة السلطان واستقلاله.

وهكذا انفردت في هذا المؤتمر كل من فرنسا واسبانيا بالعمل في المغـرب، ورغم الاعتراف باستقلال المغرب رسمياً، الا ان الفرنسيين عدّو نتائجـه اشـارة واضحة باحتلاله واقتسامه.

استغلت فرنسا وأسبانيا قرارات مؤتمر الجزيرة لتنظيم الشـرطة المغربيـة، وأخذتا تعملان للسيطرة على مقدرات المغرب وتنفيذ نصوص اتفاقاتهما السـرية، فهجمت قوة فرنسية على وجدة والدار البيضاء والشاوية، وقد سـاندتها القـوات الاسبانية من جبهتي مليلية وسبتة عام ١٩٠٧، وحدث كل ذلـك بحجـة حمايـة ارواح الفرنسيين المقيمين في هذه الأراضي، وفي الوقت الذي تمركز فيه هـؤلاء ببعض أجزاء البلاد، كانت الميزانية المرهقة تحت المراقبـة الأجنبيـة، وكـانت

الادارة العامةتعاني من عدم القدرة والتنظيم، وكان عصيان ابو حمارة قد تفاقم اكثر من قبل(٣٧) .

عجلت تلك الظروف في خلق حالة من الاستياء العام، فأدان الشعب سلطانه وأعلن خلعه عام ١٩٠٨ والبيعة لأخيه عبد الحفيظ في ٥ كانون الثاني ١٩٠٨ سلطاناً على البلاد، وقد تعهد السلطان عبد الحفيظ (١٩٠٨ ــ ١٩١٢) برفض كل الامتيازات التي ارغم على قبولها السلطان عبد العزيز، وفي مقدمتها مقررات مؤتمر الجزيرة(٣٨).

لم تعترف الدول الأوربية بالسلطان الجديد، وأعلنت فرنسا انها تشترط للاعتراف به، الموافقة على كل الاتفاقيات والتعهدات التي تمت بين المغرب والدول الأوربية بتنفيذ مقررات مؤتمر الجزيرة. وقد اضطر السلطان عبد الحفيظ مرغماً على قبول تلك الشروط رغم أنه بويع من قبل الشعب للتخلص منها، اذ لم يكن هناك مفر من قبول الشروط الفرنسية، ذلك أن القوات الفرنسية والاسبانية احتلت مناطق متعددة من البلاد، فضلاً عن سيطرة كل من الدولتين على أهم المرافق الحيوية في البلاد، كما أن ضعف حكومة المغرب في هذه المرحلة وعجز ميزانتيها وحاجتها الى القروض، اضطر السلطان عبد الحفيظ الى الرضوخ لمطالب الدول الأجنبية.

شرعت فرنسا باستغلال هذا الاتفاق، ففرضت على السلطان عبد الحفيظ اتفاق ١٩١٠ أجبرته فيه على الاعتراف بالمكاسب التي حققتها في الشاوية ووجدة، وربطته بقرض مالي سمح لها بالاشراف على معظم موارد البلاد الأساسية، ودفعته الى خطوات تؤدي الى وضع يدها على الجيش المغربي وبالتعاون مع أسبانيا، وكان لذلك كله أثره في حوادث فاس ١٩١١ التي اتخذت ذريعة للتدخل الفرنسي فيها(٣٩).

كان لبقاء الاطماع الأجنبية على ماكانت عليه، وضعف الحكومة المغربية وعدم تطبيق السلطان عبد الحفيظ لشروط البيعة التي أوصلته الى الحكم، وطلبه من فرنسا ارسال بعثة عسكرية لتنظيم الجيش المغربي بموجب اتفاق ١٩١٠، أثر كبير في ازدياد كراهية المغاربة للأجانب، وخاصة الفرنسيين والأسبان، وأدى ذلك الى انفجار الثورة الشعبية ضده. ففي أواسط آذار ـ مارس ـ ١٩١١ ثارت قبائل بني مطير وكروان وزعير وبني حسن والشراردة على السلطان عبد الحفيظ وحاصروه في فاس لأنها لم تعد تعتبره (سلطان الجهاد) بل لقبته (سلطان الفرنسيين) وعلى أثر ذلك أعلن مولاي الزين بن الحسن الأول ثورته على أخيه السلطان عبد الحفيظ، وبويع سلطاناً على المغرب بمدينة مكناس في أوائل نيسان ـ أبريل ـ ١٩١١، وعندئذ طلب عبد الحفيظ نجدة القوات الفرنسية المرابطة في الدار البيضاء والشاوية[٤٠] .

أما فرنسا فأنها وجدت في هذه التطورات فرصة مناسبة للتدخل بوصفها مسؤولة عن حفظ الأمن في البلاد، ففي ١٩ نيسان ـ ابريل ـ ١٩١١ اعلنت عن استجابتها لطلب السلطان عبد الحفيظ فتدخلت عسكرياً وزحفت نحو فاس، ودارت هناك معارك عنيفة بين الثوار والقوات الفرنسية التي أحرزت لعدم التكافؤ في النواحي الادارية والعسكرية والفنية والتنظيمية انتصاراً ساحقاً، وفي ٢١ أيار ـ مايو ـ ١٩١١ دخل الجنرال موانيه Moinier فاس ليؤكد السيطرة الفرنسية على البلاد.

استغلت اسبانيا هذه الظروف، فقامت باحتلال العرائش والقصر الكبير في ٨ و ١٠ حزيران ـ يونيو ـ ١٩١١ـ مستندة الى الفصل الثالث من الاتفاقية السرية لعام ١٩٠٤ والتي تنص على:

"في حالة ما اذا بدا أن الحالة السياسية في المغرب والحكومة الشـــريفة غير ممكنتي البقاء، أو تبين أن النظام الحالي صار من المســـتحيل بقـاؤه، امـــا بسبب ضعف هذه الحكومة وعجزها المستمر عن صيانة الأمـــن والنظـــام أو لأي سبب آخر يلاحظ باتفاق مشترك، يمكن لاسبانيا آنذاك أن تمارس بحريـــة عملـــها في الناحية المحددة في الفصل السابق"

والتي تعد منذ ذلك الحين مناطق نفوذ لها، وهذا يعني أن اسبانيا اتخذت من الغزو الفرنسي لفاس مجالاً لتأكيد مصالحها من خلال استغلالها الحالة السياســـية في البلاد لتأكيد اطماعها في المنطقة(٤١).

واجه الدخول الفرنسي الى فاس معارضة شديدة من قبـــل الالمـــان، حيـــث أرسلوا الطراد بانثر Panther الى أغادير بحجة الدفاع عن المصـــالح الالمانيـــة وحمايتها وأكدوا "أن انسحاب الطراد رهن بانسحاب فرنسا من فاس وجلائها عـــن المغرب..." كما طالبوا بانسحاب الاسبان من العرائش والقصر الكبير، وقالوا فـــي النهاية "اذا أريد اقتسام السلطنة المغربية فيجب أن تنال كل دولـــة نصيبـــها مـــن الغنيمة"، وعلى ذلك جنح الفرنسيون الى الأخذ بمبدأ اقتسام المصالح الذي يقـــوم على أساس أن تنال كل دولة نصيبها من الغنيمة ودخلوا في مفاوضات مع المانيـــا انتهت يوم ٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١١ بالاتفاق الذي حقق لفرنسا آخـــر ضمانة لحرية العمل في المغرب وأزاح آخر عقبة كانت تعترض الحماية بعـــد أن تنازلت لالمانيا عن مساحة في حوض الكونغو، وبذلك وضعـــت فرنســـا خططـــها لاحتلال مناطق نفوذها في المغرب واعلان حمايتها رسمياً عليه(٤٢) .

الحماية الفرنسية على المغرب عام ١٩١٢:

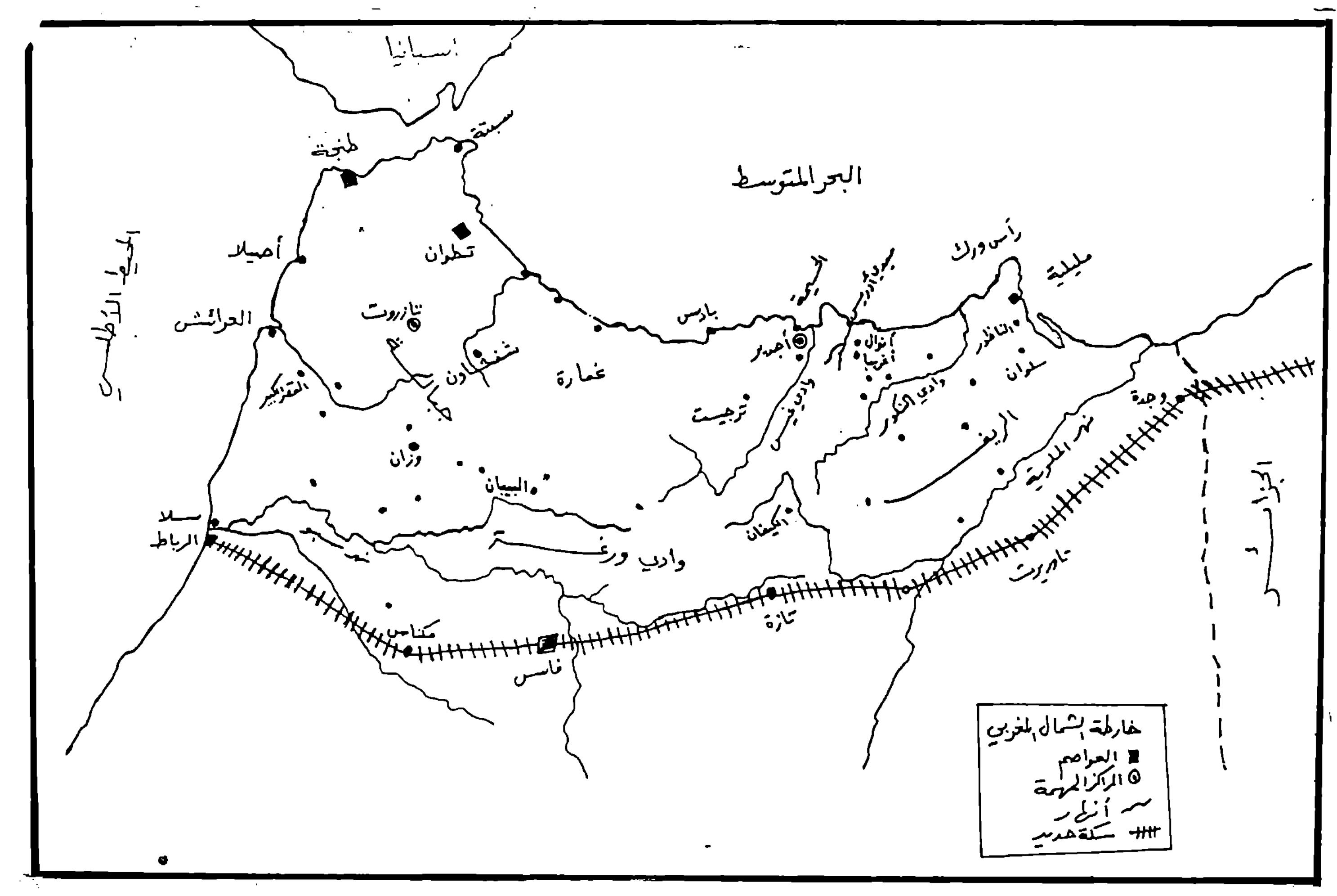
بعد أن تم الاتفاق الفرنسي ـ الالماني في ٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١١ وقف المغرب "وجهاً لوجه مع فرنسا وحده"(٤٣)، ذلك أن سلسلة الاتفاقيات مع كل من ايطاليا وبريطانيا واسبانيا والمانيا قد أزاحت من أمام فرنسا كل عقبة دبلوماسية أو عسكرية للانفراد بالمغرب، كما أن الوجود العسكري في بعض أجزاء المغرب قد منحها القوة على فرض نفوذها في داخل البلاد. ومن جهة اخرى، كانت سيطرتها على بعض مرافق الدولة الحيوية وبالتعاون مع اسبانيا أعطى لوجودها هيمنة أكثر، فلم يجد السلطان عبد الحفيظ بدّ من قبول الحماية الفرنسية بموجب معاهدة فاس المبرمة في ٣٠ آذار ـ مارس ـ ١٩١٢. وقد تنازل السلطان عبد الحفيظ عن الحكم لأنه لم يعد باستطاعته أن يحقق الآمال التي عقدها عليه الشعب المغربي حين بايعه، وكان ذلك بعد مغادرته فاس في ٦ حزيران ـ يونيو ـ متوجهاً الى الرباط، حيث تنازل بها عن العرش يوم ١٢ آب ـ اغسطس ـ ١٩١٢ فخلفه شقيقه السطان يوسف بن الحسن الأول (١٩١٢ ـ ١٩٢٧) في الحكم.

تضمنت معاهدة فاس، الموقعة في ٣٠ آذار ـ مارس ـ ١٩١٢ معنى الاحتلال الفرنسي للمغرب على الرغم مما ابدته من الرغبة في مساعدة المغرب على تطوير مختلف احواله تحت ظل الاسرة الحاكمة، وبموجب هذه المعاهدة تم

الاقرار بشكل علني بمصالح اسبانيا في الشمال المغربي ومراعاة الوضع الخـــا
لمدينة طنجة، وتقسيم البلاد الى ثلاث مناطق نفوذ.

الاتفاق الفرنسي ـ الاسباني ١٩١٢:

بعد مضي شهور على فرض الحماية الفرنسية على المغـــرب بموجـ
معاهدة فاس، ابرمت فرنسا مع اسبانيا اتفاقاً في ٢٧ تشرين الثاني ـــ نوفمـــبر
١٩١٢، لتعيين منطقة نفوذ كل منهما في البلاد بموجب الاتفاق السابق المعقـــ
بينهما عام ١٩٠٤، وقد احتوى الاتفاق الجديد على مواد عديدة لعلّ من أبرزهـ
ما يأتي:


إسبانيا
سبتة
طنجة
البحر المتوسط
أصيلا
تطوان
المحيط الأطلسي
العرائش
تازروت
شفشاون
غمارة
بادس
الحسيمة
أجدير
القصر الكبير
ترجيست
وزان
البيبان
رأس ورك
مليلية
الناظور
سلوان
وادي النكور
الريف
وجدة
نهر الملوية
سلا
الرباط
وادي ورغة
تاوريرت
تازة
مكناس
فاس
الجزائر
خارطة الشمال المغربي
العواصم
المراكز المهمة
أنهار
سكة حديد

١ ـ اعترفت فرنسا باستيلاء اسبانيا على شمال المغرب واطلاق يدها في ادارة شؤونه.

٢ ـ تقع منطقة نفوذ اسبانيا بجميع مرافقها تحت السيادة المدنية والدينية للسلطان المغربي والذي يمثله خليفة يقطن تطوان ويشكل حكومة على غرار الحكومة المركزية يكون كل وزرائها مغاربة باستثناء وزارة الخارجية حيث يقوم بشؤونها مندوب اسباني في المنطقة.

٣ ـ تبعث اسبانيا بمندوب سامي الى تطوان لتمثيلها لدى خليفة السلطان ويسهر على تنفيذ الاتفاق المبرم، ويكون الوسيط بين الحكومة الخليفية والأجانب[٤٤] .

كانت مساحة الجزء الخاضع للحماية الاسبانية تشكل نحو (٤٨٫٠٠٠كم^{2}) أي ١/ ١٠ مساحة الجزء الخاضع للنفوذ الفرنسي، وقد عينت حدود منطقة نفوذها في شمال المغرب (ماعدا طنجة) بالبحر المتوسط شمالاً، ومع حدود وادي نهر الملوية من مصبه الى قرب المحل المسمى بمشروع الكليلة شرقاً، ثم من المحل المذكور الى جبل بني حسن ثم الى وادي ورغة شمال جماعة شرفاء نافراوت جنوباً، ثم يتبع الجبال الشمالية المشرفة على وادي ورغة الى أن تفرق بينه وبين الطريق من فاس الى وزان مسافة ٢٥كم، ولا تزال كذلك الى أن يتصل الحد بوادي القوس فيمتد مع مجراه الى أن يصل حدود قبيلتي الصرصار والنليس، ثم يدور حول جبل الغاني، ويمتد الى خط عرض ٣٥° شمالاً الى المحيط الأطلسي[٤٥].

لقد تمت عملية اعلان الحماية الاسبانية على شمال المغرب بالاتفاق مع فرنسا في وقت لم يكن للسلطان المغربي حول ولا قوة للاعتراض عليها. وقد استندت اليها المعارضة الوطنية فيما بعد للتأكيد على افتقاد الحماية الاسبانية للأساس القانوني الشرعي، بصفة أن السلطان المغربي لم يصادق على اعلان الحماية الاسبانية.

طبيعة السياسة الاسبانية:

أعلنت اسبانيا حمايتها ــ احتلالها ــ على الشمال المغربي اثر الاتفاق الفرنسي ــ الاسباني المبرم في ٢٧ تشرين الثاني ــ نوفمبر ــ ١٩١٢، ودخل الحكم الاسباني الى جانب الحكم الوطني في ادارة شؤون المنطقة التي حددها الاتفاق، وأصبح المندوب السامي الاسباني ممثل اسبانيا في منطقة نفوذها في الشمال المغربي، فضلاً عن احتفاظه بالسيطرة المباشرة بعيداً عن الحكم الوطني في المناطق المحتلة من قبل في مليلية والحسيمة (النكور) وسبتة.

ان مفهوم "الحماية" لا يعني الاحتلال، الا أن واقع الحال يؤكد أن المغرب خضع للاحتلال الثنائي بكل معانيه، ولم تكن السلطة الوطنية الا واجهة شكلية للحكم الوطني، اذ أن المندوب السامي في كلتا المنطقتين كان المسؤول الأول والأخير عن كافة شؤون البلاد في الجنوب والشمال المغربي.

ففي المنطقة "الخليفية" التابعة للنفوذ الاسباني، خضعت كافة الخدمات لنفوذ المندوبين السامين الذين تتابع ارسالهم بين مدة وأخرى تبعاً للحالات المستجدة في المنطقة. وكان المندوب السامي الاسباني عادة رجلاً عسكرياً مقره مدينة

تطوان التي احتلت في ١٩ شباط ــ فبراير ــ ١٩١٣ وأصبحت عاصمة المنطقة الخليفية[٤٦].

أنشأ الحكم الاسباني خمسة نيابات (وزارات) لتدبير شؤون البلاد:

١ ــ نيابة للأمور الأهلية.

٢ ــ نيابة للثقافة والتعليم.

٣ ــ نيابة للاقتصاد والفلاحة (الزراعة) وتربية المواشي والغابات والميزانية والصحة.

٤ ــ نيابة للاشغال العمومية.

٥ ــ نيابة للمالية[٤٧] .

وقف الحكم الخليفي الى جانب المندوب السامي الاسباني، واجهة وطنية شكلية منفذة للقرارات التي يصدرها المندوب السامي، وعليه فلم يكن الخليفة الا أداة طيعة بيد المندوب السامي والذي يقوم بدوره باختيار واحد من اثنين يرشحهما سلطان المغرب وهما عادة من الأسرة المالكة. وكان أول خليفة هو الأمير المهدي بن اسماعيل الذي عيّن في ٢٧ نيسان ــ ابريل ــ ١٩١٣، ووقف الى جانبه الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) والوزراء المختصون كل في مجال عمله، والى جانبهم المشرفون الاسبان المسيطرون على شؤون الوزارات، أي ان المغاربة ليس لهم دخل أو رأي فيها[٤٨].

تألفت المنطقة الخاضعة للنفوذ الاسباني من بضعة وحدات ادارية ــ عدا مليلية والحسيمة وسبتة الخاضعة لهم قبل ذلك ــ يحكمها الباشوات والقواد في المدن والنواحي، والى جانبهم مراقبون من القناصل والضباط الأسبان ممثلون عن المندوب السامي ويقومون بمراقبة المنطقة الخاضعة لنفوذهم وابلاغ المندوب السامي عن كل ما يستجد في الحالة السياسية، الى جانب الاشراف على

الحالة الاقتصادية وتنمية الثروة في مناطق نفوذهم. وكانت قـــرارات الباشـــوات والقواد لا تتم الا بموافقة هؤلاء المراقبين(٤٩).

ومن جانب آخر، فقد تعمدت السلطات الاسبانية اهمال ربط المناطق الاداريـــة مع بعضها سواء بالطرق البرية المعبدة أو المواصـــلات الســلكية، وكـــان ذلـــك سياسة واضحة للحيلولة دون اتصال السكان باخوانهم في المناطق الأخرى(٥٠) .

ان السيطرة الاسبانية على مرافق البلاد الأساسية توضح أن الحكم الاســباني كان حكماً عسكرياً صارمـــــاً لا يــترك للشـــعوب أي مجـــال لممارســـة حقوقـــه وحريته(٥١). وكما وصفه أحد المؤرخين الاسبان، بأن ذلك الحكم الاسباني لم يكـن أكثر من "استبداد عسكري واضح شديد الخشونة والقسوة"(٥٢).

اقتضت السياسة الاسبانية الاستعانة بالمغاربة لتسير امورها في المنطقة، وبعد اعلان الحماية، أصبح الاسبان في حاجة ماسة الى فئة من الموظفين تتقن اللغـــة الاسبانية تكون واسطة بينها وبين الشعب، وتجسيداً لذلك فتحت المدارس العربيـــة ـ الاسبانية لهذا الغرض(٥٣)، فيما استمر التعليم الاسلامي على طريقته التقليديـــة "ولم يفكروا بالاهتمام بالجانب... التعليمي بشكل يخدم مصالح البلاد" الـــى جـــانب عدم الاهتمام بالجانب الصحي(٥٤) .

وفيما بعد أخذ التوجه الاسباني شكلاً آخر يتوافق مـــع طبيعـــة الاســتعمار لأي منطقة وهو العمل على غزو البلاد ثقافياً باحلال لغة المستعمر وثقافته ومحاربـــة اللغة الوطنية ومؤسساتها الثقافية، وجرى هذا الاتجاه من أجل "أسبنَة" المغاربـــة ومحاولة القضاء على الهوية العربية الاسلامية.

كان من نتائج الجهد الثقافي الاسباني، أن أصبح هناك الكثير من أهالي الشمال المغربي يتحدثون ويتقنون اللغة الاسبانية(٥٥)، وقد سهّل ذلك للاسبان وللمغاربـــة

أيضاً فرصة اشغال الوظائف، لأن الناطق باللغة الاسبانية يتمكن من ايجاد وظيفة له لدى الادارات الاسبانية.

وفيما يخص الجوانب الاقتصادية، ونظراً لوضعية البلاد الجغرافية (جبال ــ سهول ضيقة) والمعدنية (بعض الحديد الخام ــ كميات من القصدير) والصناعية (مصنوعات محلية من الفخار والمعادن) وفقر المنطقة في مختلف مناحيها، لم تشجع الرأسمال الاسباني وأصحاب "الاعمال الكبرى" ــ التي وقفت وراء الكنيسة والجيش ــ على التفكير والقيام بالمشاريع التي تخدم المنطقة، ولذلك "كانت الخطوات التقدمية معدومة"، كما ظلت البلاد بمنأى عن الهجوم البشري المدني من السكان الاسبان "الراغبين في امتلاك الأرض أو الساعين وراء الامتيازات أو أصحاب المهن الحرة" وعليه، فقد جاء المستوطنون الاسبان من شرائح اجتماعية ــ اقتصادية متواضعة، فقيرة في معظمها، من عمال وموظفين وصغار وجنود "أما أهل الطبقة الوسطى ومن بينهم كبار الموظفين فقد كانوا قلة"[٥٦].

وعلى العموم، فان سيادة الحكم العسكري والبوليسي وكثرة السجون والمعتقلات التي أرهبت السكان كانت "اكبر مما تسمح به السياسة الحكيمة" وعلى هذا فقد تعرض الحكم الاسباني للشمال المغربي "الى النقد العنيف" حتى من قبل الزوار الأجانب، وذلك من جراء كما يقولون "كبت الحرية والضغط الذي تعرض السكان له"[٥٧].

لقد كان الحكم الاسباني قوياً في المدن والقصبات المهمة منذ اعلان الحماية حتى منتصف العشرينات، ولم يستطيعوا تخطي أسوار المدن بشكل مباشر وخاصة أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث كان أسلوبهم في الانتشار ــ نتيجة الخوف من الأهالي ــ خارج المدن يقوم على ما سموه سياسة "العمل السلمي"

وكان لذلك دوافع متعددة تتعلق بمجريات الحرب والموقف من فرنسا والمانيا كطرفين في الصراع الذي دار اثناء الحرب العالمية الأولى.

اساليب التغلغل الاسباني:

بقيت اسبانيا متمركزة في مواقعها التي احتلتها منذ القرن الخامس عشر (مليلية ـ سبتة) ولم تستطع اجتيازها الى مناطق أخرى من الشمال المغربي حتى منتصف القرن التاسع عشر عندما احتلت تطوان في حرب عام ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠، لكنها سرعان ما انسحبت بفعل قدرة المغرب على دفع التعويضات من جهة، والضغط البريطاني عليها حيث كانت بريطانيا تسيطر على جزيرة جبل طارق منذ عام ١٧٠٣ ولم تسمح لاسبانيا بالسيطرة على ضفتي المضيق، وكان لتلك الاعتبارات الستراتيجية الخاصة بالمصالح البريطانية، أن وقفت بريطانيا الى جانب المغرب، كما وقفت قبل ذلك في الصراع المغربي ـ الفرنسي عام ١٨٤٤.

لقد كان للمقاومة الرسمية والشعبية خاصة لأي امتداد توسعي اسباني من مناطقهم المحتلة، أثره الكبير في عجز القوات الاسبانية على التوسع على حساب الشمال الغربي. واستمرت الحالة على ذلك حتى مطلع القرن العشرين عندما قادت قبيلة الكفاح المسلح ضد محاولتهم التوسعية، وكان ذلك منذ عام ١٩٠٩ وحتى منتصف عام ١٩١٢ بقيادة الشريف محمد أمزيان.

وبعد اعلان الحماية الاسبانية على البلاد، سعت أسبانيا لفرض نفوذها على مجمل المنطقة التي حددها الاتفاق الفرنسي ـ الاسباني في ٢٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١٢. ومنذ تلك الفترة تدرجت أساليب التغلغل الاسباني الى داخلية البلاد بين الغزو العسكري المباشر لمنطقة السواحل، وبين التغلغل

"السلمي" بالعمل على كسب العناصر المحلية. وكثيراً ما استخدمت العمليات التجارية وسيلة للتغلغل بين السكان، كما جنّد الاسبان عناصرهم وبالتعاون مع بعض العناصر المحلية، للقيام بأغراض التجسس ووضع الخطط لاحتلال البلاد. وكانت جزيرتي بادس والنكور في اقليم الريف من المناطق المهمة في هذا الاتجاه.

مرت أساليب التغلغل الاسباني بمرحلتين، الأولى بين عامي ١٩١٢ ـ ١٩١٤، أما الثانية فتبدأ خلال الحرب العالمية الأولى بين عامي ١٩١٤ ـ ١٩١٨.

المرحلة الأولى ١٩١٢ ـ ١٩١٤:

تميزت المرحلة الأولى بالطابع العسكري المباشر، وكان ذلك انعكاساً لما كان يجري في اسبانيا، حيث سيطر عدد من العسكريين على الحياة العامة في بلادهم وحاولوا أن يفرضوا أنفسهم على سياسة أسبانيا الخارجية ويسيطروا بالطريقة نفسها على منطقة نفوذهم في الشمال المغربي التي حددها اتفاق ١٩١٢. وعليه فقد بدأت القوات الاسبانية توسع مناطق نفوذها من ثلاث قواعد رئيسة هي مليلية وسبتة والمنطقة الواقعة بين العرائش وطنجة، وتمكنوا مع نهاية عام ١٩١٢ من التقدم باتجاه الداخل الى المناطق القريبة من السواحل(٥٨).

في هذه المرحلة، استخدم الاسبان العنف والشدة في فرض نفوذهم واعترف بذلك أحد المؤرخين الأسبان بقوله: "ان الاسبان في احتلالهم لمنطقة نفوذهم استخدموا التعسف والقوة سبيلاً الى السيطرة"(٥٩). ولقد كان التعصب

الديني والعنصري واضحاً في سلوكهم تجاه المغاربة في هذه المرحلة، ذلك أن الكنيسة والمؤسسة العسكرية تعاونتا على دفع الشعب الأسباني الى التوسع والسيطرة في المغرب، ومن المؤكد أن وصية الملكة ايزابيلا لم تكن بعيدة عن الأذهان.

ان سيادة النزعة العدوانية في التوسع الاسباني في هذه المرحلة يتأكد من خلال السياسي الأسباني مورا Maurra الذي قال، بأنه اذا أصبحت هذه المنطقة "خاضعة لنفوذنا يوماً من الأيام، فان واجبنا الأول هو طرد سكانها منها"[٦٠] .
وعبّرت أسبانيا عن سياستها العدوانية والاستيطانية تجاه المنطقة حينما سمحت بالهجرة الاسبانية اليها لإحلال رعاياها محل السكان المغاربة في الأرض والادارة، وقامت سياستهم على أن العنصر المحتل يجب أن يسود في المغرب وأن له حق الأولوية في كل الفوائد التي تسخرها الدولة أو تجود بها الطبيعة[٦١].

المرحلة الثانية: ١٩١٤ ـ ١٩١٨:

لجأت أسبانيا بسبب أحداث الحرب العالمية الأولى، الى اتباع الاسلوب السياسي للسيطرة على منطقة نفوذها، وقد سمي آنذاك بـ "التغلغل السلمي".
ويقوم هذا الاسلوب الاستعماري على كسب بعض العناصر المحلية وربطها بعمليات تجارية وتسخيرها لخدمة أهدافها في تسهيل مهمة الاحتلال[٦٢] .
ان تلك السياسة "السلمية" لاسبانيا تجاه البلاد جاء نتيجة أوضاعها الداخلية والخارجية، ارتبط بعضها بظروف الحرب العالمية الأولى بشكل أو بآخر، ومن ذلك محاولة اسبانيا تجنب الاسراف في التكاليف قدر الامكان بسبب أوضاعها المالية وبروز الحركات العمالية داخل اسبانيا، فكان عليها عدم زج قطعات مجندة

كبيرة في المغرب والاحتفاظ بالجيش لتهدئة الحالة في اسبانيا رغم عدم رضا الكثير من العسكريين على تلك السياسة. ولايمكن أن ننسى الدور الكبير للمقاومة المغربية المسلحة ــ ثورة جبالة ــ في تغيير سياسة اسبانيا، وجاءت الحرب العالمية الأولى لتعزز هذا الاتجاه ــ كما سيتضح لاحقاــ.

استطاعت أسبانيا ــ مع بقاء المقاومة المغربية ــ ممارسة سياسة العمل السلمي، وأعلنت منذ بداية الحرب العالمية الأولى أنها على "الحياد" في الصراع الدائر بين المانيا والدولة العثمانية من جهة، وبريطانيا وفرنسا من جهة ثانية. وجنحت الى التساهل مع الأهالي، وتوقفت عن كل حركة انتظارا لنتيجة الحرب والتي سيكون لها تأثيرها المباشر على المغرب. اذ أن فرنسا طرف في هذا الصراع، وهي تتقاسم معها النفوذ في المغرب، لكن ذلك "الحياد" لم يمنع الاسبان من الوقوف بشكل مباشر داخل المغرب الى جانب الألمان، ومن ذلك أنهم سمحوا لعدد من الضباط الالمان بممارسة نشاطهم ضد الفرنسيين في العرائش وتطوان بعد أن لاحقتهم السلطان الفرنسية في منطقة نفوذها بالمغرب[٦٣] .

يبدو أن الأسبان أرادوا من خلال تسهيل مهمة الضباط الالمان تحقيق هدفين، الأول، اتخاذ الوجود الالماني عنصر ضغط على الفرنسيين في الجنوب المغربي ومحاولة تثوير اكثر للشعب المغربي، ومساندة ثوراته المسلحة في الأطلس. والثاني. محاولة فرض النفوذ الاسباني على المغرب بأجمعه في حالة هزيمة فرنسا في الحرب، والاعتماد في ذلك على المساندة الالمانية.

كانت نتيجة الحرب العالمية الأولى، هزيمة المانيا والدولة العثمانية امام بريطانيا وفرنسا، وكانت البداية لتغيير اسبانيا لسياسة "الفتح السلمي" والعودة الى اسلوب العمل العسكري المسلح والمباشر لغرض السيطرة على منطقة نفوذهم في الشمال المغربي، ومع بداية هذا التغيير، بدأت من الجهة المقابلة،

الشعب المغربي، صفحة جديدة في المواجهة، فقد تصاعدت عمليات الثـــورة فـــي اقليم جبالة ــ القسم الغربي من الشمال المغربي ــ وكانت البداية لثورة الريف ــ الاقليم الشرقي للشمال المغربي ــ .

استطاع الاسبان خلال فترة العمل السلمي، التوغل الى دواخل البـــلاد مـــن السواحل وفرض نفوذهم على الكثير من المناطق والقبائل وخاصـــة فـــي اقليـــم الريف، واستطاع الاسبان حتى نهاية الحرب الأولى، بنتيجة تلك السياســـة نشـــر معسكراتهم في اقليم الريف لوحده والتي بلغـــت (١٩٦) معســـكر ــ مركـــز ــ والسيطرة على قبائل ومناطق متعددة منها: سعيد، أوليشك، مطالسة، جـــزء مـــن توزين، معظم تمسامان ، تفرسيت، أنوال، مرسي سيدي ادريس[٦٤]، وعلى ذلـــك أصبح معظم اقليم الريف في قبضة النفوذ الأسباني فيما كان اقليم جبالـــة يشـــهد تواصل كفاحه المسلح الذي بدأه منذ عام ١٩١٢ بقيادة الشريف أحمد الريســـوني ــ كما سيتضح ــ.

هوامش ومصادر الفصل الأول:

(١) لتفاصيل جغرافية المغرب، انظر:

فيليب رفلة وآخرون: جغرافية الوكن العربي، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة ١٩٧٠)، ص ص ١٢٣ ــ ١٢٥؛

محمد محمود الصياد: معالم جغرافية الوطن العربي، دار النهضة العربية، (بيروت ١٩٧٠) جـ ١، ص١٨٩.

وجدير بالذكر أن المصادر الجغرافية التي أطلعنا عليها لا تفيد كثيراً في اعطاء صورة دقيقة لطبيعة المنطقة التي دارت فيها أحداث هذه الرسالة، وقد أفدنا من المصادر التاريخية وخاصة المعاصرة التي قدمت معلومات تفصيلية عن منطقة شمال مراكش؛

عبد المجيد بن جلون: هذه مراكش، ط١، مطبعة الرسالة، (القاهرة ١٩٤٩)، ص ص ١ ــ ٢؛

محمود العابدي: المغرب ملك وشعب، الشركة الصناعية، (عمان ١٩٦٠)، ص ص ٥ ــ ٩.

محمد عبد العاطي جلال: مراكش، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٤)، ص ص ١ ــ ٢؛

احمد البوعياشي: حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، نشره عبد السلام جسوس وسوشبريس، (طنجة، ١٩٧٤)، جـ ١، ص ١٠٧، ١١٨ ــ ١١٩.

(٢) انظر بالتفصيل:

جلال يحيى: عبد الكريم الخطابي، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، (القاهرة ١٩٦٨)، ص ٧ ـ ٨ ، ١٦؛

أمين سعيد: ثورات العرب في القرن العشرين، دار الهلال، ص١٨٤؛

لوثروب سنودارد: حاضر العالم الاسلامي، ط٣، تعليق الأمير شكيب ارسلان، دار الفكر (لا. ١٩٧١)، المجلد (٢)، جـ ٣، ص١٨٧؛ ابراهيم الشريفي: المغرب الأقصى قديماً وحديثاً، (لا. م ، ١٩٥٣)، ص ١٣ ـ ١٤؛

محمد أمين العمري: الحرب الريفية، سر انتصار الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، مطبعة دار السلام، (بغداد ١٩٢٥)، ص٤٩.

(٣) للتفاصيل أنظر:

محمد خير فارس: المسألة المغربية ١٩٠٠ ـ ١٩١٢، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة ١٩٦١)، ص ص ٢٠ ـ ٢١؛

جلال يحيى: المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة والنشر، (الاسكندرية ١٩٦٦)، جـ ٣، ص ٩٨٩؛

محمد محمد عمر القاضي: أسد الريف محمد عبد الكريم الخطابي، مطبعة ديسبريس، (تطوان ١٩٨١)، ص٣١؛

محمد العلمي: زعيم الريف محمد عبد الكريم الخطابي، ط١، مطابع دار الكتاب، (الدار البيضاء ١٩٦٨)، ص١٣، الشريفي، المصدر السابق، ص١٤.

(٤) نشأ عن ظهور نظام الحماية القنصلية في المغرب أربع طبقات من المحميين تختلف درجة حمايتهم وتتنوع مشاكلها وهي، طبقة المحميين الذين تمنحهم دولة أجنبية هم وأسرهم حمايتها لخدمة السفراء والوزراء المفوضين والقناصل ونوابهم والوكلاء القنصليين كالكتاب والتراجمة والخدم والحراس والأعوان والجواسيس، وطبقة السماسرة، وهم الوسطاء في التجارة بين

الوطنيين والأجانب، وطبقة المخالطين، وهم من يشترك مع الأجنبي أو يعمل معه في الأمور الفلاحية (الزراعية)، وهذه الطبقات الثلاثة من المحميين لا تفقد جنسيتها المغربية، وهناك طبقة رابعة هي طبقة المتجنسين الذين تخلوا عن جنسيتهم الأصلية وتجنسوا بجنسية أجنبية، وهذه الطبقة فوق طبقات المحميين الثلاثة ويعمها مايعم الأجانب.

حول العلاقات المراكشية الأوربية وأثر ذلك في تغلغل النفوذ الأجنبي، انظر:

مديرية الوثائق الملكية: الوثائق، مجموعة (٤)، المطبعة الملكية، (الرباط ١٩٧٧)، ص ١٢٥ ــ ١٩٢؛

عبد الوهاب بن منصور: مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها الى مؤتمر مدريد ١٨٨٠، المطبعة الملكية، (الرباط ١٩٧٧)، ص ص ٦ ــ ٥١، مكتب المغرب العربي: الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية، مطبعة الرسالة، (القاهرة ١٩٤٨)، ص ٤ ــ ٥.

(٥) ابو العباس احمد بن خالد الناصري: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، دار الكتاب، (الدار البيضاء ١٩٥٥)، جـ ٩، ص١٨٣؛

محمد عبد المنعم ابراهيم المحامي: الأمير عبد الكريم بطل الشمال الافريقي، ط١، المكتبة العلمية ومطبعتها، (القاهرة ١٩٥٨)، ص٥٧؛

الشريفي، المصدر السابق، ص١٤، فارس، المسألة المغربية، ص١٩؛ البوعياشي، المصدر السابق، جـ ١، ص٧٨.

(٦) فارس، المصدر السابق، ص٢٠؛ الشريفي، المصدر السابق، ص١٤؛ يحيى، المغرب الكبير، جـ ٣، ص٩٥٨:

(٧) روم لاندو: تاريخ المغرب في القرن العشرين ١٩٠٠ ــ ١٩٥٥، ترجمة: نقولا زياده، دار الكتاب، (الدار البيضاء ١٩٦٣)، ص٣٥؛

مجلة الهلال (المصرية)، الجزء الأول، تشرين الأول، ١٩٢٢، ص٦.

(٨) Marales Lezcano : Quelques observations sur le Protectorat Espangol au Maroc, P.17.

كما ورد في المجلة التاريخية المغربية (تونس)، العدد ١٣، ١٤، كانون الثاني ١٩٧٩؛ البوعياش، المصدر السابق، جـ١، ص ص ١٠٧ ــ ١١١، ستودارد، المصدر السابق، جـ ٣، ص١٩٥، القاضي، المصدر السابق، ص١٣١؛ محمد البشير بن عبد الله الفهري: قبيلة بني زروال، حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، مطبوعات افريقيا الشمالية الفنية، (الرباط ١٩٦٢)، ص٨.

(٩) كان معظم الريفيين يمتلكون البنادق الاسبانية التي ترد اليهم عن طريق الحسيمة وبتشجيع من السلطات الاسبانية على ما يبدو، وفي الوقت نفسه، كان هناك مبدأ ثابتا متبعا في الريف وهو "أن جميع من بلغ من العمر خمسة عشر سنة يوجب عليه حمل السلاح للدفاع عن النفس أولا، ولمناصرة اخوته وابناء فخذته ثانيا، وعلى والده وأخوته بيع ما يملكون لشراء بندقية خماسية (ماوسا) وما يكفيها من الخرطوش لتقوية شوكتهم على خصومهم وأعدائهم"، انظر:

العربي الورياشي: الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان، ط١، المطبعة المهدية، (تطوان ١٩٧٦)، ص٢٧؛

العربي اللوه: المنهال في كفاح ابطال الشمال، مطابع الشويخ، (تطوان ١٩٨٢)، ص ص ٦٧ ــ ٧٢؛

القاضي، المصدر السابق، ص ٧٣، ٩٣؛ البوعياش، المصدر السابق، جـ١، ص٤٠٨،

H. R. Jarrett : Africa , Macdonald and Evans Limited, (London 1974) . P . 134.

(١٠) علال الفاسي: المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، معهد الدراسات العربية العالية (القاهرة ١٩٥٥) ص١٣؛

محمد بوسلام: موجز مشروع قراءة في تطور علاقات بعض الزوايا بالسلطة المركزية، مجلة تاريخ المغرب (الرباط)، العدد (٢) السنة (٢)، ١٩٨٢، ص ص ٨٣ ــ ٩٤؛

العلمي، المصدر السابق، ص١٤، البوعياشي، المصدر السابق، ص١، ص٤١٠.

(١١) يعد جامع القرويين من أقدم الجامعات العربية في العالم الاسلامي، وقد تأسس عام ٨٥٩م، وتولى دراسة العلوم الدينية واللغة العربية، وآدابها، انظر:

أدور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة ١٩٦٥)، ص ص ٣٨ ــ ٣٩؛

لاندو، تاريخ المغرب، ص ٥٣؛ ابن جلون، المصدر السابق، ص١٤٠.

(١٢) البوعياشي، المصدر السابق، جــ ١، ص ص ٦٠ ــ ٧٠؛ لاندو، تاريخ المغرب، ص ص ١٤٨ ــ ١٤٩.

(١٣) الناصري، المصدر السابق، جــ ٧، ص ص ٣ ــ ٤؛ يحيى، المغرب الكبير، جــ ٣، ص١٦؛ ابن جلون، هذه مراكش، ص ٣٧.

(١٤) عبد الحميد بن ابي زيان بنشنهو: النظام الاداري بالمغرب، ط٣، مطبعة (الرباط ١٩٦٢)، ص ص٢١ ــ ٢٩.

(١٥) الفاسي، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، ص٤٥.

جون جنز: داخل افريقيا، تقديم حسن جلال العروسي، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة ١٩٥٧)، جــ ١، ص١٨٣؛

زاهر رياض: شمال افريقيا في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة ١٩٦٧)، ص١٦٦.

(١٦) C. R. Pennell: Law, order and the formation of an Islamic Resistance of European Colonialism : The Rif 1921 – 1926, P . 27.

كما ورد في المجلة التاريخية المغربية (تونس)، العـــدد ٢١، ٢٢، نيســـان ١٩٨١، فارس، المصدر السابق، ص٢٢، ٢٣، ٤٠، لاندو، تـــاريخ المغــرب، ص ٤١ ــ ٤٢؛ العلمي، المصدر السابق، ص ١٣؛

حزب الاستقلال المغربي: المغرب الأقصى "مراكش" قبل الحماية ــ عـــهد الحمايــة ــ إفلاس الحماية، دار الطباعة الحديثة، (القاهرة ١٩٥١)، ص٥؛

احمد عمالك: المجتمع المغربي عند نهاية القرن التاسع عشر، مجلة تـــاريخ المغــرب (الرباط)، العدد (١)، السنة (١)، ١٩٨١، ص ٩٧.

(١٧) دعت الحركة السلفية الى الاصلاح الديني ونبذ الخرافات والبدع والرجوع الى أصول الدين، وقد عرفت هذه الدعوة طريقها الى المغرب منذ نهاية القرن الثامن عشر، وازدهرت في مطلع القرن العشرين على يد بعض علماء المغرب كالشيخ عبدالله السنوسي، والشيخ ابو شعيب الدكالي، والشيخ محمد بن العربي العلوي، الذين تأثروا بمفكري الاسلام المصلحين امثال الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا.

للتفاصيل أنظر:

الجندي، المصدر السابق، ص ص ٢٧ ــ ٣٢؛

علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، عبد السلام جسوس، (تطوان ١٩٤٨)، ص٨٦؛

نقولا زيادة: صفحات مغربية، ط١، دار الكتاب اللبناني، (بيروت ١٩٦١)، ص ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(١٨) محمد عبد السلام بن عبود: تاريخ المغرب، ط٢، دار الطباعة المغربية، (تطوان ١٩٥٧)، جـ ٢، ص٧٧؛

الجمل، المغرب العربي الكبير، ص ٢٦٤ ـ ٢٨١؛ رياض، المصدر السابق، ص١٦١، ١٦٥، ٢١٤.

(١٩) ابن جلون، هذه مراكش، ص ص ٤٩ ـ ٥٠ ـ ٥٥ ـ ٥٦؛ يحيى، المغرب الكبير، جـ ٣، ص ٢٤٨، ٣٦٣، ٤٤٣.

(٢٠) عبد المجيد بن جلون: جولات في مغرب أمس (١٨٧٢)، ط١، مكتبة المعارف، (الرباط ١٩٧٤)، ص٧؛

عبد المجيد بن جلون: جولات في مغرب أمس (١٩٠١)، مكتبة المعارف، (الرباط ١٩٧٤)، ص٨٠.

(٢١) حركة الجامعة الاسلامية: ظهرت هذه الحركة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة لعجز الدول الاسلامية عن ايقاف الغزو العسكري والثقافي الغربي، وتبنّت الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني قيادة هذه الحركة بسبب الصعوبات التي واجهتها في السياسة الخارجية وعداء الدول الأوربية لها وتدخلها المستمر في شؤونها، وكانت هذه الحركة دعوة للوحدة والتضامن الاسلامي بقيادة الدولة العثمانية لمواجهة الغرب الأوربي.

(٢٢) ابن جلون، هذه مراكش، ص٥٥؛ الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص٨٧.

(٢٣) محمد عبد السلام بن عبود: مركز الأجانب في مراكش، مطبعة الرسالة، (لا . م)، ص ص ٥٧ ـ ٦٠؛

الجمل، المصدر السابق، ص ٢٢٩؛ يحيى، المغرب الكبير، جـ ٣، ص٤٠٥.

(٢٤) رياض، المصدر السابق، ص٢١٣.

(٢٥) مكتبة المغرب العربي، الحماية في مراكش، ص .

(٢٦) المغرب، فرنسا، اسبانيا، انكلترا، الماتيا، النمسا، بلجيكا، الدانمارك، ايطاليا، هولندا، البرتغال، السويد، الولايات المتحدة الامريكية.

(٢٧) أمين الريحاني: المغرب الأقصى "رحلة في منطقة الحماية الأسبانية"، دار المعارف (القاهرة ١٩٥٢)، ص٣١؛

روبير شنيرب: تاريخ الحضارات العام، ط١، ترجمة، يوسف أسعد داغر، منشورات عويدات، (بيروت ١٩٦٩)، جـ ٦، ص٤٣٦؛

ابن عبود، مركز الأجانب، ص٥١، ابن جلون، هذه مراكش، ص٤٩.

(٢٨) مكتب المغرب العربي: الحماية الفرنسية في مراكش بعد ٣٦ عاماً، مطبعة الرسالة، (القاهرة ١٩٤٨)، ص ٦، ابن عبود، تاريخ المغرب، جـ ٢، ص٩٤.

(٢٩) Edmund Burke : Pan – Islam and Morocca Resistance to French colonial pentration 1900 – 1912, J . Afr. Hirt. B. 1972, p. 101.

Nevil Barbour : Morrocco, Thames and Hudson, (London 1965) , p . 145 Charless F. Gahagher:

The united states and North Africa, Harvard University Press , (Cambridge 1967), p . 74.

(٣٠) عبد الرحيم بن سلامة: كفاح المغرب من أجل الحرية والديمقراطية، دار النجاح، (بيروت ١٩٧٥)، ص٣٥.

(٣١) هو الجيلالي الزرهوني من قرية أولاد يوسف بن زرهون في شمال شرق المغرب، أعلن تمرده ضد العرش المغربي عام ١٩٠٢، وادعى أن اسمه مولاي محمد

بن الحسن الأول وأنه ثار على أخيه عبد العزيز بدعوى أنه يخدم مصالح الاستعمار وحاول الاستيلاء على فاس، وأعلن نفسه سلطاناً على المغرب، وقد اصطدم مع الجيوش الحكومية اكثر من مرة وكبد خزينة البلاد الكثير من الخسائر، وفي هذه الفترة وحتى عام ١٩٠٩ وقفت قبيلة بني ورياغل وقاضيها الفقيه عبد الكريم الخطابي ضده.

للتفاصيل انظر:

القاضي، المصدر السابق، ص ص ١١ ــ ٤٠؛ الورياشي، المصدر السابق، ص ٢٩ ، ٧٦، ١٠٠ ــ ١٠٩.

(٣٢) عبدالله الجراري: شذرات تاريخية ١٩٠٠ ــ ١٩٥٠، ط١، دار النجاح، (الدار البيضاء ١٩٧٥)، ص ص٨ ــ ١١؛ الورياشي، المصدر السابق، ص ٣١، ٤٠ ــ ٤٥، ٤٧ ــ ٥٠، ٥٨ ــ ٦٨.

(٣٣) علال الفاسي: حماية اسبانيا في مراكش، ط١، مطبعة الرسالة، (القاهرة ١٩٤٨)، ص٢٤.

(٣٤) ارسلت فرنسا وزيرها المفوض في طنجة رينيه نالانديه الى فاس وذلك في آذار ــ مارس ــ ١٩٠٥، وطالب نالانديه السلطان عبد العزيز بتنفيذ بعض المشروعات التي اقترحتها فرنسا وتتمثل بما يلي:

١ ــ زيادة عدد أعضاء البعثة العسكرية العاملة في الجيش المغربي واناطة جميع الشؤون العسكرية بالبعثة.

٢ ــ اقامة مراقبين فرنسيين في المدن الداخلية لمراقبة الادارة والمالية.

٣ ــ انشاء بنك مغربي رسمي (بنك الدولة).

٤ ــ احصاء السكان ومد اسلاك البرق بين المدن والأقاليم.

انظر: سعيد، الدولة العربية المتحدة، جـ ٢، ص٢٥٨.

(٣٥) Burke, op. Cit, p . 107.

(٣٧) اسماعيل بن محمد الرشيد العلوي: جلاء الظلام الدامس في موجز تاريخ
المغرب الى عصر محمد الخامس، ط١، مطبعة فضالة، (بلا ١٩٥٧)، ص١٠٩.

فارس، المصدر السابق، ص ٤٠١ ـ ٤٠٥؛ لاندو، تاريخ المغرب، ص٩١ـ ٩٢؛ ابـن جلون، هذه مراكش، ص٩٧.

(٣٨) الطيب الأزرق: مشروع دستور جماعة لسان المغرب، دراسة تحليلية
نقدية، مجلة تاريخ المغرب، (الرباط)، العدد (١)، السنة الأولى، ١٩٨١، ص ص ١٠٠ ـ ١٠٧.

مكتبة المغرب العربي، الحماية في مراكش، ص١٣؛ الفاسي، الحركات، ص٩٦.

(٣٩) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية، ص ص ٢٥ ـ ٢٦.

(٤٠) محمد بن عزوز حكيم: الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال
المغرب، مطبعة الساحل، (الرباط ١٩٨١)، جـ ١، ص١٦.

(٤١) ابن عزوز، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة، جـ ١، ص٢١؛
والنمسماني، المصدر السابق، ص ص ٤٩ ـ ٥٠.

(٤٢) لاندو، تاريخ المغرب، ص ٧٠، ٩٥، وسعيد، ثورات العرب، ص ١٧٥.

(٤٣) wilfrid Knapp : North west Africa, A political and Economic
Survey, Oxford University Press, (London 1977), p . 266.

(٤٤) العلوي، المصدر السابق، ص ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٤٥) عبد الحميد بن ابي زيان بنشنهو: البيان المطرب لنظام حكومة المغرب، ط٢، مطبعة
الأمنية، (الرباط ١٩٥١)، ص ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

Hanry Marchat : La France et l,espagne au Maroc pendant is (٤٦)
periode du protectorat (1912 -- 1956).
Revue de l,occident Musulman et del la mediterrance , vol , 10 , 1971, p . 81.

علي الريسوني، أبطال صنعوا التاريخ، المطبعة المهدية، (تطوان ١٩٧٥)، ص ١٦٧ ، ١٧٧؛

جون جنتر: داخل افريقيا، ترجمة: حسن جلال العروسي، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة ١٩٥٧)، جـ ١، ص١٨٨.

(٤٧) بنشنهو، المصدر السابق، ص١٧٦.

(٤٨) رابطة الدفاع عن مراكش: مراكش تحت النفوذ الاسباني، مطبعة المليجي، (القاهرة ١٩٤٧)، ص٣٨.

(٤٩) بن جلون، المصدر السابق، ص٩٤ ــ ٩٦ــ ١٣٥.

(٥٠) ابراهيم الشريفي: المغرب الأقصى قديماً وحديثاً، بلا، (بلا ١٩٥٤)، ص١٣.

(٥١)بن جلون، المصدر السابق، ص١٠٩.

Marales Lezcano : Quelques observation sur le protect orat (٥٢)
Espangol au Maroc , p . 98.

نقلاً عن المجلة التاريخية المغربية، العدد (١٣، ١٤) تونس ١٩٧٩.

(٥٣) بن جلون، المصدر السابق، ص١٤١.

(٥٤) لاندو، المصدر السابق، ص٢٠٨.

(٥٥) روم لاندو: مراكش بعد الاستقلال، ترجمة: خيري حماد، دار الطليعة (بيروت ١٩٦٠)، ص ٣٠٤.

(٥٦) لاندو، تاريخ المغرب، ص٢٠٨ ــ ٢٠٩.

(٥٧) لاندو، تاريخ المغرب، ص٢٠٨، ٢١٠.

(٥٨) جلال يحيى: عبد الكريم الخطابي، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، (القاهرة ١٩٦٨)، ص٢٧ ــ ٣٥.

(٥٩) Lezcano , op. Cit , p . 97.

(٦٠)عبد الرحيم بن سلامة: المغرب قبل الاستقلال، دار الثقافة، (الدار البيضاء، بـــلا)، ص٦٩.

(٦١)ان عمليات الهجرة والاستيطان لم تأخذ مداها الواسع الا في نهاية العشرينات بعد انتهاء الثورة الوطنية المسلحة بقيادة الشريف احمد الريسوني والأمير محمد بن عبـــد الكريم الخطابي، ثم تباطأت بفعل الحرب الأهلية الاسبانية (١٩٣٦ ــ ١٩٣٩)، وكذلـــك خلال الحرب العالمية الثانية، وبعد ذلك بدأت الهجرة والاستيطان بشكل أوسع.

الفاسي، حملة اسبانيا، ص٤٨.

(٦٢) Pennell, C.R: Law order and the Formation of an Islamic Resistance of European colonialism: The Rif 1921 – 1926, p . 28.

كما ورد في المجلة التاريخية المغربية، العدد (٢١ ــ ٢٢) نيسان ــ ابريـــل ــ ١٩٨١، تونس.

(٦٣) Robert Montagne : Revolution Au Maroc , Edition France Empire , (paris 1968) , p . 150.

أمين سعيد، ثورات العرب في القرن العشرين، دار الهلال، (بلا، بلا)، ص ١٧٧؛ جلال يحيى: المغرب العربي الكبير، الدار القومية للطباعة والنشر، (الاسكندرية ١٩٦٦)، جـــ ٣، ص٩٥٠.

(٦٤) القاضي، المصدر السابق، ص ٥٢ ــ ٥٤.

الفصل الثاني

جذور المقاومة المغربية للنفوذ الاجنبي ـ والاحتلال الاسباني في بداية القرن العشرين

شهد مطلع القرن العشرين حركة مقاومة مسلحة للاحتلال العسكري الأسباني في أقليم الريف، ومواجهة للنفوذ الأوربي بشكل عام في اقليم جبالة، وفي اقليم الريف قاد حركة المقاومة المسلحة الشريف محمد أمزيان، فيما قاد المواجهة والتعبئة الشريف احمد الريسوني في اقليم جبالة.

لعل أبرز ما تميزت به حركة المقاومة المغربية المسلحة هو مركزها في الأرياف، حيث أصبح سكانها القوة الاجتماعية الرئيسية في حركة المقاومة. كما تميزت بالطابع العفوي المقترن في بعض الأحيان بالجهد المنظم، الى جانب الاندفاع العام للمواجهة والارتفاع فوق النزاعات المحلية الى الالتحام والشعور بالهم الوطني العام.

حركة المقاومة المغربية في اقليم جبالة:

شهد اقليم جبالة منذ مطلع القرن العشرين جهدا فرديا، سرعان ما ترك بصماته بين سكان الاقليم، وبدأ يتوسع محليا ليصل بعد ذلك الى المستوى الوطني المعبر عن الكفاح من أجل الحرية والاستقلال والوحدة الوطنية.

وفي اقليم جبالة، ظهر الشريف احمد الريسوني[١] ، على مسرح الأحداث الوطنية منذ عام ١٩٠٣، وقد انصب جهده في البداية على مواجهة الحضور الأجنبي في المغرب افرادا ونفوذاً سياسيا واقتصاديا مخلخلا للسيادة الوطنية وفي ظل حكومة عاجزة وأجهزة ادارية ضعيفة و"متعفنة".

بدأ الشريف احمد الريسوني بالقبض على بعض الشخصيات الأجنبية في محاولة لاثارة انتباه دولها الى أن هناك قوة شعبية رافضة للاحتلال الأجنبي، والعمل على استحصال فدية مالية من جراء ذلك لتمكينه من شراء السلاح وتوزيعه على الافراد والجماعات التي التفت حوله في منطقة الزينات. وعليه فقد القى القبض على الصحفي والجاسوس البريطاني والتر هاريس يوم ١٦ آذار ــ مارس ١٩٠٣. كما قام باختطاف القنصل الامريكي بيرديكارس وصهره فارلي يوم ٢١ آيار ــ مايو ــ ١٩٠٤. ولم يطلق سراحهم الا في ٢٤ حزيران ــ يونيو ــ ١٩٠٤ وبعد مفاوضات جرت بينه وبين الحكومتين البريطانية والفرنسية، وقد حظي الشريف الريسوني من عملية الاختطاف كما يقول القنصل الامريكي "بشعبية كبيرة وسط المغاربة الذين يساعدونه بكل الطرق"، وقد عدّ المواطنون المغاربة عملية الاختطاف واجبا وطنيا ودينيا[٢] .

يؤكد المؤرخ الاسباني اورتيكا الدوافع الوطنية لعملية الاختطاف عندما يقول بأن الريسوني ".. أخذ على عاتقه القيام بمسؤولية حكومة ضعيفة تسرب اليها كثير من الخونة، وليتمكن من الكفاح.. قام الشريف الريسوني بالاختطاف وكرر هذه المشاهد عدة مرات، وكان لا يتم الافراج عن المختطفين الا بعد أن تؤدي ذعائر تسيء الى سمعة الدول العظمى يوم ذاك، والا بعد أن يخول امتيازات سياسية تمكن الشريف من التمركز كقائد للحرب المقدسة"، ويشير أحد أسراه، بأن الريسوني اندفع للاختطاف "لينقذ بلده وشعبه من الضغط الأجنبي"[٣] .

لقد برز الشريف الريسوني قوة شعبية متنفذة في اقليم جبالة، وعليه فقد استطاع انتزاع ظهير (مرسوم) سلطاني اعترف به حاكما على أحواز طنجة منذ ٢٨ حزيران ــ يونيو ــ ١٩٠٤، استطاع الشريف الريسوني أن يدير منطقة

نفوذه بكل كفاءة واخلاص للمخزن "فعرف الناس بفضله فترة اكثر أمنا بالمقارنة مع الحالة التي سادت سنة أو سنتين من قبل"(٤) .

ومنذ العام ١٩٠٤، وعلى اثر تصاعد التدخل الفرنسي في المغرب بعد الاتفاق الودي مع بريطانيا، وقف الشريف الريسوني ضد مشاريع "الاصلاح" الفرنسية المقدمة الى المغرب عام ١٩٠٤، وضد نفوذها العسكري (البعثة العسكرية) بشكل خاص، وتفيد احدى الوثائق الحديثة ما يؤكد ذلك بالقول: "تفيد جميع الاستعلامات ــ الاستخبارات ــ أن الريسوني يقوم بتحريض المغاربة ضد البرنامج الاصلاحي الذي قدمه السفير الفرنسي سانت رونو تيلادى للمخزن"(٥) . كما وقف الشريف الريسوني ضد مؤتمر الجزيرة الخضراء المنعقد في اسبانيا عام ١٩٠٦، وأشارت احدى الوثائق الاستعمارية بأن الريسوني "يقوم بدعاية كبيرة ضد المؤتمر المنعقد بالجزيرة الخضراء في الأوساط المغربية والأجنبية هنا ــ في طنجة..". كما وقف ضد محاولات التوقيع على قرارات المؤتمر ووجه رسالة الى النائب السلطاني في طنجة هدده فيها "بوقوع ثورة في البلاد اذا هو وقع على ما اتفقت عليه الدول في المؤتمر". وعليه، فقد أكدت فرنسا وأسبانيا على ضرورة ازاحة الشريف الريسوني عن الساحة الوطنية، تؤكد ذلك احدى الوثائق الاستعمارية بالقول "من الضروري القضاء على الريسوني أو العمل على اضعاف نفوذه بطنجة اذا أردنا تطبيق مقررات المؤتمر". وقد حاولت الدولتان أن تروعه بمناورة بحرية، لكنهما لم تستطيعا أن تثنياه عن عزمه الرافض لأطماعهما في البلاد(٦) .

ان تلك الوقفة الريسونية جسّدت حقيقة الموقف الشعبي المغربي وعبّرت عن طموحاته في الاستقلال والسيادة الوطنية، ومن هنا كانت خشية القوى الأوربية التي مارست ضغوطا على المخزن لاجباره على اقالة الشريف

الريسوني. وربما جاء ذلك متطابقا مع رأي المخزن المغربي الذي شعر ـ نتيجة استخذائه ـ بخطر الموقف الشعبي، وخشي أن يأخذ أبعادا أشمل واكثر فاعلية على صعيد المغرب عامة، وعليه وتحت ضغط البعثات الدبلوماسية، صدر ظهير ـ مرسوم ـ سلطاني بتاريخ ٢٨ كانون أول ـ ديسمبر ـ ١٩٠٦ قضى باقالة الشريف الريسوني من منصبه. واندفعت الحكومة المغربية اكثر لقبر ذلك التيار الشعبي فأرسلت في ٢٠ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٠٧ جيوشها بقيادة الكولونيل الانكليزي هنري ماكلين (أربعة آلاف جندى مزودون بالمدفعية) للقضاء على الشريف وأتباعه. والتجأ الشريف الريسوني الى زاوية سيدي يوسف التليدي في ١٢آذار ـ مارس ـ وهناك بدأ بتعبئة الشعب لمواجهة القوات الحكومية التي رأى فيها تعضيدا للحضور الأجنبي، لكن القوات الحكومية لم تستطع تحقيق غايتها، واضطر السلطان عبدالعزيز الى طلب الصلح بواسطة الكولونيل ماكلين.

اشترط الشريف احمد الريسوني أمرين: أولهما، تنازل السلطان عبدالعزيز عن العرش لأخيه الأمير عبدالحفيظ، وثانيهما، عدم الاعتراف بمقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء. ورفض التدخل الأجنبي في شؤون المغرب. وازاء هذا التصلب في الموقف الشعبي، أصر السلطان عبدالعزيز على القضاء على الشريف الريسوني، لكن الأخير استطاع القبض على مبعوث السلطان الكولونيل ماكلين ولم يتم الافراج عنه الا بفدية مالية كبيرة قدرت بعشرين الف جنيه(٧) .

بدأ موقف الرفض الشعبي للاحتلال الأجنبي، أفرادا ومصالح سياسية واقتصادية، الى جانب تردي الأوضاع الداخلية وعجز السلطة العزيزية عن مجابهة التمردات الداخلية المدعومة من قبل الأجانب (تمرد أبو حمارة الجيلالي الزرهوني منذ عام ١٩٠٢)، الى جانب العجز عن مجابهة العدوان الفرنسي

والاسباني (الهجوم على وجدة والدار البيضاء والشاوية)، يتسع ليشـــمل عمــوم المغرب، فأدان الشعب سلطانه في نهاية عام ١٩٠٧ وأعلن خلعه، وبايع شــقيقه الأمير عبدالحفيظ بن الحسن الأول (١٩٠٨ ـ ١٩١٢) في مطلع العـــام التـــالي سلطانا على البلاد بعد أن تعهد برفض كل الامتيازات الأجنبية التي وافق عليـــها السلطان عبدالعزيز وفي مقدمتها مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء، والعمل علــى اصلاح أحوال البلاد والقضاء على التمردات الداخلية والعدوان الخارجي.

أيد الشريف احمد الريسوني حركة السلطان عبدالحفيظ انطلاقا من موقف فكري وعملي معروف، وقدم ولاءه للسلطان الجديد في ٢٠ تشرين اول ـ اكتوبر ـ ١٩٠٨، لأنه رأى فيه ممثلا لارادة الشعب. وقد اعترف به السلطان عبدالحفيظ حاكما على اثنتي عشرة، قبيلة من قبائل جبالة والهبط وغمارة، فعاد ثانيـــة الــى سلطته الادارية الشرعية واتخذ مدينة أصيلا قاعدة لحكمه، وجاء ذلـــك بموجــب الظهير السلطاني المؤرخ في ٢٢ شباط ـ فبراير ـ ١٩٠٩، وأضيفت له باشوية القصر الكبير وقيادة الخطوط في ٣ حزيران ـ يونيو ـ من العام نفســـه. وقــد حرص الشريف الريسوني خلال فترة باشويته على تنفيذ تعليمات المخـــزن وأداء واجباتـــه الادارية والسياسية وبما يتطـــابق مـــع منطلقاتـــه الوطنيـــة الفكريـــة والعملية[٨] .

استمر الشريف احمد الريسوني في عمله حتى عام ١٩١١، وفـــي ذلـــك العام بدأ الشمال المغربي يشهد غزوا عسكريا اسبانيا تزامن مع الغزو الفرنســـي للعاصمة فاس، وبسبب ضعف المخزن تم احتلال العرائش والقصر الكبير يومـــي ٨، ١٠ حزيران ـ يونيو ـ ١٩١١، ومع بدايـــة العـــام ١٩١٢ بـــدأت الثـــورة الشعبية ضد السلطان عبدالحفيظ لعدم وفائه بشروط البيعة التي أوصلتـــه للحكـــم

وعدته "سلطان الجهاد" عام ١٩٠٨، فيما عدته الثـــورة الشـــعبية عـــام ١٩١٢ "سلطان الفرنسيين".

وبعد اعلان الحماية الفرنسية على المغرب فـــي ٣٠ آذار ـــ مـــارس ـــ ١٩١٢. قامت اسبانيا من جهتها باحتلال مدينـــة أصيـــلا التـــي كـــان الشـــريف الريسوني حاكما فيها. وقد حاول الأسبان قبل الاتفاق مع فرنسا في ٢٧ تشـــرين الثاني ـــ نوفمبر ـــ ١٩١٢ لجعل الشريف الريسوني مرشحا لمنصب "الخليفـــة"، ويبدو أنهم أرادوا من خلاله السيطرة على اقليم جبالة دون عناء، وقبل أن يصـــل الأسبان والفرنسيين الى اتفاقـــهما أدلـــى الشـــريف الريســـوني فـــي ٢٢ آب ـــ أغسطس ـــ ١٩١٢ بتصريح لأحد الصحفيين الأسبان أدان فيه فرنسا، وقـــال: "اذا أنتم تريدون رأيي بكل صراحة، أقول لكم أنني اعتـــبر فرنســـا هـــي المســـؤولة الوحيدة عما يعانيه المغرب اليوم من تفكك وتجزئة وتفرقة واضطراب، لأنه لـــولا عملها هذا ما استطاعت أن تفرض ما تسميه حمايتها على البلاد. ففـــي نظـــري هي الجانية الوحيدة على هذه الأمة.. وهكذا اعتبرتها دائما حين كنت أنا وحـــدي أفهم مقاصدها، فكنت أقاومها واقفا ضد مخططاتها الرامية الـــى القضـــاء علـــى المغرب..."[٩] .

وجاء اعلان الحماية الاسبانية على الشمال المغربـــي بموجـــب الاتفـــاق الفرنسي ـــ الاسباني ـــ الآنف الذكر ـــ ليضع الشريف احمـــد الريســـوني علـــى المحك ـــ بعد أن اصبح تيارا شعبيا ـــ ويظهر لنا الصورة الحقيقية الاكثر اشـــراقا في مواقفه الوطنية ـــ كما سيتضح لاحقا.

حركة المقاومة المغربية في اقليم الريف:

في الوقت الذي كان الشعب المغربي يعيش غضبه على تصاعد حدة النفوذ الأجنبي في المغرب بعد الاعلان عن مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء لعام ١٩٠٦، وتعرض البلاد للعدوان الفرنسي والاسباني في العام ١٩٠٧، الى جانب تنامي قوة التمرد الداخلي للمدعو (أبو حمارة) وعجز السلطة العزيزية على الاحكام بالأمور، وانتقال الغضب الشعبي الى ثورة أطاحت بالسلطة العزيزية العاجزة والبيعة للسلطان عبدالحفيظ بن الحسن الأول، نقول في ذلك الوقت المضطرب بالأحداث الجسام، كان اقليم الريف يعيش مرحلة من الصدام العسكري المسلح ضد الاحتلال الاسباني في مليلية والنكور وضد محاولاته التوسعية. وقد كانت المقاومة المغربية المسلحة في تلك المنطقة تمثل امتدادا تاريخيا لمقاومة ابناء المغرب الاحتلال العسكري الاسباني في الشمال المغربي منذ القرن الخامس عشر.

ففي عام ١٩٠٩ تصدت قبيلة قلعت المتاخمة لمدينة مليلية بقيادة الشريف محمد امزيان(١٠) ، للمحاولات التوسعية للقوات الاسبانية، وقد اندفع أقليم الريف لمساندة امزيان، وحدثت معركة "الديوانة" التي كلفت الاسبان خسائر في الافراد كبيرة الى جانب خسارة مالية بلغت اكثر من (١٠٠) مليون بيزتا، وقد أثارت هزائمهم هيجانا داخليا في اسبانيا، وهو الهيجان الدامي الذي سمي (اسبوع برشلونة) والذي سقطت على أثره حكومة مورا. وبعد معركة الديوانه التي حدثت نهاية العام ١٩٠٩، قرر الشريف عقد مؤتمر عام لتنظيم عمليات المواجهة المسلحة واعطائها بعدها التنظيمي الاكثر دقة وعدم حصرها في اطار

الجهود المبذولة لقبيلة قلعية، وجاء ذلك المؤتمر في محاولة لتوجيه عمليات المقاومة على وفق آليات عمل منظمة على صعيد الأفراد والامكانات التسليحية والاقتصادية، وفي ظل غياب الدعم الحكومي.

انعقد المؤتمر العام لحركة المقاومة المغربية في اقليم الريف بقيادة الشريف محمد أمزيان وكبار قبيلة قلعية والقبائل المتحالفة معها لصد التوسع الاسباني، وقد وضع المؤتمر ستراتيجية كفاحية جاءت متطابقة مع التصورات والامكانيات آنذاك، وتمثلت بمايلي:

ـ تخصص كل قبيلة عددا من رجالها يكونون ثابتين في معسكر المجاهدين قرب مراكز الدفاع، ولها الحرية في استبدالهم، فضلا عن تجهيزهم بالمؤونة التي يحتاجونها.

ـ اتباع اسلوب متميز في توصيل أخبار التوسع الاسباني حال وقوعه واعلام القبائل بذلك، وذلك بالعمل على اطلاق المشاعل النارية في كل مكان لتكون اشارة لتأهب القبائل للاستعداد والمواجهة لذلك التوسع العدواني.

ـ تجديد ترشيح الشريف محمد أمزيان لقيادة حركة المقاومة وتنظيم عمليات الدفاع(١١) .

وضع المؤتمرون بتلك المقررات، الخطوط الأولى لظهور القيادة الموحدة لقبائل المنطقة، وساعد التحدي الخارجي كما هو معروف في تاريخ المغرب، على اخراج الجهد الكفاحي من الاطار والولاء القبيلي الى الاطار المحلي الأوسع، ومن ثم الى الاطار الوطني الشامل، تفكيرا وسلوكا لمواجهة المعتدين على حرية واستقلال البلاد، وبهذا امتلك المؤتمرون طاقة بشرية واقتصادية وتسليحية ساعدت على مواصلة قتال القوات الاسبانية المحتلة، وضمن امكاناتهم المحلية.

ومن الجدير بالذكر، وما هو متميز في اقليم الريف آنذاك، وما هـو مشـترك ضمن الاطار العام للحركة الوطنية المغربية، وما هو معبر عن فهم عميق لطبيعة الصراع مع المحتل الأجنبي، أن المواجهة مع الأسبان، لم تقف عند حدود الاعداد العسكري الذي قاده الشريف محمد امزيان، بل رافق ذلك تعبئة وطنيـة سياسـية ودينية لأهالي الاقاليم من خلال المحاضرات والندوات والمؤتمرات التعبوية التـي قام بها الشيخ محمد العزوزي[١٢] ، وهو أحد فقهاء المنطقـة وأبـرز العنـاصر الدينية التي لعبت دورا في اثارة الحماس للجهاد في الشمال المغربي. فقد وظـف الدين على حقيقته موضحا الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبويـة الشـريفة التي تؤكد الاعتصام بحبل الله والاتحاد بين المؤمنيـن، لأن فـي الاتحـاد قـوة، والجهاد بالنفس والمال والأرواح لصد العدوان على البلاد والعباد، ورفض الـذل والعبودية والاستشهاد من أجل ذلك.

لقد استوحى الشريف محمد أمزيان والشيخ العـزوزي مـن المرجعيـة الدينية ـ التي كانت أساس الحركة الاصلاحية والوطنية في المغرب ـ الأسـاس في اثارة الشعور الوطني وتوجيهه لخدمة قضية الجهاد للدفاع عن الوطـن ضـد الاعتداءات الاسبانية المتكررة، و"كان باب الجهاد في كتـب الفقـه هـو البـاب المفضل لتلاوة ما جاء فيه على مسامع المجاهدين في القرية والقبيلة والأسـواق ومجامع الصالحين في الزوايا وغيرها"[١٣] .

وعلى تلك الأسس الفكرية والتنظيمية واصلت حركة المقاومة المغربيـة كفاحها في اقليم الريف بقيادة محمد أمزيان منذ عام ١٩٠٩ وحتى منتصف عـام ١٩١٢، وخاضت حركة المقاومة معارك عديدة لعل أبرزها معركة الحمـام أزورا، مرسى أركام، تزكهارت، سلوان، اسغنغان، أحد بنـي شـيكار، تيكـارمين، وادى الكرت، ومعركة وادي الديب التي استشهد فيها المجاهد الشريف محمـد امزيـان

في ١٠ آيار ـ مايو ـ ١٩١٢ فيما تزعم حركة المقاومة بعده المجاهد محمد بقيش(١٤) .

كلفت معارك حركة المقاومة الريفية بقيادة الشريف محمد أمزيان القوات الاسبانية الكثير من الخسائر في الافراد والمعدات، وبلغ ما صرف على معارك الاحتلال اكثر من (١٠٠) مليون بيزتا اسبانية، وقد ترتب على ذلك هيجان في اسبانيا (اسبوع برشلونة)، واستمرت حركة المقاومة بعد ذلك حتى اعلان الحماية الاسبانية، حيث كان للهجمات الكبيرة، والتفوق التقني في السلاح أثره في اسكات المقاومة في اقليم الريف، ومن ثم بفعل الجهود "السلمية" التي مارستها القوات الاسبانية في اقليم الريف، ولكن الى حين.

انطلاق الثورة في اقليم جبالة

أدى اعلان الحماية الثنائية الفرنسية والاسبانية على المغرب عام ١٩١٢ وسقوط المخزن المغربي في أسرها الى ثورة الشعب المغربي في جميع أنحاء البلاد، وبرزت قيادات شعبية واصلت النضال ضد الاحتلال الفرنسي حتى عام ١٩٣٥. أما في الشمال المغربي الذي خضع للاحتلال الاسباني، فقد ثار الشعب في اقليم جبالة وراء قيادة الشريف احمد الريسوني منذ عام ١٩١٢ وقامت تلك الثورة منذ بداية انطلاقها على أسس فكرية وتنظيمية استوعبت طبيعة عملها وأهدافها.

منذ البداية، أيقن الشريف احمد الريسوني أن المواجهة مع القوات النظامية الاسبانية ـ وفي ظل عدم التكافؤ في الامكانات التسليحية ـ ستكون قضية انتحارية لاريب، وكان عليه العمل في القضاء الاجتماعي والجغرافي الذي

خبره وساسه وعرف مخابيء منطقته الجغرافية، وتحقيق الموازنة في المواجهة العسكرية وفق الاسلوب التاريخي في الكر والفر وحرب الكمائن. وما كان عليه لتحقيق ذلك الا الالتجاء الى وسطه الاجتماعي والجغرافي الأقرب، لتشكيل نواة القوات الجبالية المجاهدة لتكون رمز استقطاب لأهالي الاقليم ككل، فكانت منطقة الزينات وزاوية تازروتس قاعدة الانطلاق للثورة والمواجهة المصيرية.

في كانون أول ـ ديسمبر ـ ١٩١٢ غادر الشريف احمد الريسوني مدينة أصيلا التي كان حاكما عليها في عهد السلطان عبدالحفيظ بعد أن تم احتلالها من قبل الاسبان تنفيذا لاتفاق ٢٧ نوفمبر ١٩١٢ ليقود الكفاح الشعبي المسلح ضد الاحتلال الاسباني، واتخذ من منطقة "الزينات" في قلب جبالة قاعدة للمقاومة.

وقد بقي الشريف الريسوني خلال شهر كانون أول ـ ديسمبر منهمكا في الاستعداد والتنظيم لحركة المقاومة الجبالية لمواجهة التحدي الاستعماري، حتى اذا ما انتهى من ذلك أعلن الحرب ضد اسبانيا[١٥] . والتي كانت بدورها تسعى الى فرض سيطرتها العسكرية على عموم المنطقة التي حددها الاتفاق مع فرنسا، واستطاعت منذ ١٩ شباط ـ فبراير ـ ١٩١٣ احتلال مدينة تطوان التي اتخذتها عاصمة للمنطقة الخليفية وأصبح مولاى المهدي بن اسماعيل "خليفة" لسلطان المغرب يوسف بن الحسن الأول، منذ ٢٧ نيسان ـ ابريل ـ ١٩١٣.

مؤتمر عين الدالية:

بدأ الشريف احمد الريسوني من منطقة الزينات بتعبئة الشعب وتنظيمه في اقليم جبالة لمواجهة الاحتلال الاسباني.

ومنذ البداية أيقن أن المواجهة مصيرية، وأن الاعتماد على قبيلته لمواجهة خصم كبير في عدته وعدده غير ممكن، وأن عليه تحشيد اكبر قدر من القوى البشرية والاقتصادية والتسليحية قبل الاقدام على عمل كبير كهذا. وعليه ففي ١١ آيار ــ مايو ــ ١٩١٣ عقد مؤتمر (عين الدالية)، وهو أول مؤتمر شعبي عرفته حركة المقاومة الجبالية وصاغت قراراته الصادرة بالاجماع، الأسس والمبادىء السياسية والعسكرية والاقتصادية للكفاح المسلح. وحضر المؤتمر مندوبون عن مناطق جبالة وغمارة والساحل. وقد انتخب المؤتمرون الشريف احمد الريسوني قائدا أعلى لحركة المقاومة الجبالية. كما تم انتخاب المجلس العلمي (الشورى) للثورة وقائدها من كبار شيوخ وعلماء المنطقة.

اتخذ المؤتمر مجموعة من القرارات التي حددت ستراتيجية الكفاح، وجاء فيها:

١ــ اعلان الجهاد ضد الاحتلال الاسباني.

٢ــ الزام جميع القادرين على حمل السلاح من أهالي المنطقة للمشاركة في الكفاح الوطني وبشكل متناوب "الايدالة".

٣ــ تكوين قوات عسكرية (محلة) منظمة على الطريقة العصرية في مجال التعبئة والتدريب والتموين والتسليح.

٤ــ تكوين مجموعات عسكرية متنقلة تتألف من (١٠٠) راجل و(٥٠) فارس ليكونوا حلقة الاتصال بين القيادة والمراكز العسكرية المنبثة في عموم المنطقة، لتسهيل مهمة نقل التعليمات والخطط الواجب اتخاذها.

٥ــ اقامة نقاط عسكرية (رباطات) عديدة في الأماكن الاستراتيجية المهمة التي تواجه المراكز (المعسكرات) الاسبانية.

٦ــ انشاء مخازن للسلاح والعتاد في جميع القبائل.

٧ ــ تعيين مسؤول يشرف على الشؤون المدنية والعسكرية في كل قبيلة.

٨ ــ تأليف مجلس اعلى لحركة المقاومة الجبالية مكون من (٧) مجاهدين مهمته اتخاذ القرارات الخطيرة، ويجتمع بطلب من الشريف احمد الريسوني[١٦] .

وهكذا يتوضح أن مؤتمر "عين الدالية" اكد على ضرورة تعبئة كافة الطاقات البشرية لمواجهة المحتل، وتنظيم عملية المشاركة بالتناوب (الايدالة) من أجل الاستمرار في ممارسة النشاطات والفعاليات الاقتصادية، الزراعية منها بشكل خاص، لدعم المجهود الحربي، وتوزيع مخازن السلاح بشكل أفقي في جميع المناطق بهدف تسهيل مهمة المشاركة الكاملة لقوات المقاومة وضمان سرعة تحركها.

ان أهم ما تمخض عن المؤتمر تشكيل "المجلس الأعلى" للثورة، وهو بمثابة القيادة العسكرية والسياسية للثورة، برئاسة الشريف احمد الريسوني، وبذلك يتضح أن ثورة جبالة قامت على أسس تنظيمية ثابتة اكدت على الصيغة الجماعية والديمقراطية للكفاح من جهة، ولادارة المناطق المحررة من جهة أخرى، كمرحلة أولى على طريق التحرير للشمال المغربي وللمغرب ككل.

كان ذلك الاستعداد والتنظيم الشعبي لمواجهة الاحتلال يؤكد عمق الوعي بأهداف الاحتلال الذي بدأ يزحف للسيطرة على مناطق الشمال المغربي كافة في اقليمي الريف وجبالة، الى جانب الوعي بهامشية الدور "الخليفي" وشكليته وعجزه عن الحد من نفوذ الاسبان ان لم يكن الرضوخ لهم.

بدأت حركة المقاومة الجبالية بقيادة الشريف احمد الريسوني منذ ١٣ آذار ــ مارس ــ عام ١٩١٣ مواجهتها الفعلية للحشود الاسبانية التي بلغت اكثر

من (٤٠) الف جندي مجهزين بأحدث الاسلحة لتحقيق السيطرة المباشـــرة علـــى عموم اقليم جبالة.

وفي الوقت نفسه كانت حشود أسبانية اخرى في اقليم الريف تنطلـــق مـــن قواعدها في مليلية وبادس للتوغل في داخل البلاد، وتمكنت من احتـــلال معظـم الريف في السنوات اللاحقة، وأما في اقليم جبالة، فان المقاومة الجباليـــة حـــالت دون ذلك في السنوات الأولى من الصدام المسلح.

وخلال العام ١٩١٣ وقعت معارك متعددة بين الجانبين كانت أشهرها معركـــة اللوزيين قرب تطوان في ١٠ حزيران ــ يونيو ــ حيث تكبد الاسبان مئتي قتيـل، فيما استشهد ثلاثون من افراد المقاومة، وكانت هذه المعركـــة بدايـــة المقاومـــة الباسلة ضد اللامشروعية الممثلة في عقد الحماية[١٧] .

كانت حركة المقاومة في اقليم جبالة، تواجه قواتاً منظمة ومجهزة بـــأحدث الأسلحة والمعدات، ومدربة على الأساليب الحديثة والنظامية، عليه ومـــن أجـل تحقيق التوازن في القدرة القتالية وتجاوز حالة عدم التكافؤ في العـــدد والعـدة، وتوظيف الطبيعة الجغرافية للمنطقة لخدمة أسلوب قتالي يحقق هذا الهدف، فقـــد اتبع الشريف الريسوني أسلوب حرب الكمـــائن (حـــرب العصابـــات)، لمواجهـــة الجيوش النظامية وحقق في ذلك نجاحات باهرة. كما اتبع الشـــريف الريســوني خطة عسكرية تقوم على استدراج القوات الاسبانية الـــى معاقلـــه فـــي الجبـــال والانقضاض عليها دون تضحيات تذكر، والايقاع باعداد منها فـــي الأســر بغيـــة افتداء الاسبان لها بالمال اللازم لتمويل حركة المقاومة، وكما عـــبر عـــن ذلـــك الشريف نفسه، "تصير عندي بضاعة للبيع"[١٨].

استمرت حركة المقاومة في كفاحها ضد محاولات التوسع والاحتلال الاسباني طوال العام ١٩١٤ ودارت بين الجانبين معارك عنيفـــة عمـــت جميـــع المنـــاطق

والسكان، وكانت أشهر المعارك التي دارت، معركة بني سالم، ومعركة الصيـــاد، ومعركة قاع اسراس، وكان النصر فيها حليف القوات الجبالية، وقد اعترفت بذلـك صحافة مدريد، حيث أوردت احداها وهي صحيفة "ال يرالدودي مدريد" في عددهـا الصادر يوم ١٠ نيسان ـ ابريل ـ ١٩١٤ ما نصه "تعرضت قواتنـــا لـــهجومات قوية من العدو المغربي، وفي الحين وبمجرد العلم بالحوادث، خرجـــت ســيارات الاسعاف لجلب القتلى والجرحى للمعسكر الرئيس"[١٩] .

في خريف عام ١٩١٤ وبالتحديد في مطلع تشرين أول ـ اكتوبـــر ـ بـدأت الحرب العالمية الأولى بين بريطانيا وفرنسا وحلفائهما من جهة، والمانيا والدولـة العثمانية وحلفائهما من جهة أخرى، وأعلنت اسبانيا "حيادها" في الصراع الدائـــر بين تلك الأطراف الدولية. وبدأت في الحقيقة تنتظر ـ وتتمنى ـ أن تنتهي نتيجة الحرب بهزيمة فرنسا التي كانت تقاسمها النفوذ في المغرب. وانطلاقاً من ذلـــك، وفي محاولة للاقتصاد بنفقات العمل العسكري، فقد أوقفت المرحلة الأولــــى فــي ستراتيجيتها الاحتلالية القائمة على نشر نفوذها بالعمل العسكري الذي بدأت فيـــه عام ١٩١٢ ولغاية نهاية عام ١٩١٤، حيث بدأت المرحلة الثانية باتباع اســلوب العمل السياسي "السلمي" في محاولة لاستقطاب القــوى المتنفــذة فـــي المنطقــة لاحداث التفكيك الاجتماعي واشاعة التطاحن الداخلي، لا بـــل جــرت محاولاتــها لاستقطاب بعض الشخصيات القيادية في حركة المقاومة، من أجل تسهيل مهمـــة الاحتلال بدون تكاليف.

ومن جهة أخرى، استغل الشريف احمد الريسوني ظروف الحــرب العالميــة الأولى ولجوء اسبانيا الى أسلوب العمل السياسي، للعمل على اعادة تنظيم حركـــة المقاومة بعد اكثر من عام ونصف على الكفاح الوطني المكلل بالانتصارات التــــي استطاعت ايقاف العمليات العسكرية ومنعها من التوغل في اقليم جبالـــة. فكـــانت

البداية لمرحلة جديدة اكثر نضجاً على صعيد التعبئة والتنظيم لحركة المقاومة، وأكثر توسعاً في المجالين البشري والجغرافي.

مؤتمر الزوه:

في ١١ كانون الثاني ــ يناير ــ ١٩١٥، انعقد مؤتمر الزوه بقبيلة جبل حبيب، وحضر المؤتمر اكثر من ثلاثمائة ممثل عن القبائل الجبالية عدا قبيلة أنجره ــ الى جانب ممثلين عن بعض القبائل التي كانت خاضعة للنفوذ الفرنسي[٢٠]. ان هذا الحشد لممثلي سكان المنطقة الخاضعة للنفوذ الاسباني وبعض ممثلي المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسي يؤكد الابعاد الوطنية لانطلاق الثورة الجبالية وفعاليتها التي لم تقف عند حدود تحرير الشمال المغربي والقضاء على الاحتلال الاسباني فحسب، وانما هدفت الى تحرير كامل المغرب من الحماية الاستعمارية، ولم تكن انطلاقتها في اقليم جبالة الا مرحلة أولى على طريق تحرير كامل التراب الوطني.

وعلى هذا الأساس، ثارت ثائرة الاقامة الفرنسية ممثلة في شخص المقيم العام الجنرال ليوطي، على الشريف احمد الريسوني ومؤتمر الزوه، وحاولت اغتياله بالاستعانة ببعض افراد قبيلة انجرة، الا أنها أخفقت في ذلك. ومن جهة أخرى تأكد للمستعمرين أن الشريف الريسوني يتمتع بتأييد شعبي كبير، وأن حركة المقاومة ومن ورائها الشعب تسير وراء قيادته، فلجأت اسبانيا وانطلاقاً من سعيها في فرض النفوذ عن طريق العمل السياسي ــ بعد أن عجزت عن ذلك بأسلوب العمل العسكري ــ الى المبادرة من جهتها لفتح باب المفاوضات، حيث أرسل المقيم العام الجنرال مارينا مبعوثين عنه الى الشريف الريسوني طالبا عقد

الهدنة بين الجانبين. وقد تم تقديم مشروع اتفاقية ثنائية في ٢٨ شباط ـ فبراير ـ ١٩١٥، الا أن الجنرال سلفتري قائد القوات الاسبانية في تلك المنطقة، الذي عرف بالعنجهية والصرامة والاصرار على فرض الاحتلال الاسباني بالقوة. أفشل مساعي الأسبان باغتياله أحد مفاوضي حركة المقاومة (علي القلعي) فأدى ذلك الى استقالة الجنرال مارينا، والعمل على نقل الجنرال سلفتري الى مدريد، ثم الى اقليم الريف، وتم تعيين الجنرال جوردانا مقيماً عاماً في منطقة الحماية الاسبانية بتاريخ ١٥ آب ـ أغسطس ـ ١٩١٥. وقد واصل الطرفان مباحثاتهما مع قادة حركة المقاومة، وقد جاء في شروط الهدنة مايأتي:

(اولاً : ان القبائل الخاضعة لنفوذ الريسوني ستتمتع باستقلالها الداخلي.

ثانياً: ان الجيش الاسباني سيضع حداً لعملياته الحربية.

ثالثاً: ان المحافظة على الأمن ستكون على عاتق الشريف بمساعدة مادية من أسبانيا.

رابعاً: ان الهدنة ستدوم طوال الحرب العالمية.

خامساً: ان الاتفاق سيدخل حيز التنفيذ غادة اعفاء سلفستري من منصبه).

وقد تم التوقيع على اتفاقية الهدنة في ١٣ ايلول ـ سبتمبر ـ ١٩١٥ وتضمنت الاتفاقية (٣٠) بنداً منها:

١ ـ اعتراف اسبانيا بزعامة الشريف الريسوني على اقليم جبالة.

٢ ـ تجميد الموقف العسكري للطرفين وبقاء كل منهما في المواقع الخاضعة له.

٣ ـ قبول مبدأ مراجعة وثيقة الحماية.

٤ ـ تعهد اسباني بدفع مبلغ مالي (مليونين من البيزتا) للشريف احمد الريسوني لانشاء جيش نظامي لا يزيد عدده عن الف جندي، يساعده في بسط نفوذه على المنطقة.

٥ ــ امداد اسباني للشريف الريسوني بكمية من السلاح مع ذخيراتــها وقــدرت بــ (٥٠٠ بندقية ماوزر مع ١٠٠ مسدس)

٦ــ تعهد اسباني بفتح أسواق مدينتي تطوان وسبته امام سكان جبالة.

٧ ــ تعهد الشريف الريسوني ــ في مقابل ذلك ــ بحفظ الأمــن فــي المنــاطق الجبالية، ويمنع وقوع أي هجوم على المراكز الاسبانية المرابطة على طول خــط تطوان الدشريين ــ سبتة ــ طنجة[٢١] .

يلاحظ من المواد الواردة في الاتفاقية المذكــورة الاعــتراف العلنــي بزعامــة الشريف احمد الريسوني على منطقة جبالة، وهي بطبيعة الحال زعامــة واقعيــة ومكتسبة ومنتخبة باجماع جماهيري. ان الاتفاقية جاءت لتؤكد ما هو واقع قــائم، واضطرت اليها اسبانيا تحت ضغط الهزائم التي لحقت بها، وعدم قدرتــها علــى القضاء على حركة المقاومة وقيادة الشريف الريسوني. من جهة أخر، يلاحــظ أن اسبانيا أرادت من خلال الاتفاق والدعم المالي والتسليحي للشــريف الريســوني، العمل على احتواء حركة المقاومة بشخص قائدها، وربطه بها ومحاولة الضغــط عليه من خلال ذلك. يبدو أيضاً أن اسبانيا أرادت من خلال ذلك الدعم العمل علــى تشويه صورة الشريف الريسوني وسمعته أمام سكان وزعماء المنطقة بكونه قــد أصبح احد رجالاتها في المنطقة مما سيؤدي الى احداث شروخات فــي النســيج الاجتماعي المتحد وراء قيادة الريسوني.

وفعلاً أثار هذا الاتفاق، حفيظة زعماء بعض القبائل (انجرة ــ ادراس ــ بنــي مصور ــ بني يدر)، وانتفضت ضد الشريف الريسوني، وتم تطبيق البند الســابع بحقها حيث تم وبالتعاون مع القوات الاسبانية القضاء على الانتفاضــة فــي ٢٤ تشرين أول ــ اكتوبر ــ ١٩١٥[٢٢] .

ما دوافع الشريف احمد الريسوني من عقد الاتفاق مع الاسبان في الوقت الـذي كانت فيه الكفة راجحة الى جانب حركة المقاومة حتى تلك المرحلة؟

كان من حق البعض أن يفهم الاتفاق تفريطاً بأهداف الثورة الجبالية، كما هو واضح من القبول بتجميد الصراع طوال فترة الحرب العالمية الأولـى، وبصـرف النظر عن الموقف السلبي المعروف لقبيلة انجره من حركة المقاومـة وقائدهـا الشريف الريسوني وعن الدوافع الشخصية لزعماء القبائل المنتفضة، فان واقـع الظروف الداخلية لحركة المقاومة بعد مرور اكـثر مـن سـنتين مـن الكفـاح وبامكانيات ذاتية تسليحية وتموينية محدودة، كان يدفع بحركة المقاومة في هـذا الاتجاه لاعادة تنظيم قواها من جهة والاستمرار بالفعاليات والنشاطات الزراعيـة والاقتصادية بشكل عام لخدمة دوام استمرارية الكفاح من جهة أخرى، ودعم ذلـك بما يمكن الحصول عليه من جراء تجميد الصراع مع الأسـبان، أو مـن خـلال استغلال الظرف الدولي بين أطراف الصراع في الحرب العالمية الأولى.

كان الاتفاق، بفرض الشريف الريسوني مبدأ مراجعة وثيقة الحماية، هو تـأكيد على ان الحماية لا تعني الاحتلال، وانما مساعدة الدولة المحميـة علـى تطويـر شؤونها بما يجعلها قادرة على ادارة شؤونها بنفسها، وكان التنصل مـن ذلـك، معناه اعتبار الاتفاق لاغيا، وكان ذلك تكتيكاً مرحلياً للشريف الريسوني الذي كـان يدرك الموقف الاستعماري الذي لا رجعة فيه عن الاحتلال تحت لافتة الحماية.

ومن جهة أخرى، دفعته الظروف الداخلية للثورة الى الوصول الى الاتفـاق الآنف الذكر، فقد عاشت الثورة الجبالية، ظروفاً اقتصادية صعبة علـى مسـتوى التموين الغذائي، اذ لا تمويل ولا معيل خارجي، كما ان مخازن التمويـن (القمـح خاصة) كانت على وشك النفاذ بسبب استنفار سكان المنطقـة واشـتراكهم فـي عمليات الكفاح المسلح والاستعداد الدائم للمشاركة[٣٢].

ان هاجس الكفاح ضد الاستعمار الذي كان يمور في عقل ونفس الشريف الريسوني وحركة المقاومة، لم "يتجمد" كما حدث للصراع مع الأسبان، وانما اندفع باتجاه الاحتلال الفرنسي ــ وبشكل محدود ــ بقيامه بامداد عدد من القبائل المحاددة.. لمنطقة النفوذ الاسباني والخاضعة للنفوذ الفرنسي التي حضر ممثلون عنها مؤتمر الزوه، فكان الشريف يدعم تلك المناطق معنوياً، ويقدم "الاعانة المادية سراً"(٢٤) .

لقد أكدت الأحداث بعد مدة، أن الهدنة بين الشريف الريسوني والأسبان، كانت تكتيكاً مرحلياً أقتضته الظروف المشار اليها، وبقى هاجس العودة الى الكفاح بعد نضج الظروف الموضوعية والذاتية هو المحرك للشريف وحركة المقاومة. لا بل ان الشريف الريسوني بلغ من الجرأة انه صرح في زمن الهدنة، لصحافي اسباني عام ١٩١٧ برغبته في التعامل مع اسبانيا على أساس المصالح المشتركة والقائمة على الاعتراف باستقلال البلاد واحترام سيادتها، فقال: "اننا لا يمكن أن نتعاون مع اسبانيا الا فيما يخص ادخال الاصلاحات العصرية الى البلاد مع احترام استقلالنا وديننا وتقاليدنا"(٢٥). وعلى الرغم من شروط الهدنة كان الشريف الريسوني مستمراً في مضايقة القوات الاسبانية، وربما كان ذلك أيضاً للضغط عليها بعد أن رأى مواقف التسويف والمماطلة في تنفيذ شروط الهدنة وخاصة مايتعلق بالقضايا المالية، وقد أشار الجنرال جوردانا الى ذلك بقوله عن الريسوني: "... لم يطرأ على سيرته العادية أي تغيير، فهو لا يريد شيئاً آخر سوى فرض قوانينه علينا، ويعمد الى التهديد عندما يريد شيئاً منا والى التسويف عندما نطلب منه أي شيء"(٢٦).

واذا كانت الظروف الداخلية للثورة هي التي قادت الشريف الريسوني الى اتخاذه موقفاً عقلانياً مرحلياً في التعامل مع الاحتلال، والاتفاق على تجميد

الصراع، فانه كان يدرك بوعيه السياسي العميق وبصيرته النفاذة طبيعة السياسة الاستعمارية الاسبانية أو الفرنسية الهادفة الى فرض الاحتلال بالقوة واخضاع البلاد للاستغلال الاقتصادي والافقار والتجهيل، وان لجوء اسبانيا الى الهدنة لم تكن في حقيقتها غير تعبير عن سياسة "التهدئة" المعروفة للقوى الاستعمارية عندما تجد أن سياستها ووجودها مرفوضان، ويزداد اليقين بذلك عندما حددت اسبانيا اتفاقية الهدنة بفترة الحرب العالمية الأولى، أي انها مؤقتة، وانطلاقاً من ذلك كان كلا الطرفين يسعيان الى العودة الى تحقيق أهدافهما الستراتيجية المتناقضة.

من جهة أخرى، استغل الشريف احمد الريسوني الأوضاع الدولية القائمة آنذاك للعمل على تحقيق مكاسب تخدم القضية الوطنية لاغير، ومن هذا المنطلق مال "اعلامياً ودعائياً" الى الدولة العثمانية والمانيا في صراعهما مع فرنسا وبريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى وتلقى المعونة من الالمان على أمل قيامه بالهجوم على الفرنسيين في الجنوب، لكن موقفه لم يتعد الجانب الدعائي والذي يخدم بدوره القضية الوطنية من خلال التشهير والادانة لسياسة الاحتلال الفرنسي للمغرب ولم يصبح تابعاً لهم أو حتى للدولة العثمانية، بالرغم من الرابطة الدينية، فقد كان همّه هو العمل من أجل تحقيق الحرية والاستقلال الوطني، يؤكد ذلك ما ذكره الصحفي البريطاني والتر هاربس وكان من ألد اعدائه عندما قال: "أنه من المؤكد أن الريسوني لم يقم أبداً بأي عمل يذكر في صالحهم، لأن الريسوني لم يقبل في يوم من الايام البرنامج الالماني الرامي الى التخلي عن محاربة اسبانيا بهجوم منظم ضد الفرنسيين في منطقة حمايتهم... صحيح أن الريسوني استغل الدعاية الالمانية من أجل تحطيم سمعة فرنسا في المغرب، ولكنني لم أعثر على حجة واحدة تثبت أنه قام بعملس ما في صالح المانيا". ويؤكد ذلك أيضاً، المؤرخ

الاسباني غرسيا فيكراس بقوله: "اننا لا نتوفر على اية حجة صحيحة تثبت وجـود علاقة متينة بين الشريف والالمانيين، ولكننا نعلـم جيـداً أن الفرنسـيين كـانوا يعتبرون الريسوني اكبر عدو لهم في المغرب."(٢٧) .

ان ذلك الموقف "الدعائي" الذي اتخذه الشريف الريسوني في اثنـاء الصـراع الدولي خلال الحرب العالمية الأولى، يؤكد براعة الشريف ووعيه العسكري وفـي ظل امكانيات قتالية محدودة، بعدم وضع نفسه بين طرفي كماشة، بفتـح جبهـة جديدة، قبل أن يستكمل القضاء على الجبهة الأولى، خاصة وأن الحرب العالميـة، بدأت تضع أوزارها وشارفت على النهاية وبالشكل الذي ضمـن رجحـان الكفـة لصالح فرنسا وبريطانيا.

العودة الى الكفاح المسلح:

بدأت أسبانيا مع نهاية الحرب العالمية الأولى، واتضـاح رجحـان الكفـة لصالح الحلفاء، بتغيير سياسة العمل السلمي لفرض النفوذ على الشمال المغربـي في اقليمي الريف وجبالة، والعودة الى الاسلوب العسكري. وقد بدأت بوادر نقـض اسبانيا الهدنة منذ بداية عام ١٩١٨ من خلال مماطلتها وتسـويفها فـي تنفيـذ شروط الاتفاقية، تؤكد ذلك رسالة الشريف الريسوني .الى المقيم العـام الاسـباني خوردانا يوم ١٤ تموز ــ يوليو ــ ١٩١٨. جاء فيها: "لقد بعثت لكم عدة مـرات أخبركم انني سوف اعتبر الاتفاقية المبرمة بيننا ملغاة اذا أنتم استمريتم في عـدم تنفيذ بنودها الخاصة بتزويدي بمزيد من الاسلحة والعتـاد والمـال الضـروري لمواجهة الحالة الراهنة وأداء اجور عسـكرنا حسـب مـا تنـص عليـه تلـك الاتفاقية.... وعليه فانني أريد معرفة نيتكم، هل أنتم مستعدون للقيام بواجبكـم أم

لا؟, وذلك حتى يتضح لي مايجب أن أقوم به في شـــأن الاتفاقيـــة، فليـــس مـــن المعقول أن أكون أنا وحدي الملتزم بتطبيقها في الوقت الذي لا تطبقونها أنتم مـــن طرفكم، وسوف تكون هذه المرة الأخيرة التي ألفت نظركم.."[٢٨] .

ومن الواضح أن أسبانيا، وبعد أن أشرفت الحـــرب العالميـــة الأولـــى علـــى نهايتها بدأت تخطط للعودة الى العمل العسكري، وعدم تنفيذ بنـــود الاتفـــاق مـــع الشريف الريسوني لئلا تدعم امكانياته المالية والتسليحية في الوقت الـــذي تنفـــذ فيه مهمة الاحتلال بالقوة. كما ان الرسالة تؤكد أن الريسوني سيكون في حل مـــن الاتفاق اذا استمرت اسبانيا في التسويف في نبوده، وهو ما كان يأملـــه لتحميـــل اسبانيا مسؤولية الخرق، ومن ثم الشروع في المواجهة وبزخم معنوي اكثر بعـــد أن تهيأ للمواجهة وبدأ بتنظيم حركة المقاومة على أساس اكثر نضجاً، وهكذا بـــدأ يضع حداً لاتفاقية الهدنة عندما شرعت القوات الأسبانية بتنفيذ زحفها العســـكري لاحتلال أقليم جبالة.

لقد أراد الريسوني أن يجعل من قطع العلاقة مع الأسبان مسؤولية جماعيـــة لا فردية، لأنه أدرك بأن الثورة الجبالية ستدخل مرحلة جديدة من الكفاح الـــذي لا هوادة فيه ولا رجعة لكلا الطرفين عن تحقيق أهدافهما، وعلى هذا الأساس دعـــا الى مؤتمر شعبي عام.

في ٢ تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٩١٨ عقد الشريف الريسوني مؤتمراً قـــرب ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش، حضره جميع رؤساء القبـــائل، وتمخضـــت أعمال المؤتمر عن قرار استئناف الجهاد من أجل تحرير البلاد[٢٩] أما اسبانيا فقـــد بدأت تصعد من حملاتها العسكرية بتعيين الجنرال بيرنجر مقيماً عاماً جديداً فـــي الشمال المغربي منذ مطلع عام ١٩١٩. وفي الوقت نفسه وبعـــد مـــرور أربعـــة أشهر على مؤتمر المقاومة عند ضريح مولاي عبد السلام بـــن مشـــيش غـــادر

الشريف الريسوني معسكر دار ابن قريش وتوجه الى قرية تازروت ، وهناك اجتمع المجلس الأعلى للثورة تحت رئاسته، واتخذ المجلس قراراً بتأكيد الاتفاق السابق والقاضي باسئناف الجهاد لمواجهة الاحتلال، وشهدت الفترة ذاتها بداية التلاحم الوطني بين اقليمي الريف وجبالة حينما التحقت بصفوف الثورة الجبالية يوم ٩ حزيران ــ يونيو ــ ١٩١٩ مجموعة قتالية من قبضة أسنادية بقبيلة بني يطفت الريفية وتتكون من الف وخمسمئة من المجاهدين الريفيين[٣٠].

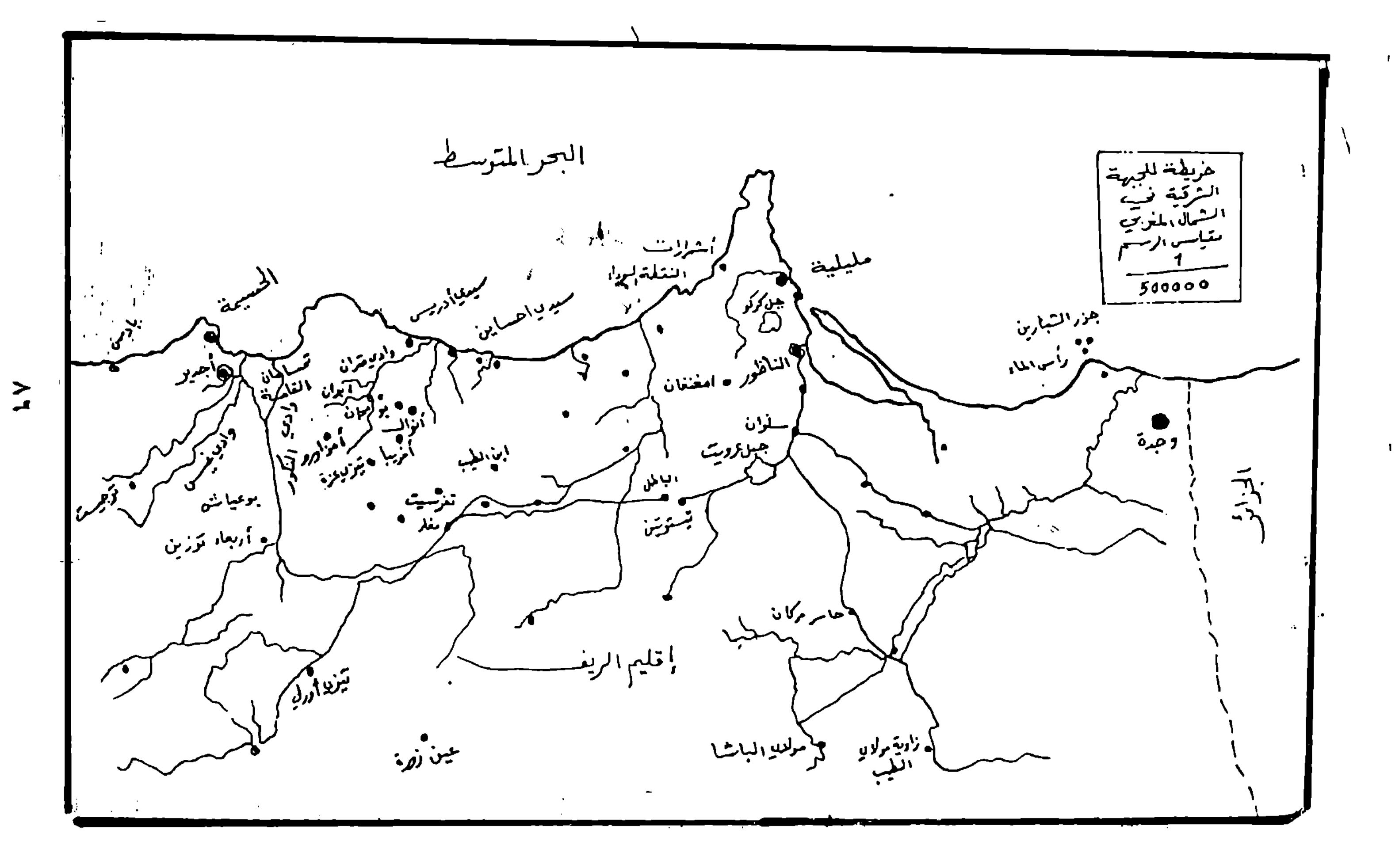
أدى تصاعد الموقف الوطني في الشمال المغربي وراء قيادة الشريف الريسوني الى قيام الجنرال بيرنجر بانتهاج اسلوب جديد في الاتكاء على (خليفة) السلطان المغربي، لاكساب عمليات الاخضاع العسكري لحركة المقاومة الوطنية (الشرعية) ومحاولة بذر الشقاق بين صفوفها، وكان ذلك باستصدار مرسوم من خليفة السلطان في ٥ تموز ــ يوليو ــ ١٩١٩ أعلن فيه الريسوني "خارجاً عن القانون"[٣١]. كما حاول المقيم العام الاسباني نهاية العام ١٩١٩ شق حركة المقاومة بالعمل على استقطاب احد رموزها الكبار وهو ولد إحميدو السكان الذي كان نائب الريسوني ومستشاره السياسي الأول، الا انه لم يفلح[٣٢] .

ان جهود الشريف الريسوني وهو يدرك ضرورة تحشيد اكبر الامكانيات البشرية لمواجهة التحدي الاستعماري ونزعته الجديدة، لم تقف عند حدود استنفار السكان في اقليم جبالة والريف، وانما سعى الى تثوير القبائل الجنوبية المحاددة لاقليم جبالة والخاضعة للنفوذ الفرنسي، وكان ذلك مع اشتداد الصراع بين حركة المقاومة وقوات الاحتلال الاسباني، ففي يوم ٢٠ آيار ــ مايو ١٩٢٠ عقد اجتماعاً مع ممثلي تلك القبائل للعمل على "تكوين جبهة موحدة للقيام بعمل عسكري مشترك ضد الزحف الاسباني والفرنسي في حوض وادي لوكس وقبائل

سماتة وبني كرفط وبني عروس"[٣٣] . وقد كانت منطقة النفوذ الفرنسي تشهد هي الأخرى حركة مقاومة شعبية مسلحة ضد الاحتلال الفرنسي.

استطاعت القوات الاسبانية بالرغم مما تكبدته من خسائر كبيرة في افرادها ومعداتها بسبب ما أبدته حركة المقاومة من استعداد للقتال وبسالة فيه، احتلال مدينة شفشاون في ١٤ آب ــ اغسطس ــ ١٩٢٠، بعد أن استخدمت المدفعية الثقيلة والطائرات والكثير من القوات النظامية، وبدأت تزحف صوب مقر الريسوني في تازروت حتى وصلت على بعد (٦) كم منه في منتصف عام ١٩٢١ وقد اعطى الجنرال بيرنجر للريسوني مهلة للاستسلام تنتهي يوم ٢٢ تموز ــ يونيو ــ ١٩١١[٣٤] .

وفي هذه المرحلة نفسها، كان اقليم الريف يشهد ثورة مسلحة بقيادة محمد ابن عبد الكريم الخطابي.


خريطة للجبهة الشرقية في الشمال المغربي
بمقياس الرسم
1
500000
البحر المتوسط
مليلية
الحسيمة
أجدير
سيدي ادريس
سيدي احساين
تمسامان
الناظور
امغنغان
سلوان
جبل عرويت
ابن الطيب
تفرسيت
بوعياش
رأس الماء
جزر الشفارين
وجدة
الجزائر
إقليم الريف
عين زهرة
زاوية مولاي الطيب

هوامش الفصل الثاني

(١) ينتمي الشريف احمد الريسوني الى اسرة عربية يعود نسبها الى فاطمة بنت النبيﷺ الى الخليفة الرابع علي بن ابني طالب ﷺ وكان لهذه الأسرة دور كبير في الكفاح ضد الغزوات الأجنبية على المغرب منذ أواسط القرن الخامس عشر، وقد أسس أجداد الاسرة زاوية دينية جهادية هي زاوية "تازورت" التي لعبت دوراً في تعبئة السكان وقيادتهم من خلال آل ريسون للجهاد ضد المعتدين. ومن أحد أفراد هذه المجموعة ولد الشريف احمد الريسوني عام ١٨٧٠. ونشأ وتربى حتى بلغ الصبا في أجواء دينية وثقافية عامة، وكان "مثالاً لحب العلم في أجلى مظاهر النجاح والفهم والذكاء" كما أبدى "موهبة غير اعتيادية ومهارة قيادية واضحة" الى جانب "العبقرية والنبوغ". هذه السمات الشخصية والثقافة العربية الاسلامية التي نشأ في ظلها، جعلت منه عنصراً واعياً لطبيعة الظروف المحلية والوطنية، فأدرك بعمق وببصيرة نافذة أبعاد ما يخطط له الأوربيون تجاه المغرب منذ مطلع القرن العشرين، وعلى ذلك كانت المواجهة بشخصه ومن ثم توسعت الدائرة الشعبية من حوله.

للتفاصيل عن حياة الشريف احمد الريسوني، انظر:

د. محمد علي داهش: الشريف احمد الريسوني، حياة وجهاد، مطبوعات دار الحياة، (تطوان ١٩٩٦) الفصل الأول، ١٩٩٥.

علي الريسوني: أبطال صنعوا التاريخ، المطبعة المهدية (تطوان ١٩٧٥)، ص ٩١ ــ ١٠١.

التهامي الوزاني: المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في شمال المغرب، تحقيق: محمد بن عزوز حكيم، مطبعة الساحل، (الرباط ١٩٨١)، ص٣٩ ــ ٤٣.

محمد بن عزوز حكيم: موقف الشريف الريسوني من الاستعمار الفرنسي، مطابع الشويخ، (تطوان ١٩٩١)، ص ١٩.

أمين الريحاني: المغرب الأقصى، رحلة في منطقة الحماية الأسبانية، دار المعارف، (القاهرة ١٩٨١)، ص ٣٦٠ ــ ٣٦٣.

ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، (الدار البيضاء ١٩٨٥)، ج ٣ ص٣٠٢ ــ ٣٠٣.

David. S. woolman; Rebels in the Rif, (London 1936) , p . 45 – 46 .

(٢) جمال هاشم احمد الذويب: التطورات الداخلية في المغرب الأقصى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ــ جامعة بغداد ، (بغداد ١٩٨٩)، ص ٩٢ ــ ٩٤

(٣)نقلاً عن علي الريسوني، المصدر السابق، ص ١٠٤ ــ ١٠٥.

(٤)عبد العزيز خلوق التمسماني: مواقف القائد احمد الريسوني في الميزان ١٩٠٤ ــ ١٩٠٦ (مجلة دراسات عربية، العدد (١) السنة (١٨)، تشرين الثاني ــ نوفمبر ــ ١٩٨١، ص ١٣٠ ــ ١٣٢

(٥)ابن عزوز حكيم، المصدر السابق، ص ٢١.

(٦)برقية وزير اسبانيا المفوض في طنجة الى وزير خارجية بلاده يوم ٢٧ / ٢/ ١٩٠٦. ويوم ١٩٠٦/٤/١٠ ويوم ١٩٠٦/١١/١٤ نقلاً عن، ابن عزوز، المصدر السابق، ص ٣٨، ٥٧.

الريحاني، المصدر السابق، ص٤٥.

(٧) حركات، المصدر السابق، ص٤٤، الوزاني، المصدر السابق، ص١٢٢.

الريسوني، المصدر السابق، ص١٢٢.

(٨) محمد بن عزوز حكيم: بطل جبالة ولد احميد والسكان، مطبوعة على الأوفسيت، (تطوان ١٩٨٢)، ص٢٧.

Robin Bryans : Morocco – Land of the Farther west (London 1965), p. 150.

(٩) ابن عزوز حكيم، موقف الشريف...، ص١٠٩.

(١٠) هو الشريف محمد أمزيان بن أحمد أعبد السلام بن صالح القلعي، من الشرفاء الأدارسة الذين جعلوا قبيلة قلعية مقراً لهم. وقد أسست عائلته زاوية قرب مدينة الناضور دعيت زاوية سيدي احمد أعيد السلام في شرقي مدينة (أكسان) الذي كان مدينة (سغنغان) حيث يوجد منجم الحديد (أكسان) الذي كان محور الصراع الأول بين المجاهدين بقيادة الشريف محمد أمزيان والأسبان عام ١٩٠٩.

البوعياشي، المصدر السابق، ج١ ص ٤١٥ ــ ٤١٧.

(١١) محمد محمد عمر القاضي: اسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي، مطبعة ديسبريس، (تطوان ١٩٨١)، ص٤٤ ــ ٤٥، البوعياشي، المصدر السابق، ج١ ص١٠١.

(١٢) هو العلامة المجاهد محمد بن احمد العزوزي الورياغلي صاحب التآليف الكثيرة في علوم الدين والتصوف، لعب دوراً في تعبئة المجاهدين وارسالهم أفواجاً للقتال الى جانب الشريف محمد أمزيان، لا بل شارك في الجهاد بشكل مباشر مع أفراد قبيلته بني ورياغل.

البوعياشي، المصدر السابق، ج١ ص٤١٧ ــ ٤١٨.

(١٣) البوعياشي، المصدر السابق، ج ١ ص ٧٠، ٤١٧، ٤٧٠، القاضي، المصدر السابق، ص٤٥.

(١٤) القاضي، المصدر نفسه، ص ٤٥ ــ ٥٣، البوعياشي، المصدر نفسه، ج١ ص١٠٠ ــ ١٠١.

(١٥) محمد بن عزوز حكيم: الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، مطبعة الساحل، (الرباط ١٩٨١)، ص٢٥.

(١٦) الريسوني، المصدر السابق، ص١٤٢ ــ ١٤٣، ابن عزوز حكيم، المصدر السابق، ص٩١ ــ ٩٢.

(١٧) للتفاصيل أنظر:

الوزاني، المصدر السابق، ص٦٧ ــ ٧٢، الريسوني، المصدر السابق، ص ١٤٥ ــ ١٦٠.

(١٨) الريحاني، المصدر السابق، ص٣٨١.

(١٩) نقلاً عن الريسوني، المصدر السابق، ص١٧٣ ــ ١٧٤.

(٢٠) ابن عزوز حكيم: موقف الشريف...، ص ١١٢.

(٢١) للتفاصيل، انظر:

يحيى، المصدر السابق، ج٣ ص ٩٦٣ ــ ٩٦٥، البوعياشي، المصدر السابق، ج٢ ص٢٦، سعيد، المصدر السابق، ص١٩٥، الريسوني، المصدر السابق، ص١٧٥ ــ ١٧٦، ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني، ص١٢٧، موقف الشريف..، ص١١٣

(٢٢) سعيد، المصدر السابق، ص١٩٦، البوعياشي، المصدر السابق، ج٢ ص٢٧، ابن عزيز حكيم: بطل جبالة.. ص ٤٠ ــ ٤١

(٢٣) علي الريسوني: الذكرى الستونية لمعارك احتلال رباط زاوية تازروت، مطابع الشويخ، (تطوان ١٩٨٢)، ص ١٠ ــ ١١

(٢٤) ابن عزوز حكيم: موقف الشريف...، ص١١٦.

(٢٥) محمد بن العربي الشاوش: أضواء على الحركة الوطنية بشمال المغرب، مطبعة الشويخ، (تطوان ١٩٨٠)، ص٢١.

(٢٦) تقرير من الجنرال جورد انه الى وزير خارجية بلاده في ١٨ تشرين الثاني ــ نوفمبر ــ ١٩١٨. عن ابن عزيز حكيم: موقف الشريف... ص١١٧، وأنظر ايضا: حديث محمد بن عبد الكريم الخطابي وشقيقه المنشور في جريدة الشرق الأوسط، العدد (٤٣٣٤) في ١٠ / ١٠/ ١٩٩٠.

(٢٧) عن ابن عزيز حكيم: موقف الشريف... ص ١١٦ــ ١١٧ .

(٢٨) عن ابن عزيز حكيم: المصدر نفسه، ص ١٢٣ ــ ١٢٦.

(٢٩) العربي اللوه: المنهال في كفاح أبطال الشمال، مطابع الشويخ، (تطوان ١٩٨٢)، ص٢١٢.

(٣٠) ابن عزيز حكيم: بطل جبالة...، ص ٢٧ ــ ٦٦.

(٣١) عبد الكريم غرايبة: دراسات في تاريخ افريقيا العربية ٩١٨ ــ ١٩٢٨، مطبعة جامعة، دمشق، (دمشق ١٩٦٠)، ص١٨٥.

(٣٢) ابن عزوز حكيم: بطل جبالة...، ص ٥٧ ــ ٦٦.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٧٠ ــ ٧٣.

(٣٤) ابن عزوز حكيم: موقف الشريف...، ص ١٢٦ ــ ١٢٧، بطل جبالة...، ص ٦٦، الريسوني، ابطال، ص١٨٩ ــ ٢٠٢.

الـفـصـل الـثـالـث

انـطلاق الـثـورة في اقـليـم الـريـف

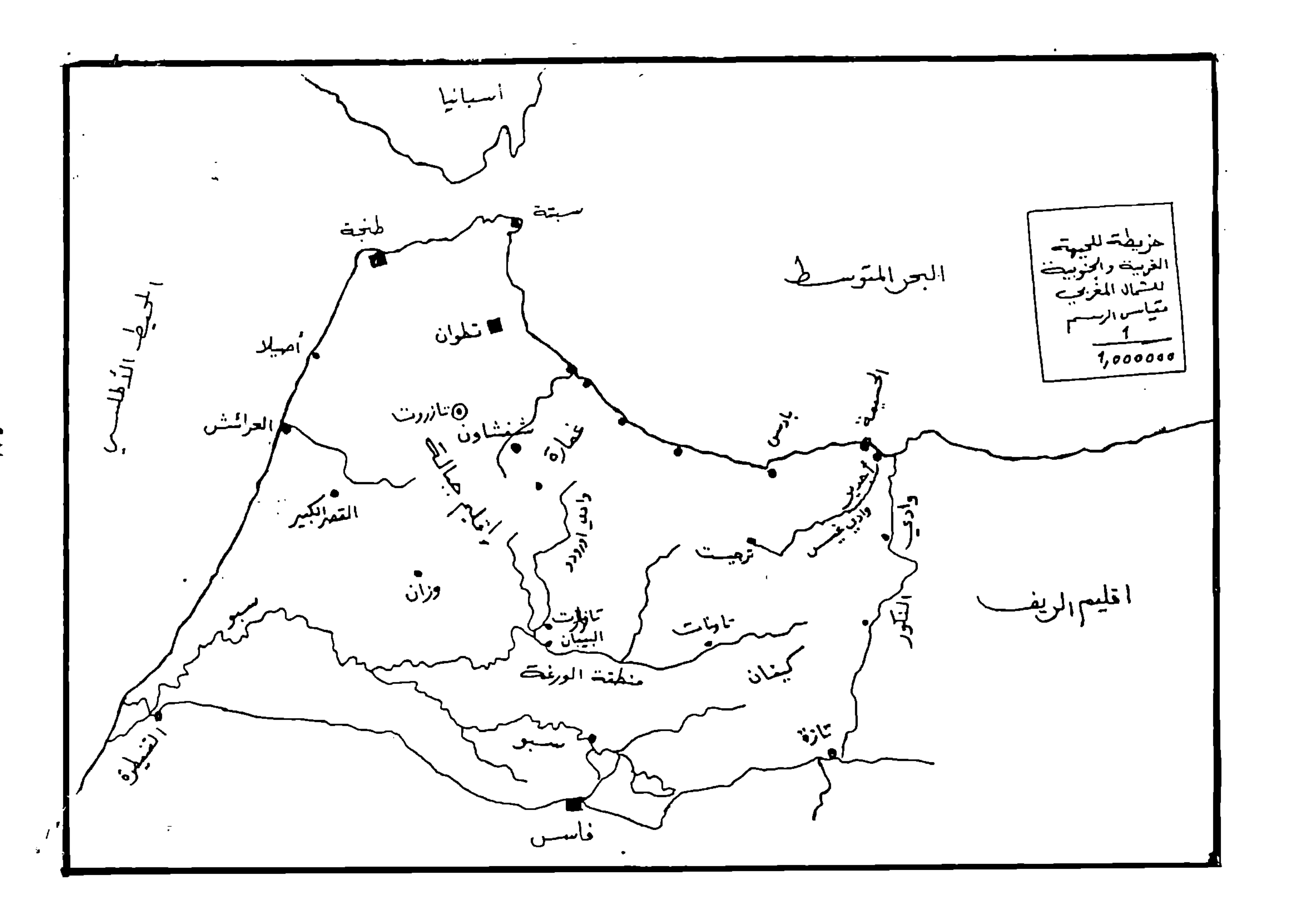
تطلبت ظروف الصراع العسكري غير المتكافيء في الامكانيـــات القتاليـــة والبشرية بين المغاربة والاسبان في اقليم الريف بعد استشهاد المجاهد الشـــريف محمد أمزيان، بروز شخصية سياسية قيادية تمتلك رؤية عميقة بطبيعة العلاقـــات المغربية مع بعضها من جهة، ومع الأسبان والفرنسيين ومن مالأهم في احتلالـــهم للمغرب من جهة أخرى. شخصية واعية وذات بصيرة عميقة فـــي فـــهم الواقـــع الاجتماعي والامكانات الاقتصادية والتسليحية، قادرة على توظيـــف قواهـــا بمـــا يوازي حالة عدم التكافؤ مع الاسبان بامكاناتهم العدديـــة والتســـليحية والمؤنيـــة وغيرها.

ان اقليم الريف شهد كفاحاً مسلحاً متقطعاً ومحدوداً بعد استشهاد المجـــاهد محمد أمزيان منتصف عام ١٩١٢، واســـتمر ذلـــك الكفـــاح بامكانـــات بشـــرية وتسليحية محدودة بعد اعلان الحماية الاسبانية، لكـــن فاعليتـــه وتـــأثيره بقيـــا محدودين خاصة وأن مرحلة مابعد عام ١٩١٢ وحتى بدايـــة الحـــرب العالميـــة الأولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) شهدت اندفاعاً واسعاً للقوات الاسبانية لاحتلال منطقة نفوذها التي حددها الاتفاق الفرنسي الاسباني لعام ١٩١٢، ومن مناطق نفوذهـــا في مليلية والتكور في اقليم الريف.

وفي ظل غيبة المخزن المغربي عن التأثير في الاحداث بفعل ســـقوطه فـــي اسر الحماية الثنائية، بات على القوى الشعبية أن تلعب دورها في الدفـــاع عـــن حرية واستقلال ووحدة البلاد والعمل على فك أسار المخزن المغربي مـــن ربقـــة الحماية وضمن التصورات والامكانيات المحلية، كما فعل اقليم جبالة.

واذا كانت قوات الاحتلال الاسباني قد استطاعت فرض نفوذها المباشر على بعض قبائل اقليم الريف، فانها وبشكل غير مباشر (التغلغل السلمي) فرضت هيمنتها على قبائل أخرى، ومع ذلك لم تستطع أن تفرض نفوذها كاملاً على اقليم الريف.

وفي تلك المرحلة برزت قبيلة بني ورياغل وقاضيها الفقيه عبد الكريم الخطابي، وابنه محمد بن عبد الكريم[1] ، ليقوما بدورهما الوطني في تعبئة وقيادة السكان في اقليم الريف على طريق الحرية والاستقلال والوحدة الوطنية، ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى.



خريطة للجهة الغربية والجنوبية للشمال المغربي
مقياس الرسم
1
1,000000
أسبانيا
البحر المتوسط
المحيط الأطلسي
طنجة
سبتة
تطوان
أصيلا
العرائش
تازروت
شفشاون
غمارة
القصر الكبير
وزان
اقليم جبالة
تاونات
منطقة الورغة
سبو
فاس
تازة
بادس
الحسيمة
وادي غيس
وادي النكور
اقليم الريف

اعتقد المغاربة ـ كغيرهم من أبناء الأمة العربية ـ أن نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨، سوف تصفى جميع المشاكل التي أوجدها الاستعمار، وأن الدول الصغيرة سوف تتمتع بـ "حق تقرير المصير" الذي أشاعه الرئيس الامريكي ويلسون، الا أن واقع الأمور سار بعكس ذلك الاتجاه من قبل القوى الغربية عامة والتي شاركت في مؤتمر فرساي منذ مطلع عام ١٩١٩.

فقد بدأت فرنسا تشدد من قبضتها على منطقة نفوذها في المغرب، كما عادت أسبانيا الى اسلوب العمل العسكري لفرض نفوذها في الشمال المغربي، وفيما يواصل الشريف احمد الريسوني قيادته لحركة المقاومة في اقليم جبالة منذ نهاية عام ١٩١٨، بدأ الفقيه عبد الكريم الخطابي يتحرك لتنظيم الثورة ضد الاحتلال الاسباني، فاستدعى ولديه من مليلية ومدريد، وكان وجودهما جزء من خطة التقارب مع الأسبان، فالتحقا به في أجدير عام ١٩١٩، واجتمع الثلاثة مع أخيه عبد السلام الخطابي، واستعرض الجميع الموقف وقرروا: "بأن يحاربوا الاستعمار كيفما كان على العموم، واسبانيا على الخصوص الى آخر رمق"[٢].

أنذر عبد الكريم الخطابي الاسبان بخطورة تحركهم العسكري وفرض نفوذهم بالقوة والاضطهاد، لكن انذاره لم يلق استجابة وانما قاموا باستعدادات عسكرية لمواجهته والسيطرة على قبيلته مثلما فعلت مع القبائل الأخرى. ومن أجل مواجهة التوسع الأسباني، بدأت العائلة الخطابية بتعبئة دينية وسياسية بين الأهالي وافهامهم حقيقة الأطماع الاسبانية وضرورة الجهاد ضدهم، ورافق ذلك الفعل التعبوي، استعداد عسكري محدود، حيث رأس عبد الكريم الخطابي كتيبة عسكرية من قومه بني ورياغل ورابط في الأمكنة التي قد يتقدم منها الاسبان،

وأسس مركزاً عاماً للمجاهدين في موضع يسمى "وذيع" مقابلاً للمركز الأسباني في تفرسيت، وقام هناك بتدريب رجاله واعدادهم للقتال[٣]، وقد تمتع مركز "وذيع" بموقع ستراتيجي مهم، فهو يشرف على المركز ـ المعسكر ـ الاسباني بتفرسيت، والذي كان يحرس تفرعاً للسكة الحديدية، وعلى ذلك شكل بموقعه تهديداً حقيقياً للقوات الاسبانية. كما كان وجود المجموعة الريفية في ذلك الموقع "مدعاة لثورة القبائل العربية في المناطق الأخرى الخاضعة للاسبان في اقليم الريف"[٤].

بقي عبد الكريم الخطابي في مركز وذيع حتى آب ـ أغسطس ـ ١٩٢٠، وقد حاول الاسبان استمالته لكنهم عجزوا عن ذلك، وبعد مدة أصيب بنزيف وحمل الى أجدير ودعا نجيله محمد واحمد وأوصاهما الوصية الأخيرة "بأن يقاوما الزحف الاسباني بكل جهدهما، فاذا عجزا فليغادرا البلاد نهائياً، فليس لحر أن يقيم في بلد محتل"[٥].

أجمع زعماء بني ورياغل بعد وفاة الفقيه عبد الكريم الخطابي في ٢٠ آب ـ أغسطس ـ ١٩٢٠ على تولية ابنه الأكبر محمد رئيسا للقبيلة. ومع بداية توليه استمر في مهمة تنظيم عمليات المواجهة ولم يكن عدد المجاهدين، ومن انضم اليهم يتجاوز (٢٠٠) مجاهد عندما بدأ يقاوم الاسبان، فبدأت مرحلة جديدة من المواجهة مع الاحتلال بقيام ثورة الريف بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي.

قيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي لثورة الريف المغربية:

شهد اقليم الريف منذ تولي محمد بن عبد الكريم الخطابي رئاسة قبيلة بني ورياغل، وقيادة حركة المقاومة بعد وفاة أبيه، مرحلة جديدة في المواجهة

الجدية والموحدة، تجاوزت الاطار القبيلي والمحلي ـ كما كانت عليه حركة المقاومة التي قادها الشريف محمد أمزيان ـ الى الاطار الأوسع الذي كانت بداياته اقليم الريف، ثم الشمال المغربي، وصولا الى المغرب ككل.

عمل محمد عبد الكريم الخطابي على القيام بتعبئة وطنية لتوحيد أهالي المنطقة، فقد أيقن بفكره الثاقب، أن طريق الانتصار هو بناء الجبهة الداخلية، أي أقامة وحدة شعبية وطنية تتفتت عندها الحدود القبلية، وبذلك يسد المنافذ على العدو الاسباني الذي راهن واستفاد من التفكك الاجتماعي ـ الانقسامات القبلية ـ في فرض سيطرته على البلاد.

مرحلة التعبئة الدينية والوطنية:

بدأت عمليات التعبئة الجماهيرية في خريف عام ١٩٢٠ واستمرت حتى منتصف عام ١٩٢١، وتضمنت القاء المحاضرات ـ في كل مكان ـ الهادفة والمدعمة بالحجج الدامغة من أجل توظيف الجهود الشعبية لمواجهة الاحتلال[٦] .

استطاع محمد عبد الكريم أن يجمع المجاهدين من حوله خلال تلك المرحلة، فلم يصل الى قلوبهم عن طريق المال أو التجنيد الاجباري أو الاغراء بالأسلاب والغنائم، ولكنه جمعهم وقادهم بالعقيدة[٧] وباثارة الحمية الوطنية من أجل تحقيق حرية البلاد وانقاذها من التسلط الأجنبي.

يحدثنا أحد شهود العيان عن جهود الخطابي في تلك المرحلة فيقول، انه بدأ بتعبئة الشعب من خلال اتصاله برجال القبائل وأعيانها "يبث فيهم روح الوطنية الحقيقية التي تتماشى مع دين الاسلام والشريعة المطهرة، ويستدل بالكتاب والسنة في جميع أحاديثه ومواعظه البعيدة المدى"، كما عمل على تحقيق

المصالحة الاجتماعية وخلق وعي وطني يرتفع فوق المصالح الشخصية والنزعات القبلية، فقد كان كما يقول "شغله الشاغل هو المصالحة والتوفيق بين الناس المتعادية ليتحدوا ويتصالحوا وينسوا الأحقاد والعداوة التي كانت قد عمت وترعرعت بين الأفراد والجماعات وحتى النساء والأطفال في جميع المداشر والقرى، وكانت تذهب ضحية هذه العداوة عدة أرواح منذ عشرات السنين"[٨] .

اندفع محمد بن عبد الكريم الخطابي في هذا المجال، ببلاغة الخطيب المفوه، مستعرضا جوانب القضية المصيرية مع الاحتلال الاسباني، وذلك باثارة الضمائر وايقاظ الحماس فيها، وكثيرا ماكان يستشهد في أحاديثه بنضالات المشرق العربي في مرحلة مابعد الحرب العالمية الأولى ـ ثورات مصر وفلسطين والعراق وسوريا ـ والى شيء من هذا القبيل يشير جالسوه قائلين: "انهم كانوا ينتظرون بفارغ الصبر وقت صلاة الصبح أو العصر حيث كان يؤم الناس ويلقي عليهم أحاديثه لكي يستنيروا بها، فكانوا يتقبلونها بكل اهتمام ويتحرقون شوقا لتنفيذها[٩].

لقد كان لثقافته العربية الاسلامية الواسعة، الى جانب ثقافته الحديثة ومعرفته بطبيعة الاستعمار وأهدافه، أثره الكبير في الاقناع واستقطاب ألباب الناس، وكان بذلك يجتهد الى جمع الكلمة والموقف ضمن الأطار الوطني، فقد امتلك كما نقل عن أحد الصحفيين "القدرة على تقرير قيمة القوة الجماعية وتوجيهها"[١٠] .

وضع محمد بن عبد الكريم الخطابي من خلال توجيهاته وأحاديثه، اللبنات الأولى لتنظيم سياسي وعسكري لمواجهة الخصم الاستعماري، فقد كان يتطرق الى التنظيمات التي يجب القيام بها لصالح البلدان المحررة، وكان التركيز على اصلاح الأحوال الداخلية من علاقات العشائر والقبائل مع بعضها ، وتنظيم القيادات العسكرية القتالية بين العشائر، والتي دعيت ـ فيما بعد ـ بالدفاع

الشعبي، وأشار الى فوائد ذلك التنظيم. كما وضع أسساً جديدة في المواجهة ضد الأسبان، تقوم على اسلوب "حرب الكمائن" أو حرب العصابات، وهو الأسلوب الذي وجده فعالاً في مواجهة جيش مزود بالاعتدة الحديثة[١١] . والى جانب ذلك ابتكاره اسلوب "الدائرتين" في محاصرة المعسكرات الاسبانية. وقد كان لجهوده في هذا المجال العسكري أثره الكبير على الثورة الصينية والفيتنامية باعتراف قادتها.

ان تلك التعبئة السياسية والعسكرية التي قام بها الخطابي رافقها جهود تنظيمية على مستوى المناطق، فقد أنشأ مجالساً محلية للقبائل الموالية له لتنظيم حركة المقاومة وتمرين المجاهدين وتدريبهم على أساليب الحرب وطرق الوقاية والهجوم والدفاع مما كان يفتقده السكان آنذاك، كما عكف على شراء السلاح والعتاد وادخاره للمعركة الفاصلة[١٢] .

لم يكتف محمد بن عبد الكريم الخطابي بضمان التأييد الشعبي، بل أراد أن يصل بهذا التأييد الى أعلى مستوياته التضامنية والجماعية من خلال التأييد الصريح لرؤساء وأعيان القبائل لضمان وحدة الكلمة والموقف في المواجهة المصيرية التي سيقوم بها، وعلى ذلك دعا الى عقد مؤتمر عام.

مؤتمر أمزورن:

عقد مؤتمر أمزورن بقبيلة بني ورياغل في ١٢ شباط ـ فبراير ـ ١٩٢١، وحضر المؤتمر معظم رؤوساء القبائل. والقى الخطابي كلمة استذكر فيها مآسي تشريد أجدادهم على يد الأسبان في الأندلس، وسلبهم خيراتهم ودينهم، ودعاهم الى التمسك بالكتاب والسنة في جميع أعمالهم، وأن يتحدوا

وينسوا الأحقاد ويتجهوا كلهم لتنظيم صفوفهم لمحاربة الأسـبان، لأن النجـاح لا يكون الا بالنظام، وقد أكد الجميع رغبتهم في تحقيق ذلك وقالوا: "اننا مسـتعدون للدفاع عن وطننا وشرفنا بكل ما نملكه من الغالي والرخيص والأرواح"(١٣) ، وقـد وصل الاتفاق بين الافراد والجماعات الى حد أن ذوي الثأر الذين لم يكونوا يكلموا رازئيهم تآخوا وتناسوا كل ما بينهم من حزازات وسامحوا قاتلي آبائهم في سـبيل المثل الأعلى وهو الكفاح ضد الاسبان(١٤) . ووصل الحماس الوطني الى درجة أن أهالي المنطقة أخذوا يبيعون ماشيتهم من أجل امتلاك السلاح للدفاع عن الوطـن رغم ظروف الجفاف التي شهدتها بلاد الريف منذ سنتين(١٥).

وفي ذلك المؤتمر، تم الاجماع على انتخاب محمد بن عبد الكريم الخطابي أمـير عليهم في مواجهة الاحتلال الاسباني وقيادة الجهاد. ولم تكن تلك "الامارة" امـارة ملك، وانما هي امارة لاجتماع الكلمة كما كان الخطابي يؤكد بنفسه على اتباعـه بقوله: "انه واحد من المسلمين وأنه يتعين أن يعاملوه طبق ماكـان عليـه قبـل الامارة من غير زيادة في تعظيم..."(١٦) .

واذا كان الشريف احمد الريسوني قد انتزع قيادة الجهاد ضد النفوذ الأجنبـي بشكل عام والأسباني بشكل خاص من خلال موافقته العملية الجريئة، ومن خـلال الشرعية المتمثلة بالظهائر ــ المراسيم ــ السلطانية التي اعترفت بأهليته للقيـادة في أقليم جبالة، فان الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي انتزع القيادة بتفويـض من الشعب، نظراً لقدراته الفكرية والتنظيمية وحزمه واصـراره علـى مواجهـة الاحتلال الاسباني، ولولا سقوط المخزن العلوي أسير الحماية الفرنسية لاسـتطاع أيضاً الحصول على ظهير سلطاني بقيادة المنطقة الريفية بالتأكيد، نظراً لأهليتـه من جهة، ولكون العائلة الخطابية كانت دومـاً الـى جـانب المخـزن العلـوي،

ومواقفها معروفة من المدعو ابو حمارة الجيلالي الزرهوني في عصيانه المدعوم من الفرنسيين منذ عام ١٩٠٢ وحتى عام ١٩٠٩.

كما اتفق المؤتمرون على تعيين مركز جديد للمقاومة بدلاً من مركز "وذيــع"، وأجمعوا على قبيلة تمسامان وبموضع يسمى "القامة" كمركز دائم لادارة شــؤون البلاد والجهاد، والى ذلك المركز توجه مع قرابة (٢٠٠) مجاهد، وبــدأ يشــرف على تسيير أمورهم، ومباشرة الاتصالات السرية مع القبائل الخاضعــة للأســبان يدعوهم فيها الى الثورة، كما أنشأ الأمير الخطابي أربعة مراكز أخــرى فرعيــة لمراقبة تحركات القوات الاسبانية في مناطق، آزرو جيدار، سوق الاثنين، وسيدي شعيب وأكروماوس[١٧].

ومن الجدير بالذكر، أن الريفيين تعودوا في المواسم أن يشتغلوا فــي الجنــوب المغربي أو قرب الحدود مع الجزائر، رابطوا داخــل المنطقــة فــي ذلــك العــام (١٩٢١) رغم الظروف الاقتصادية السيئة التي نجمت عن الجفــاف[١٨]. وبذلــك استطاع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ان يوجد مجتمعاً ارتقى الى مســتوى التحدي الاستعماري ابتغاء تهيئة المشاعر "للنضال المجبرين عليه ضد اســبانيا" ولوضع حد للتسلط وتحقيق وحدة الريفيين، كما نقل عنه[١٩] .

ومن هنا "فان حرب الريف الحقيقية بــدأت عندمــا تحقــق نــوع مــن الوحدة"[٢٠].

مرحلة التعبئة العسكرية والمواجهة:

بدأت المواجهة العسكرية الجدية والمنظمة في اقليم الريف بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وشقيقه إمحمد الخطــابي وعمــهما عبــد الســلام

الخطابي، وفي تلك المرحلة، كان الأسبان قد بدأوا باستعدادات مكثفة على الصعيدين السياسي والعسكري لاجهاض جهود الخطابي في التعبئة السياسية والوطنية، وللاجهاز على امكاناته العسكرية.

حاول الأسبان تفتيت وحدة الصف الوطني وشرخ تماسكه بالعمل على استقطاب الجماعات ذات الصلة بهم وادخال الريفيين في صراع داخلي لتفتيت وحدتهم الفتية وافشال مقررات مؤتمر أمزورن. ومن أجل ذلك جاء الجنرال بيرنجر المندوب السامي الاسباني، الى جزيرة الحسيمة (النكور) وعقد مؤتمراً عاماً في ٣١ آذار ــ مارس ــ لقياداته العسكرية في مليلية وتطوان. وحضر المؤتمر عدد من رؤساء القبائل المتعاونين مع الأسبان. ولقد أدانت القيادة الريفية كل من حضر المؤتمر، وحذرت من الانصياع لدعوات الاسبان الى "السلام" وأنهم ــ كما خطب بيرنجر ــ ماجاؤوا الا "لفائدتكم وحدكم ولوضع *الأمان في نصابه". وقد فرضت القيادة الريفية غرامة مالية على كل من حضر* المؤتمر من الريفيين، وكان مقدارها (٣٠٠) ريال اسباني (١٥٠٠ بيزتا) على الأعيان. أما لعامة الناس، فقد فرضت (٥٠) ريالاً اسبانياً وبما يعادل (٢٥٠ بيزتا)[٢١]. وجاء ذلك من أجل الابقاء على وحدة الصف الوطني، ودللت القيادة الريفية على قوة سيطرتها على الموقف الداخلي ووضوح سلطتها في المنطقة.

استمر الأمير الخطابي على التعبئة السياسية والعسكرية وبشكل أوسع لاجهاض مساعي الجنرال بيرنجر والمتعاونين معه من بعض رؤساء الريف، وجاء في تقرير لحاكم جزيرة النكور في نهاية نيسان ــ ابريل ــ ما يؤكد ذلك بقوله: "ان نفوذ المتزعم لقبيلة بني ورياغل أخذ في اتساع يفوق كل تصور لدرجة أنه بدأ يقوم بدعاية واسعة بين قبائل تمسامان، بني توزين، وبني يطفت، وحتى قبيلة بقيوة من أجل تكوين الحركات ــ القوات العسكرية ــ"[٢٢].

حاول الأسبان خلال تلك المرحلة تشويه الموقف الوطني للأمير الخطابي والادعاء بأنه يعمل لصالحهم في محاولة لزعزعة الثقة الشعبية به، وقد ذكر الأمير الخطابي عن ذلك بقوله: ".. كانت الدعاية الاسبانية تقوم بعمل جبار تسعى من ورائه الى تحطيم سمعتي والقضاء على النفوذ الذي اصبحت أتمتع به في الريف...". ونتيجة ذلك بدأت بعض علامات الفوضى والمعارضة لمقررات القيادة الريفية، لكن ذلك حسم في مؤتمر عقد في أجدير في ٣١ أيار – مايو –. وجاء الهجوم الاسباني في اليوم التالي... في ١ حزيران – يونيو – ١٩٢١ على مركز المقاومة في "القامة" ليحسم الموقف باتجاه وحدة العمل الوطني ووضع مقررات أمزورن موضع التنفيذ. وقد قدرت القوات الاسبانية المهاجمة لمركز القامة بـ (٥٥٠٠) جندي، تحصن (٥٠٠) منهم في جبل ابران، بينما زحف الباقون الى المركز الاسباني في أنوال. فيما زحفت قوات أخرى الى قرية أجدير (٢٢ الف جندي) مركز قبيلة بني ورياغل. وهنا تقررت حالة الحرب بين الطرفين[٢٣].

وقد نقل عن الخطابي أنه قال: "اننا لم نقدم على الحرب حتى عانينا من الاسبان أشد ضروب العداوة الدينية وسوء المعاملة... و (نحن) مضطرون لأن ندافع عن حريتنا وديانتنا ضد الاسبان الذين يريدون القضاء علينا..."[٢٤] . وكما ذكر أحد المؤرخين الأجانب، ان مقاومة الريفيين جاءت رفضاً لسياسة القسوة والفساد والظلم والعجرفة التي تميز بها الحكم الاسباني في الساحل، وأن الخطابي "كان على حق في ثورته، وذلك لأن الاسبان أبدوا في المغرب القسوة والعنف ذاتهما الذين أديا بهم الى اخراجهم من امريكا"[٢٥].

وعليه، ومنذ منتصف عام ١٩٢١، بدأت "ثورة الريف" بالدفاع عن الحرية والاستقلال والوحدة المغربية ضد الاحتلال الاسباني، وبدأت صفحة من الصراع العسكري المسلح والضاري.

معركة أنوال:

في الأول من حزيران ـ يونيو ـ ١٩٢١ بدأ الصدام العسكري بين القوات الريفية بقيادة الخطابي، والقوات الاسبانية التي تمركزت في "أبران" حيث استطاع (٣٠٠) مقاتل ريفي تحرير المنطقة وغنموا مافيها من أسلحة، وبعد تحرير أبران ذكر الخطابي بأنه "تقاطر رجال الريف وقبائله يعرضون تأييدهم ويطلبون أن يسمح لهم بالقتال وطرد الأسبان من البلاد التي احتلوها في أرض الريف"[٢٦]. ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل أن الجنود المغاربة العاملين في الجيش الأسباني انضموا أثناء القتال وبعده الى اخوانهم الريفيين، فكان لذلك أثره المهم في دعم الثورة الريفية مادياً ومعنوياً، وقدّر عدد افراد المقاومة الريفية بعد انضمام رجال القبائل والجنود المغاربة، بـ (٣) آلاف مقاتل[٢٧].

أنشأت القيادة الريفية بعد ذلك خطا دفاعياً يمتد من سيدي ادريسي شمالاً وينتهي عند الأزلاف جنوباً في داخل اقليم الريف لمواجهة المعسكرات الاسبانية المنتشرة. وفي الجهة المقابلة بدأ الجنرال سلفستري القائد العسكري العام في اقليم الريف بتعزيز المراكز والمعسكرات ـ بقوات اضافية تأميناً لسلامة تموينها من جهة، والقضاء على ما أحدثه سقوط أبران في نفوس القوات الإسبانية من جهة أخرى، فعمد الى احتلال مركز أغريبا، وهو على بعد (٦) كم من المركز الرئيس للقوات الاسبانية في أنوال، وكان ذلك في ٧ حزيران ـ يونيو ـ[٢٨].

عقدت القيادة الريفية سلسلة من الاجتماعات بعد احتــــلال مركــز أغريبــا، وتمخض عنها دراسة الحالة الحربية ووضع الخطط العسكرية والتنظيمية للقــوات الريفية، كما قررت القيادة اتخاذ مركز "امزاورو" في داخل قبيلة تمســامان مقــراً للقيادة بدلاً من مركز "القامة"، وبلغت حركة المقاومة الريفية درجة كبـــيرة مـــن القوة والتنظيم، أثارت اعجاب الاستخبارات الاسبانية، واستطاعت القيادة الريفيــة بنشرها لقواتها بشكل منظم بين المراكــز الاســبانية الـــى عرقلــة مواصلاتـــها وامداداتها.

قررت القيادة الريفية حصار مركز أغريبا، وهو مفتاح المركز الرئيس فـــي أنوال، وقد ذكر عن الخطابي قوله: "ان موت العدو وحياته منحصــــر فـــي هـــذه المعركة، اما أن يفك الحصار المضروب على القشلة ـ حصن أغريبــا ـ ويبلــغ لها التموين واما أن يموت عن آخره". وقد أدى فرض الحصــــار علـــى حصــن أغريبا منذ ١٧ حزيران ـ يونيو ـ الى سوء أحوال الاسبان داخلــه، وضعفـت معنوياتهم، وحاول بعض ضباطهم الانتحار، فيما أصبـــح مركــز أنـــوال مـــهدداً بالحصار. وفي ٢٠ تموز ـ يونيو ـ سقط مركز أغريبا بيد القوات الريفية. وفـــي اليوم التالي ٢١ تموز ـ يونيو ـ دارت معركة ضاربة وفاصلــــة بيـــن القـــوات الريفية، والقوات الاسبانية (٢٢ الف جندي) في معسكر انوال، وصفـــها شـــاهد عيان بأنها: "معركة شديدة لن يسبق لها مثيل في جميع المعارك التـــي خاضتـــها اسبانيا منذ دخولها التراب المغربي" ورغم استخدامهم جميـــع الأســلحة الثقيلــة والخفيفة وبعض الطائرات، الا أنهم منيوا بهزيمة ساحقة، واضطر من تبقى منهم على قيد الحياة الى الفرار الى مدينة مليليلة المحتلة، ولم يكن يتجـــاوز عددهــم (١٥٠٠) جندي بقيادة الجنرال نافارو وبعد انتحار الجنرال سلفستري[٢٩]

استطاع الثوار الريفيين بعد معركة أنوال، متابعة فلول القـــوات الاســبانية الهاربة من المعركة ومن جميع المراكز الاسبانية في اقليم الريف والتي كانت قـد بلغت (١٩٦) مركزاً، ولم يبق الا مدينة مليلة التي حاصرها الثوار، وأصبحـــت مهددة بالسقوط، وذكرت جريدة الطان الفرنسية في عددها الصادر فـي ٢٩ آب ــ أغسطس ــ ١٩٢١، عن هذا الانتصار الريفي مانصه: "ان الأخبار الواردة الينـــا من مدريد عن ثورة الريف، تدل على أن معظم النقاط ــ المراكــز ــ العسـكرية في جبهات مليلية سقطت بيد محمد بن عبد الكريم، حتى أن مليلية المحصنة باتت في خطر، حيث يواصل الثوار اطلاق القنابل عليها من المدفعية التي أخذوها مـــن الاسبانيين..."[٣٠]، ورغم ذلك، آثر الخطابي عدم تحريرها لاعتبـــارات متعـددة، منها احتمال تعرض الآلاف من الأطفال والنساء والشـــيوخ للـــهلاك كمـــا ذكـر البوعياشي، الا أن الخوف من احداث مشكلات دوليـــة وعـــدم وضـــوح الرؤيـا السياسية كان وراء ذلك الخطأ الكبير، وقد اعترف الخطابي بذلك حين قـــال: "... وصلت الى أسوار مليلية وهناك توقفت ومنعت المجاهدين من القيام بـــاحتلال ــ تحرير ــ المدينة خوفاً من أن يحدث ذلك مشكلات دولية. واليوم أتأسف على ذلك وأعترف أنه كان خطأ ارتكبته في حياتي... وكان بامكاننا القيام بهذا العمل بكـــل سهولة، أن لقاء الاسبانيين في البحر كان بمثابة لعبة بالنسبة للمجاهدين، ولكـــن الحقيقة هي أنني كنت أفقد آنذاك الرؤيا السياسية اللازمة."[٣١] .

لقد كان لمعركة أنوال الخالدة نتائج مهمة على صعيد القـــدرات العســكرية الريفية، كما كان لها صداها المحلي والعربي والدولي، وهي التي قدمت الخطـــابي للعرب والعالم منذ البداية.

وقد بلغت خسائر القوات الاسبانية في الأفراد، وبحسب ماجاء فـــي تقـــارير الاسبان الرسمية، (١٩) الف قتيل، و (٤٣٠٠) جريح، و (٥٧٠) أسير، في حيـن

بلغت خسائر الثوار (٥٠٠) شهيد، و (٦٠٠) جريح، وهذا مـــا جعـل الجـنرال بيرنجر يصرح عند وصوله مليلية يوم ٢٤ تموز ــ يوليو ــ ١٩٢١: "هذه اكـبر كارثة عسكرية عرفتها اسبانيا في تاريخها". كما غنم الريفيـون مـايزيد علـى (١٠٠) مدفع ثقيل، و (٢٠٠) مدفع صغير، ونحو (١٠٠٠) رشاشة، وما يزيـد على (٣٠) الف بندقية، وملايين الاطلاقات والقنابل وغـير ذلـك مـن البـهائم وألملابس، والأدوية، وكميات كبيرة من المؤن. وقال الخطابي عن تلـك الغنـائم، "لقد أعطتنا الاسبان في ليلة واحدة كل ما نحتاح اليه للقيام بحرب كبيرة"[٣٢].

وكان من نتائجها المهمة أيضاً، هو شعور الريفيين بقدرتهم علـى الوقـوف بوجه الاستعمار الأجنبي رغم محدودية امكاناتهم، ومهما كانت عدتـه، وأحـدث الانتصار تماسكاً أقوى وتوسعاً في الانضمام الى صفوف الثـورة الريفيـة بعـد تحرير مناطق اقليم الريف كافة.

اما نتائجها على الصعيد المغربي، فقد بدأ الفرنسيون يستعدون للمواجهـة، واتخذ الجنرال ليوتي استعدادات عسكرية لمواجهة تطورات الأحداث خوفاً علـى مستقبلهم في المغرب والمغرب العربي ككل ــ كما سيتضح ــ.

وعلى الصعيد العربي، فقد هزّ الانتصار الريفي معظم أقطار الوطـن العربـي، حيث استقبل الشعب العربي انتصارات اخوانه من أبطال الريف بفـرح وابتـهال كبيرين[٣٣] . أما نتائجها على اسبانيا نفسها، فقد كانت سبباً في استقالة الحكومـة الاسبانية في ١٠ آب ــ أغسطس ١٩٢١، وحدث اهتزاز حكومـي، واسـتمرت الانقسامات بين العسكريين، وارتفعت الأصوات المناوئة للحرب والمطالبة بالجلاء عن المغرب، كما طلب الملك الاسباني الفونسو الثـالث عشـر، الـى مـورا ــ المعروف بتعصبه ــ بتأليف وزارة جديدة[٣٤].

كان من نتائج المعركة على الصعيد السياسي، هو ابراز كيان سياسي يقـــود المنطقة، بعيداً عن اطار السيطرة الاستعمارية، وممثل الارادة الحرة للمغاربة فـــي اقليم الريف، وعرف هذا الكيان السياسي بـــ "جمهورية الريف" التي اعلنت فــــي ١٩ أيلول ــ سبتمبر ــ ١٩٢١، برئاسة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي.

ان مصطلح "جمهورية" كما بدا في فكر وسلوك الخطابي عبر تاريخ ثـــورة الريف، لم يكن يعني ايجاد نظام سياسي جديد في المغرب بديلاً عـــن الســـلطنة، وأنه على ما يبدو كان مأخوذاً من الجمهور والجماهير، أي انــــه أراد أن يؤكـــد شعبية الحكم وتأطيره بسلطة الشعب وأنه منفذ لقراراته وطموحاته المشـــروعة. ولم تكن السلطة هدف الخطابي، بقدر ماكان التحرير للأرض من ربقة الاســـتعمار هدفه الأعلى والسامي، وفي نظره، أن تحرير الريف كان خطوة أو مرحلة أولـــى على طريق تحرير المغرب ككل، وتحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية، وكان لقـــب "أمير" هو الاسم المحبب له بمعنى "أمير الجهاد" ليـــس الا، لمقاومـــة الاحتـــلال الأجنبي.

واستمرت بعد ذلك حرب التحرير الريفية في الوقت الذي كانت ثـــورة جبالـــة بقيادة الشريف احمد الريسوني تواصل كفاحها رغم تراجعاتها تحت وطأة الضغـــط الاسباني، ولتلتقي بعد ذلك الثورتان على طريق التحرير والوحدة الوطنية، بعد أن كانتا قد التقتا ــ ومن دون اتفاق ــ على أفكار محددة تتلخص في عدم الاعـــتراف بمعاهدة الحماية الثنائية وأي معاهدة تمس استقلال وسيادة المغرب، مثلما التقتـــا في أساليب الكفاح التعبوي والسياسي والعسكري، لتعبر الثورتان عـــن الهويـــة الوطنية الواحدة.

ثورة الريف على طريق التحرير والوحدة

كانت تراجعات حركة المقاومة في جبالة أمام كثافة الضغط الأسباني ووصولهم الى بعد (٦) كم من تازروت، واعطاء الشريف الريسوني مهلة للاستسلام تنتهي يوم ٢٢ تموز ـ يوليو ـ ١٩٢١، تعاصر الانتصارات العسكرية التي حققتها حركة المقاومة الريفية بزعامة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في معركة أنوال في ٢١ تموز ـ يوليو ١٩٢١ والفترات اللاحقة.

كان للانتصار الريفي وهزيمة القوات الاسبانية حتى مدينة مليلية، الأثر الكبير في تراجعهم عن محاصرة الشريف الريسوني وقواته في تازروت قبل يوم واحد من انتهاء المهلة لاستسلامه. وعليه فقد كان انتصار أنوال، مثار فرح وغبطة للشريف الريسوني وبداية لعلاقته بالخطابي على صعيد التنسيق في الكفاح الوطني بين الثورتين لمواجهة الاحتلال الاسباني. كما كان لذلك الانتصار الريفي أثره الكبير في عودة الشريف الريسوني للهجوم على المعسكرات الاسبانية ثانية.

في الأول من تشرين أول ـ اكتوبر ـ ١٩٢١، بدأ الشريف الريسوني، وبالتعاون مع قوات من الثورة الريفية، محاصرة المراكز ـ المعسكرات ـ الاسبانية على خط تطوان ـ شفشاون. ومن الجدير بالذكر، أن مشاركة قوات ريفية الى جانب حركة المقاومة الجبالية، قد جاءت نتيجة مراسلات وتنسيق بين الريسوني والخطابي. ففي ١٩٢١/١٠/٧، أرسل الشريف الريسوني الى الأمير الخطابي رسالة جوابية(٣٥) ، رداً على رسالة الخطابي المرسلة مع "ابن العم السيد عبد الرحمن" بعد معركة أنوال والتي استشار فيها الخطابي الشريف الريسوني "بالخطة الحربية والسياسية التي يجب اتباعها" لمواجهة الاحتلال.

وجاء التأكيد من قبل الشريف على الثقة "بالعلائق الودية والسياسية التي تجمعنا معكم" والاشارة الى فرح الشريف بقدوم قوات الريف لمحاصرة مدينة شفشاون والعمل على تحريرها، والمساندة بشكل اكبر للقوات الجبلية في حصارها للمعسكرات الاسبانية عند خط تطوان ــ شفشاون. وأكد الشريف بأن رسالة الخطابي في هذا الجانب أدخلت عليه "فرحاً وسروراً كثيراً مما لا مزيد عليه فأهلاً ومرحباً بكم ترحيباً يقوم بواجب الشكر لكم عن نهضتكم الحسنة وأعمالكم المستحسنة العائدة على قطركم بالسعادة بتطهيره من دنس الكفر والشرك". وأكد الشريف الريسوني من جانب آخر، أن قدوم القوات الريفية لمساندة القوات الجبالية "قد أوقع الخوف والرعب في قلوب العدو وجيوشه". كما شرح فيها تفاصيل العمليات الحربية الواجب اتباعها لانجاح مهمة التحرير، وفي نهاية الرسالة دعا الشريف الريسوني من الله "أن يوفقنا واياكم وجميع المسلمين، وأن يعيننا واياكم على مافيه خير البلاد والعباد، وأن يدخر لنا أجر ذلك الى يوم المعاد بجاه أفضل العباد عليه الصلاة والسلام"(٣٦) . ومنذ تلك الفترة استمرت المراسلات بين الجانبين على صعيد التنسيق في مواجهة الاحتلال. ومن جهة أخرى، بدأت القوات الاسبانية تحشد عدتها التسليحية المتطورة، وتزيد من اعدادها لمواجهة الثورة الوطنية في اقليمي الريف وجبالة. ففي بداية عام ١٩٢٢ قام الأسبان بهجوم على اقليم الريف في جبهة مليلية ــ الحسيمة (٦٠ الف جنديي) وتصدت لها القوات الريفية ببضعة عشر الف من المجاهدين، ودارت بين الطرفين معارك طاحنة كان أهمها "معركة تفرسيت" التي تكبدت فيها القوات الاسبانية خسائر في الافراد بلغت (٥) آلاف قتيل، فضلاً عن بضعة آلاف من الأسرى، الى جانب معدات حربية كبيرة(٣٧)

مؤتمر بيثارا:

كان لهزائم القوات الاسبانية وعدم قدرتها على تحقيق انتصار حاسم على القوات الوطنية في اقليمي الريف وجبالة بفرض نفوذها على الشمال المغربي ككل حتى هذه المرحلة، أثره الكبير في دعوة الحكومة الأسبانية الى عقد مؤتمر حربي في مدينة بيثارا الاسبانية لتوضيح طبيعة الحالة الحربية والاجراءات والخطط الواجب اتخاذها للقضاء على حركة المقاومة الوطنية.

ففي آذار ـ مارس ـ ١٩٢٢، عقدت الحكومة الاسبانية مؤتمرها الحربي، وجاء ضمن قرارات المؤتمر، وقف العمليات الهجومية ومحاولات التوسع نحو الداخل في اقليم الريف، والسعي للاتفاق مع القيادة الريفية للتفرغ للقضاء على حركة المقاومة في اقليم جبالة. وعلى أثر ذلك سافر رئيس الحكومة الاسبانية الماركيز دي ستيلا الى مالقة، واستدعى الجنرال بيرنجر المندوب السامي الاسباني والحاكم العسكري العام في الشمال المغربي، ورؤساء أركان الحرب العامة للقوات البرية والبحرية والجوية. وقد تم ابلاغ الجنرال بيرنجر بقرار الحكومة، الا أنه رفض ذلك واستعد لهجوم اسباني في ٢٥ آذار ـ مارس ـ على القوات الريفية بجيش قدرته المصادر بـ (٥٠) الف جندي، وجاء الرد الريفي عنيفاً في ٢٥ آذار ـ مارس ـ وتمكنوا من هزيمة القوات الاسبانية، واغراق عدد من السفن الحربية وهي تفرغ حمولتها من الذخائر في خليج الحسيمة[٣٨]، وعند ذلك أوقف الجنرال بيرنجر هجومه وقرر العودة الى اخضاع اقليم جبالة لاخراج الشريف الريسوني من ساحة الصراع والتفرغ لمواجهة الخطابي.

في نيسان ـ ابريل ـ ١٩٢٢، بدأت القوات الاسـبانية بتنفيذ قـرارات مؤتمر بيثارا بالعمل على القضاء على حركة المقاومة في جبالة. ولما كان هنـاك تنسيق بين الثورتين الريفية والجبالية، فقد جاء مؤتمر بيثـارا لينبـه القيـادتين الريفية والجبالية بشكل اكبر الى الخطر المحدق بالثورة الوطنية، وعليه فقد تقرر قيام القوات الريفية بمساندة القوات الجبالية في حالة الـهجوم علـى المعسـكر الاسباني في "مشكرلة"، يؤكد ذلك، ما ذكره الجنرال بيرنجر في مذكراته، بأنه قـد وقع اتصال بين الزعيمين الخطابي والريسوني وحصـل بينـهما الاتفـاق علـى مساندة القوات الريفية للشريف الريسوني. وفعلاً شاركت قـوات ريفيـة بقيـادة القائد "بو لحية" بالهجوم على مركز مشكرلة والمراكز الأخرى بضواحـي مدينـة شفشاون في ١٣ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٢٢. وقد دارت معارك عنيفة كان أهمـها معركة مشكرلة التي لم يستطع الاسبان حسم الموقف لصالحهم. وعليه ففي مطلع آيار ـ مايو ـ بدأ الطيران الاسباني والمدفعية الثقيلة بقصف مواقع المجـاهدين، وبدأ هجومهم البري (١٩ الف جندي) من ثلاث محاور، العرائـش ـ تطـوان ـ سبتة، وكان هدفهم احتلال تازروت مقر القيادة الجبالية، وقد استبسل المجـاهدون في الدفاع وقاتلوا حتى بالسلاح الأبيض، الا أن انكسارهم في معركـة "السـلالم" أدت بهم الى الانسحاب في ١٠ آيار ـ مايو ـ بقيادة الشريف الريسـوني مـن تازروت، وسقطت هذه القرية بيد القوات الاسـبانية فـي ١٢ آيـار ـ مـايو ـ ١٩٢٢[٣٩].

ان سقوط "تازروت" بيد القوات الاسبانية، لم ينه اصرار الشريف الريسـوني على المقاومة، فقد انسحب الى الجبال وتحصن مع اتباعه فـي جبـل "بوهاشـم" وأخذ يناوشهم من ذلك المكان بعد أن نظم قواته على شكل مجاميع صغيرة لشـن

"حرب العصابات"، واستطاع أن يضيق على القوات المحتلة لتازروت، ويعرقل خطوط تموينها واضطر الاسبان الى استخدام الطيران لتموينهم، وأمام ذلك تحرج موقف القوات الاسبانية، وبدأت تتعالى في تطوان ومدريد أصوات الاحتجاج والاستنكار من الرأي العام الاسباني ضد الجنرال بيرنجر[٤٠]. وعليه، فقد حملته الحكومة الاسبانية تبعية هزائمها في الشمال المغربي، فقدم استقالته، فخلفه الجنرال بورجيت في ١٥ تموز ـ يوليو ١٩٢٢، وبدأت مرحلة جديدة من العلاقات بين الطرفين ولكن الى حين.

هدنة عام ١٩٢٢:

أدت الانتصارات العسكرية للثورة الوطنية المسلحة في اقليم الريف بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، الى تحرير كامل اقليم الريف (عدا مليلية) وقيام حكومة جمهورية دستورية لادارة شؤون الاقليم سياسياً وادارياً واقتصادياً وعسكرياً واجتماعياً وثقافياً. ذلك أن حرب التحرير لا يمكن أن تنجح "بدون وجود حكومة"[٤١] .

اكدت "حكومة الريف" أنها تعتبر نفسها مسقلة استقلالاً كاملاً، وأنها لا تعترف بأي معاهدة تمس سيادة المغرب واستقلاله (الميثاق القومي)، وتعمل على تحرير كامل الشمال المغربي كمرحلة أولى لتحرير المغرب. وقد شكل اعلان قيام هذا التنظيم السياسي الجديد للمنطقة، اكبر مشكلة واجهت الحكومة الاسبانية وكذلك الفرنسيين في منطقة نفوذهم في المغرب. وقاد ذلك، الى عودة اسبانيا الى العمل بمقررات مؤتمر بيثارا، ومحاولة "تجميد" الصراع في احدى الجبهتين للتفرغ لمواجهة الجبهة الأخرى.

كان من الطبيعي وفي ظل رجحان كفة الاسبان في اقليم جبالة، أن يلتفت الجنرال بورجيت الى الشريف احمد الريسوني لعقد اتفاق يضمن مصالح اسبانيا وبشكل اكبر ـ مستغلاً انكسار القوات الجبالية وتبعثرها ـ لاخراجه ـ الى حين ـ من ساحة الصراع والتفرغ للقضاء على ثورة الريف.

في ٢٠ تموز ـ يوليو ـ ١٩٢٢، أقدم الجنرال بورجيت على فتح باب المفاوضات مع الشريف احمد الريسوني في وقت كانت حركة المقاومة الجبالية تعاني من جراء الانتشار العسكري الاسباني، وتبعثر قواتها وضعف امكاناتها، وسوء احوالها الاقتصادية، وفي هذا المجال، يقول المؤرخ المغربي التهامي الوزاني ـ عاصر الأحداث ـ بأن فتح باب المفاوضات "أمده ـ الشريف ـ بحياة جديدة بعد أن كان اشرف أمر مقاومته المسلحة على الاضمحلال، فلم يبعد الشريف الريسوني من الوفاق على أساس أن لا يدخل تطوان بل يبقى مع اصحابه المجاهدين"(٤٢) .

تدارس الشريف الريسوني مع "المجلس الاعلى" لحركة المقاومة وقوادها، وضعية المجاهدين والحالة المعيشية الصعبة التي يعيشونها بسبب نقص المواد الغذائية لعدم تمكنهم من حرث حقولهم بشكل كامل مند أربع سنوات، الى جانب ماساد من حالة جفاف خلال العامين ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢. وتقرر الدخول في المفاوضات مع الجنرال بورجيت، وارسال مبعوث الى القيادة الريفية للاتفاق على عمل عسكري ضد القوات الاسبانية في حالة الوصول الى اتفاق بين الجانبين الاسباني والجبالي يتأكد فيه قبول الاسبان الانسحاب من جبالة.

عقد الطرفانس بضعة اجتماعات خلال الفترة من ٦ آب ـ أغسطس ولغاية ٢٨ ـ ايلول ـ سبتمبر ـ ١٩٢٢. وأهم فقرات الاتفاق هي:

١ ـ الانسحاب الاسباني من جميع القبائل وتازروت ومدينة شفشاون.

٢ ـ تدفع الحكومة الاسبانية تعويضات مالية للشريف الريسوني قدرت بمليون ونصف المليون بيزتا.

٣ ـ يقوم الشريف الريسوني ـ في مقابل ذلك ـ بحماية القوات الاسبانية التي تنسحب من المناطق المحددة بالاتفاق حتى تصل الى معسكراتها في سبتة وتطوان أو العرائش وأصيلا(٤٣) .

تحقق هذا الاتفاق في نهاية تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٢٢ بعد أن تحقق الاتفاق السري بين القيادتين الريفية والجبالية بالعمل على سحق القوات الاسبانية المنسحبة من شفشاون (٤٠ الف جندي) وتسهيل تقدم القوات الريفية في جبالة، وقد كان ذلك من الناحية التطبيقية مضمون المراسلات الشفوية التي تمت بين مبعوث الشريف الريسوني (الحاج محمد بومغيث الطنجوي ومبعوث الخطابي الى الريسوني(٤٤).

كان "تجميد" الصراع العسكري ـ الى حين ـ في اقليم جبالة يعاصر النجاحات والانتصارات العسكرية الكبيرة التي حققتها القوات الريفية بزعامة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في اقليم الريف ومشارف اقليم جبالة حتى نهاية عام ١٩٢٢ وترك ذلك أثره على صناع القرار في اسبانيا بعد أن "أضحى الموقف محفوفاً بالصعاب" وبدأت الدعوات تطالب بترك المغرب. وعليه ففي مطلع كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٢٣، أرتأت الحكومة الاسبانية مفاوضة الأمير الخطابي تحت ضغط الشعب الاسباني ومطالبيه بالاهتمام بأمر الأسرى وانقاذهم، فأرسلت مدريد وفداً للمفاوضة بشأن، الأسرى الى أجدير مقر القيادة الريفية فاشترط الأمير الخطابيٍ الدخول في مفاوضات متعددة الجوانب، منها وقف القتال واطلاق سراح الأسرى والمعتقلين المغاربة في سجون أسبانيا، وعقد هدنة تكون مقدمة لصلح يرضي الطرفين، الا أن الأسبان، طالبوا بحصر المفاوضات في

قضية الأسرى فقط، ومع ذلك وافق الأمير الخطابي على ذلك ولكـــن بشـــرطين: أولهما، دفع مبلغ قدره (٣ ملايين بيزتا) لاطلاق سراح أسراهم، وثانيهما، اطـلاق سراح المعتقلين المغاربة بموجب كشف تفصيلي بأسمائهم[٤٥] . وقد تم الاتفـــاق على ذلك. وفي الفترة ذاتها ومنذ نهاية عام ١٩٢٢ (ومطلع عام ١٩٢٣، اسـتعاد الشريف الريسوني قواه التنظيمية وقدراته العسكرية بعـــد أن اســتعاد مواقعـه السابقة، وعاد الى الكفاح ثانية، وقد اعترفت القيادة الاسبانية بأن الاتفـــاق مــع الشريف الريسوني لم يكن الا "صلحاً نظرياً"[٤٦].

ان هزائم القوات الاسبانية أمام قوات الريف[٤٧] ، وعودة حركـــة المقاومـــة الجبالية الى الكفاح ثانية، قاد الحكومة الاسبانية الى الدخول في مفاوضـــات مــع القيادة الريفية للتوصل الى حل سياسي للصراع العسكري. ولم يبعد الخطـــابي ــ ومن موقع المنتصر ــ عن المبادرة الاسبانية، ولكن علـــى أســـاس الاعــتراف الاسباني بالاستقلال الكامل لحكومة الريف، وعدم الاعتراف بالحمايـــة الاســـبانية وعدّ الاستعمار الاسباني معتدياً غاصباً، وذكر الاسبان بمعاهدات الصلح و "حـــق الشعوب في تقرير مصيرها". وعلى أساس ذلك جرت "مفاوضات تطـــوان" فـــي تموز ــ يوليو ــ ١٩٢٣. وقد انتهت المفاوضات بالفشل نتيجة تنـــاقض أهـــداف الطرفين[٤٨].

بدأ الجيش الاسباني في منتصـــف آب ــ أغســـطس ــ ١٩٢٣ (مـــع تعييـــن الجنرال ايشاغ بدلاً من الجنرال بورجيت) تصعيد هجومه على القـــوات الريفيـــة التي واصلت عمليات التحرير ووصلت الى اقليم جبالة قـــرب خـــط شفشـــاون ــ تطوان، وقد وصل عدد القوات الاسبانية المهاجمة الى (٨٠) ألف جنـــدي، فيمـــا وصل عدد القوات الريفية الى حدود ١٤ الف مجاهد. وعند مدينة تفـــارين دارت معركة عنيفة اشتركت فيها النساء وأبدين بسالة في الثبات وتشجيع المجـــاهدين،

وتكبد الاسبان خسائر جسيمة في الافراد بلغت نحو (٣) آلاف قتيل، ومثلها في الأسرى، الا أن الاسبان استطاعوا فك الحصار عن المدينة[٤٩] . وفي هذه المرحلة، بدأت اسبانيا بدسائسها الى اثارة بعض قبائل المنطقة (غمارة ــ مرنيسة ــ اكزناية) من التي بقيت بعيدة عن المشاركة في الكفاح الوطني، وبالتعاون مع مشايخ الطرق الصوفية وفي مقدمتهم عبد الرحمن الدرقاوي، لضعضعة الأحوال الداخلية بوجه حكومة الريف، لذلك كرّست القيادة الريفية العمل على ضرورة احكام قبضتها في الداخل بالقضاء على التمردات الداخلية والابقاء على الوحدة الوطنية، وتوجيه الطاقات كافة لمواجهة المحتل[٥٠] .

انقلاب بريمودي ريفيرا :

أدت هزائم القوات الاسبانية أمام الثورة الوطنية المسلحة في الشمال المغربي، وعجزها عن فرض الاحتلال على المنطقة التي حددها الاتفاق مع فرنسا عام ١٩١٢، الى دعوة الحكومة الاسبانية الى تجنيد الفيالق العسكرية الاضافية للقضاء على الثورة الوطنية. ان تلك الدعوات باءت بالفشل، ويعود ذلك الى سببين: أولهما، يتعلق بالنفقات الباهظة التي يتطلبها ذلك، وثانيهما، الموقف السلبي للرأي العام الاسباني من تلك الدعوة، وقد أدى ذلك الى نشوب أزمة دستورية حادة نجم عنها وقوع انقلاب عسكري قاده الجنرال بريمودى ريفيرا. في ١٦ أيلول ــ سبتمبر ــ ١٩٢٣، ثم نصب نفسه رئيساً للوزراء[٥١] .

ان انقلاب ريفيرا لم يؤد الى اسقاط ملكية الفونسو الثالث عشر، بل اكتفى بأن وقف على رأس الحكومة الاسبانية، وقد صرح ريفيرا بأن انقلابه جاء

للقضاء على الفساد الداخلي، ومحو العار الذي لحق باسبانيا فـــي المغــرب مـــع مراعاة ظروفها الاقتصادية. وعليه، فقد كانت خطته العسكرية تقوم على أســـاس أن يحكم الاسبان استعداداتهم الاقتصادية والحربية قبل أن يستأنفوا أي عمل ضد الثورة الوطنية(٥٢) .

استمرار الصراع العسكري:

بدأ الجنرال ريفيرا العمل على تحييد الشريف الريسوني والاتفاق معه علـــى الصلح لقاء شروط معينة، وعليه فقد أوعز الى المندوب السامي الاسباني الجديـد في الشمال المغربي الجنرال آيثوبورو، الى فتح الحوار مع الشـــريف الريســوني في قبيلة بني عروس، وتمخض اللقاء الذي جرى بين الطرفين يوم ١٢ تشـــرين أول ــ اكتوبر ــ ١٩٢٣ عن تجديد للاتفاق السابق لعام ١٩٢٢(٥٣) . ويبـــدو أن تجديد الاتفاق من قبل الشريف الريسوني مع الاسبان يعود الى الانهاك العســكري والاقتصادي في ظل امكانيات تسليحية ومؤنيـــة محـــدودة، لا معيـل ولا تمويـل خارجي، الى جانب سيطرته على اقليم جبالة ــ عدا المدن ــ الى جـــانب ازديـــاد اعتلال صحته ــ روماتيزم المفاصل ــ وعمليا كان يجاهد ضد الاحتلال والتوســع الاسباني من خلال مشاركة قواته مع القوات الريفية وباتفاقيات مسبقة مع الأمـير الخطابي.

حشد الأسبان في بداية عام ١٩٢٤ حملة عسكرية كبـــيرة قـــدرت المصـــادر عددها مابين (٤٠ ــ ٥٠) الف جندي مزودة بمختلف الأسلحة المتطورة آنـــذاك، وقد نزلت القوات الاسبانية في تطوان، وقبل أن تتقـــدم للقضـــاء علـــى الثـــورة الوطنية، حلقت الطائرات الاسبانية والقت اعلانات باللغة العربيـــة دعـــت فيـــها

المغاربة للاستسلام[٥٤] . الا أن القوات الوطنية تصدت للقوات الاسبانية في ربيع عام ١٩٢٤، وفي القاطعين الشرقي والغربي. فقد زحفت قوات المجاهدين الى جبهة مليلية بقيادة الأمير الخطابي، فيما سارت قوات أخرى الى اقليم جبالة على خط ششوان ــ تطوان. وقد دارت بين الجانبين معارك طاحنة تمكن خلالها المجاهدون من الثبات في مواقعهم وعدم تمكين القوات الاسبانية من التقدم صوب الداخل[٥٥] .

أعادت القوات الاسبانية في تموز ــ يوليو ــ تنظيم نفسها في الجبهة الغربية، وعززها الجنرال ريفيرا بالامدادات البشرية والذخائر والمؤن، وأراد الزحف شرقاً لملاقاة الجيش الاسباني الزاحف من الجبهة الشرقية ــ مليلية ــ فتصدت لهم القوات بقيادة امحمد الخطابي شقيق الأمير في منطقة وادي لو ــ شفشاون، ولم يحقق الاسبان أي فوز، وجاؤوا بنجدات أخرى من تطوان وسبتة، كما حضر الجنرال ريفيرا من مدريد ليشرف على سير القتال، فيما تلقى المجاهدون نجدات من الريف وغمارة ــ في جبالة ــ فاشتد ساعدهم، واستمرت المعارك حتى آب ــ أغسطس ــ ١٩٢٤. وأمام الصمود والهجوم الوطني بدأت الحصون الاسبانية تستسلم تباعاً ولم ينتصف شهر آب، حتى استسلمت كلها، فيما تكبدت القوات الاسبانية اكثر من (٤) آلاف قتيل، كما غنموا الكثير من الاسلحة والمعدات والمؤن[٥٦] وقد اعترف البلاغ الاسباني الصادر عن "لجنة تدبير المملكة" في تطوان، بصلابة المقاومة وقدرتها على النيل من حصون ومواصلات القوات الاسبانية، وسيطرتها على الموقف. لابل أن القوات الوطنية بدأت تحصن وجودها وتعزز دفاعاتها بحفر الخنادق وتخطيط الطرق لمواجهة قوات الاحتلال[٥٧].

بدأت القوات الوطنية تشن هجماتها على خط دفاع الأسبان في وادي لو ــ شفشاون، وبذلك اتصل المجاهدون ببعض قبائل جبالة الخاضعة للاسبان وفي

مقدمتها قبيلة بني سعيد، وبني حسان، فانضمتا الى القوات الوطنية، بـدأ لـهيب المعارك يمتد من مثلث تطوان ــ شفشاون ــ وادي لو، وهكذا وصلت القوات الوطنية على مشارف تطوان، مركـز النفـوذ الاسـباني وقاعدتـهم العسـكرية الرئيسية. وعلى هذا اصدر الجنرال ريفيرا أوامره بالانسحاب من مدينة شفشـاون وامتدت المقاومة الى القبائل الجبالية الساكنة بيـن تطـوان وطنجـة، فـهددت الحاميات الاسبانية على سواحل البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي، واتسع نطـاق الثورة فبلغ أواخر شهر آب ــ أغسطس ــ القصر الكبير جنوبـاً، فيمـا وقعـت مداخل مدينتي العرائش وأصيلا تحت ضربات القـوات الوطنيـة، فيمـا شـهدت المرحلة ذاتها التفافاً وانضماماً لقبائل جبالة القاطنة بين سبتة وطنجـة ــ بنـي مصور، أوراس ــ الى القوات الوطنية، وعند ذاك قرر الجنرال ريفيرا الانسـحاب من اقليم جبالة انسحاباً كاملاً[٥٨] .

تركت هزائم القوات الاسبانية أمام القوات الوطنية المغربية، أثرهـا الكبـير على الرأي العام الاسباني، فقد أوضحت جريدة السعادة المغربية (ناطقـة باسـم الحماية الفرنسية) نقلاً عن احدى الجرائد الاسبانية، تأثير انتصارات المغاربة فـي نفوس الاسبان، ودعت الى ايقاف الحرب والانسحاب من المغرب، وقالت: "وقـد عزم الوطن على ايقاف الحرب وهو مستعد استعدادات صادقة لتقديس الحكومـة التي تنقذه من الكابوس الرهيب من جراء حرب طاحنة في المغرب لا تعود بـأي فائدة..." ودعت الجريدة الجنرال ريفـيرا الـى الاتفـاق مـع الأمـير الخطـابي والانسحاب من المراكز الامامية وانشاء خط دفاع جديد[٥٩] .

وفي ١٦ تشرين أول ــ اكتوبر ١٩٢٤، حضر ثانية الجـنرال ريفـيرا الـى تطوان، وتبوأ الى جانب رئاسة الحكومة، مهام المندوب السامي الاسـباني فـي الشمال المغربي، وكانت بداية تغيير شامل للسياسة العسـكرية الاسـبانية، فقـد

تحولت من حالة الهجوم الى الدفاع ثم الانسحاب تحت ضغـط القـوى الوطنيـة، وعلى أثر ذلك عقد الجنرال ريفيرا مؤتمراً عسكرياً جـاء فـي احـدى قراراتـه الانسحاب من المناطق الداخلية والاكتفاء بحماية الموانيء[٦٠] .

حاول الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الاستفادة من الموقف الاسـباني المتضعضع، ودعا القيادة الاسبانية الى مفاوضات لتحقيق الصلح بين الطرفيـن، وأكد في شروطه على قيام اسبانيا بدفع ٢٠ مليون بيزتا تعويضات عمـا أنزلتـه القوات الاسبانية بالمنطقة من خسائر، وتسلم (١٥) طـائرة عسـكرية، و (٢٠) بطارية مدفع جبلية، وأن تجلو القوات الاسبانية الى حدود مدينتي مليلية وسبتة، والبحث في تبادل الأسرى وعقد معاهدة صلح بعد القبول بـهذه المطـالب. وقـد رفضت الحكومة الاسبانية شروط الأمير الخطابي[٦١] .

ان طلب الأمير الخطابي الدخول في مفاوضات ـ وهو في موقع المنتصـر ـ وعقد اتفاق للصلح بين الطرفين يعود على ما يبدو الى العمل على اعادة تنظيـم قواته وترتيب أوضاعه الداخلية في كافة المجالات، لتعزيـز امكاناتـه وتقويتـها للمواجهة وتطبيق "الميثاق القومي" في عدم الاعتراف بالحماية الأجنبيـة علـى المغرب، ويبدو أن ذلك يعود أيضاً الى بداية تحرك فرنسي مضـاد فـي منطقـة نفوذهم في الجنوب المغربي فأراد تعزيز قدراته العسكرية بمعدات متطورة.

بدأت القوات الاسبانية تنفذ قرار الانسحاب من الداخل، وعجل ضغـط القـوات الوطنية بانسحابهم من قرابة (٢٠٠) معسكر، وقد لاقى ذلك الانسحاب الكثير مـن الخسائر في الأفراد والمعدات، وفي انسحابهم من مدينة شفشاون منيوا بهزيمـة ساحقة في الأول من كانون أول ـ ديسمبر ـ ١٩٢٤ في معركة أطلـق عليـها الاسبان "معركة خندق الموت"، فيما أطلق عليها المغاربة "معركة عين الحمـراء". وكانت تلك المعركة احدى أهم المعارك التي جسدت التلاحم الكفاحي بين الثورتيـن

الريفية والجبالية، ولم تكن في نتائجها أقل أهمية عن شقيقتها معركة أنوال. وقد جاء في الاحصائيات الاسبانية الرسمية، أن خسائر القوات الاسبانية بلغت (٧) آلاف قتيل الى جانب العشرات من الضباط والاعتدة والمؤن[٦٢] .

عجّل الضغط الوطني من عمليات الانسحاب الاسباني، وزاد في خسائرهم في الافراد والمعدات مما حدى بالجنرال ريفيرا الى اقامة خط دفاعي سمي "خط بريمودى ريفيرا" لحماية مواقعهم الساحلية. وقد امتد ذلك الخط الدفاعي من ضواحي تطوان حتى مداخل طنجة ثم ينعرج نحو الجنوب الغربي جوار مدينتي أصيلا والعرائش الساحليتان، ثم ينحدر حتى حدود منطقة النفوذ الفرنسي قرب مدينة القصر الكبير. وبذلك انسحب الاسبان الى المناطق التي كانوا فيها عام ١٩١٦.

وقد كلفت عمليات الانسحاب الاسباني في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٢٤، خسائر في الافراد بلغت حسب التعداد الرسمي لوزارة الحربية في مدريد (٢١) الف قتيل وأسير ومفقود، ناهيك عن الخسائر في المعدات والمؤن[٦٣].

النضال السياسي في داخل المغرب وخارجه :

رافق الكفاح العسكري الذي خاضته الثورة الوطنية في اقليمي جبالة والريف محاولات جادة لتثوير المغاربة ككل ضد الاحتلال الثنائي للمغرب وتحقيق حرية البلاد واستقلالها ووحدتها الوطنية وفك أسر السلطة المغربية من ربقة المحتلين الفرنسيين والاسبان.

واذا كان الشريف احمد الريسوني قد بذل جهوداً مالية وسياسية مع بعض رؤساء وأعيان القبائل المحاددة لاقليم جبالو والخاضعة للنفوذ الفرنسي، ودعمها

سراً بالسلاح من أجل قيامها بالكفاح المسلح ــ كما مرّ سابقاً ــ فان جهود الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، قد جاءت لتوسع هذا النشـــاط للحركـــة الوطنيـــة الشمالية ليشمل عموم المغرب، وليوجد أرضية مشتركة للعمل الوطنـــي الموحـــد على طريق التحرير والوحدة، ليؤكد بذلك منطلقاته في "الميثاق القومي" في عـــدم الاعتراف بأي معاهدة تمس حرية المغرب وسيادته.

فقد وردت اشارة الى أن الأمير الخطابي أرسل عدداً من الرسائل الى زعمـــاء المقاومة المسلحة في منطقة النفوذ الفرنسي يدعوهم فيها الى مساندته للقضـــاء على الاستعمار(٦٤). كما بعث الأمير الخطابي الكثير من الرسائل الى جميع أنحـــاء المغرب، يدعو فيها الشعب وعلماءه لتأييد ومؤازرة حركته التحريريـــة، وكـــانت تلك الرسائل تعلق على الجدران وتوزع على البيوت، وأثمرت نتيجتها عن ظـــهور حركة شعبية نذرت نفسها لنشر الدعاية واســـتنهاض الســكان لتـــأييد الحركـــة التحريرية، واتخذت بعض البيوت مراكز لتجميع الأســـلحة وتهريبـــها مـــن قبـــل المدنيين لاخوانهم المجاهدين. وقد ثارت ثائرة الفرنسيين وقاموا بملاحقة أفـــــراد هذه الحركة والقبض عليهم وتفتيش البيوت ومصادرة الأسلحة، فقد اكتشف فـــي الدار البيضاء عام ١٩٢٤ أحد المراكز المهمة للحركة وقبض على الكثـــير مـــن رجالها، كما صودرت الكثير من النشرات العربية التي تحرض الوطنييـــن علـــى الثورة(٦٥). كما أثمرت تلك الجهود عن تضامن الشعب المغربي مع حركة الريـــف التحريرية، فقام الناس بمقاطعة مدارس الحماية وخاصة في العاصمة فاس(٦٦).

ان الجهود الشعبية في منطقة النفوذ الفرنسي لم تقف عنـــد حـــدود التـــأييد والعمل لامداد الحركة التحريرية بالسلاح والمال، وانما تعـــدى ذلـــك الـــى قيـــام "الحركة السرية" بمهاجمة المسؤولين الفرنسيين في البلاد وخطفهم او قتلهم، رداً على ملاحقتهم وتأييداً للكفاح التحرري(٦٧) .

أحدثت رسائل الأمير الخطابي أثرها عند بعض الشعراء الذين أخذوا يشيدون ببطولة الريفيين وكفاح أبناء الشمال المغربي ضد الاحتلال. وقد تغنى الشعب المغربي طويلا بقصيدة شاعت بينهم آنذاك ومطلعها:

يابني المغرب ان الوطنا تقتضي سمعته ترك الونا
فاحملوا الصمصام مع سمر القنا واسألوا الله انتصارالريفيين(٦٨)

كما كان لحركة التحرر الوطنية التي أصبح رمزها في هذه الفترة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي تأثير كبير على "الطرق الصوفية" ذات الاتجاهات البعيدة عن أصول الاسلام الحقيقية، وذات المواقف السلبية من الكفاح الوطني. فقد أخذ نفوذ تلك الطرق الصوفية (الدرقاوية ــ الكتانية....) ينحسر خاصة بعد أن إتضحت مواقف بعض دعاتها وتواطؤهم مع المستعمرين. وفي مقابل ذلك، أتسع نطاق الحركة الاصلاحية السلفية الداعية الى وجوب العودة الى المنابع الأولى للاسلام والوقوف ضد الأجنبي أيا كان(٦٩) .

كما سعى الأمير الخطابي الى كسب التأييد العربي والدولي للحركة الوطنية المغربية في مواجهتها للاحتلال الاسباني. فقد بعث العديد من الرسائل والوفود الى الصحف والمجلات والهيئات والمنظمات الدولية، شارحا فيها ومن خلالها نضالات الشعب المغربي وممارسات الاسبان تجاهه. فقد عرض القضية الوطنية في اقليم الريف على عصبة الامم في جنيف نهاية عام ١٩٢١، كما حاول ثانية من خلال الوفد الريفي الى باريس لعرضها ثانية على المنظمة الدولية عام ١٩٢٢ ــ ١٩٢٣، الا أن تلك العصبة أهملت مطاليبه اذاك. كما حاول توسيط

الحكومة البريطانية عبر الوكالة البريطانية في طنجة لعرض القضية على عصبة الأمم، وفشل للمرة الثالثة، ولم يكن ذلك الفشل الا تأكيدا علـى تضامن القـوى الكبرى المسيطرة على العصبة ضد حقوق الشعوب في الحرية والاستقلال(٧٠).

وقد عمل الأمير الخطابي على عرض القضية ـ من داخـل فرنسـا ـ علـى المجتمع الدولي، فقد اتصل ببعض المسؤولين من دول العالم ووكـالات الأنبـاء ورجال الصحافة ، شارحا ـ الوفد الريفي ـ حقيقة الحرب في شـمال المغـرب، وبين لهم التنظيمات الجديدة التي أحدثتها حكومة الريف، واكد لـهم "أن شـمال المغرب يدافع عن كرامته ووطنه بكل ما يملكه من قوة وايمان الى آخـر رمـق" وعلى الرغم من فشل الجهود في الحصول على دعـم دولـي لقضيـة الحريـة والاستقلال، الا أن الخطابي استطاع اخراج قضية الحرية والنضال في سبيلها الـى العالم واستطاع توجيه انظار الصحافة العالمية الى ذلك، فجاءت الصحافة العالمية ورأت حقيقة التنظيمات التي أدخلها، وحقيقة الحرب مع الأسبان، وبذلك اسـتطاع فك الحصار الاعلامي الذي أحاطه الاستعماريون حول قضيـة الثـورة الوطنيـة، وطارحا اياها الى الرأي العام العالمي(٧١) .

ولم يغفل الأمير الخطابي طرح قضية الثورة الوطنية في الشمال المغربـي على الرأي العام العربي والاسلامي، فقد وجه له رسالة من لندن أوضـح فيـها ممارسات الاسبان الوحشية ضد الأهالي، وحملاتهم العسكرية المسـتمرة علـى الشمال المغربي، ونهوض الشعب للدفاع عن حقوقه وحريته وقيامه "عـن بكـرة أبيه ليدافع عن حقوقه المهضومة، وتحقق أن الهروب من الموت مـوت وأن لا نجاة الا في تجريد السلاح ومقاومة هؤلاء الظلمة". وطالب العالم الاسلامي الـى التدخل للعمل على مساندة قضيته العادلة(٧٢). الا أن دعوة الأمـير الخطـابي لـم تحقق أهدافها المطلوبة، وذلك لانشغال العرب والمسلمين بمشاكلهم الوطنيـة أزاء

الاستعمار ـ بريطانيا ـ فرنسا ـ ايطاليا ـ وسعيهم للحصول على الاستقلال[٧٣] ، ورغم ذلك، فقد كان للرأي العام العربي وخاصة الصحافة موقفها الواضح والداعي الى مساندة الخطابي في كفاحه، والاشادة بنضال الشعب المغربي.

مؤتمر شفشاون:

في نهاية ١٩٢٤، وبعد الانسحاب الاسباني الى مواقعهم الساحلية في الشمال المغربي، أصبح الأمير الخطابي سيد الموقف بلا منازع، وفي الوقت نفسه، كان الشريف الريسوني يعاني آلام المرض في تازروت فيما تشترك قواته الجبالية بشكل مباشر أو غير مباشر مع القوات الريفية في عملية التحرير وكانت بداية عام ١٩٢٥، بداية الوحدة الوطنية السياسية للشمال المغربي بعد أن تحققت الوحدة الاندماجية عسكريا بين اقليمي الريف وجبالة.

ففي أوائل كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٢٥، عقد مؤتمر وطني في مدينة شفشاون، حضره زعماء ومشايخ الشمال المغربي، وكان بحق تظاهرة وطنية عبرت عن الايمان والاخلاص لقضية الحرية والاستقلال والوحدة الوطنية. وقد اتخذ المؤتمرون عدة قرارات أهمها: اعلان وحدة الريف وجبالة تحت رئاسة الأمير محمد ابن عبد الكريم الخطابي. كما دعي الشريف احمد الريسوني الى توحيد الموقف القيادي مع الخطابي بعد أن اندمجت عمليا قواعد حركة المقاومة الجبالية في ظل قيادة الخطابي[٢٤]. وقد أرسل الأخير الى الشريف الريسوني وفدا في نهاية كانون الثاني ـ يناير ـ أخبره في مقره في تازروت أن الأمير الخطابي بانتظاره في أجدير، وكان آنذاك قد أقعده المرض. ونقل بكل حفاوة وتكريم الى أجدير، وحظي من لدن الخطابي بكل الرعاية والاهتمام حتى التحق بالرفيق

الاعلى يوم ٩ رمضان ١٤٣٤هـ ، موافق ٣ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٢٥ ودفـــن في تامسينت قرب أجدير[٧٥]، فيما واصل نجله ونجل ابن اخيه مسيرتهما الكفاحية كقادة من قواد الثورة الوطنية تحت قيادة الخطابي على طريق الحرية والاستقلال والوحدة الوطنية[٧٦] .

ومنذ عام ١٩٢٥ بدأت الحركة الوطنية المسلحة في الشمال المغربي تدخـــل مرحلة جديدة في صراعها مع قوات الاحتلال الأجنبي، عندما فتح المســـتعمرون الفرنسيون الجبهة الجنوبية للقضاء على الحركة الوطنية، مساندين بذلك قـــوات الاحتلال الاسباني، وبدأت صفحة أخرى مشرقة في الجهاد الوطني.

هوامش الفصل الثالث

(١) آل الخطابي، أسرة عربية عريقة في اقليم الريف من الشمال المغربـــي، وقــد استقر أجدادها الذين قدموا من ينبع من اعمال الحجاز ـ كما ذكر بنفسه ـ في هذه المنطقة منذ القرن الثالث للهجرة، ومن هذه الأسرة ولد محمد بـــن عبــد الكريــم الخطابي عام ١٨٨٢، ونشأ وتتلمذ في قرية أجدير على يد والده وعمه عبد السـلام فتعلم مبادىء العلوم الدينية والعربية، ثم سافر الى تطوان مع عائلته عــام ١٨٩٦، للدراسة والتحق بالجامع الكبير ودرس على يد شيوخ معروفين، وعاد منـــها عــام ١٩٠٠ الى أجدير. وفي عام ١٩٠٢ رحل الى فاس للدراسة واستقر فـــي مدرســة العطارين ثم التحق بجامعة القرويين وواصل دراسته المعمقة. على يد عــــدد مــن الشيوخ الكبار. كان الخطابي منذ تلك المرحلة ذكيـــا ونشـــيطا ســريع الملاحظــة والاستيعاب، وعندما التحق بالقرويين كان واعيا للأحداث ومدركا لطبيعة مؤامــرات الغرب وفرنسا وأسبانيا بشكل خاص، وخلال تلك الفترة اتصل ببعض الشـــخصيات المسؤولة للاطلاع على مجريات الأحداث ونجح في ربـــط الاتصـــال بيــن والــده والمخزن المغربي. ومنذ عام ١٩٠٥ خطط والده لارســـاله الـــى مليليـــة المحتلــة للاطلاع على أوضاعها عن كثب، وارسال ابنه الأصغر امحمد الى مدريـــد لاكمـــال دراسته الحديثة.

كانت فاس مدرسته الثقافية الاساسية، كما كانت مدرسته الدينيـــة المتنـــورة حيــث عاش في أجواء "الحركة السلفية" ومواقفها الاصلاحية والوطنية التي أثرت في تعميـــق الحس الوطني من خلال دعوتها لمقاومة الاستعمار. وفي عـــام ١٩٠٦ تخــرج مــن القرويين وعاد الى أجدير، وبدأ يتردد على جزيرة الحسيمة (النكور) ويختلط بالاســبان،

وبدأ يتعلم لغتهم. وقد عينه الأسبان لمعرفته لغتهم معلماً للصبيان المغاربة في مليلية عام ١٩٠٧، كما عيّن مستشاراً في مكتب شؤون المغاربة عام ١٩٠٩ ــ ١٩١١، واهتم خلال وجوده بالتنظيم العسكري والاداري للاسبان، وتعرف على وسائل الاحتلال، كما عمل خلال المرحلة نفسها، ١٩٠٨ ــ ١٩١٢ في جريدة تلجراما ديل الريف Telegramma del Rif واسهم في اعدادها. وعمل كذلك مستشاراً في المحكمة العليا للجنايات من ١٩١١ ــ ١٩١٤، وأخيراً تسلم منصب قاضي القضاة من ١٩١٤ ــ ١٩١٩ في مليلية.

كان الخطابي يشغل اكثر من منصب، وكان ذلك اعترافاً من الأسبان بأهليته من جهة، وفي محاولة استمالة والده أو تحييده من جهة أخرى، وقد كان والده يساند الشريف محمد أمزيان في ثورته منذ عام ١٩٠٦. وقد حاول الاسبان استمالته واغراءه بمنصب الحاكم العام للريف بعد اعلان الحماية عام ١٩١٢، الا أنه رفض.

للتفاصيل، انظر:

محمد محمد سلام أمزيان: عبد الكريم الخطابي ودوره في لجنة تحرير المغرب العربي ١٩٤٧ ــ ١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، (بغداد ١٩٨٨)، ص ٢٣ ــ ٢٤.

القاضي، المصدر السابق، ص٨٦.

اللوه، المصدر السابق، ص ٢٤٨ ــ ٢٥٥.

البوعياشي، المصدر السابق، ج١، ص٧٦ ــ ٧٧.

الفاسي: المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، ص١١٣، الحركات الاستقلالية، ص١١٩.

محمد العلمي: زعيم الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي، دار الكتاب، (الدار البيضاء ١٩٦٨)، ص١٧،

محمد عبد المنعم ابراهيم المحامي: الأمير عبد الكريم بطل الشمال الافريقي، المكتبة العلمية (القاهرة ١٩٥٨)، ص ١٩.

(٢) القاضي، المصدر السابق، ص٦٤.

(٣) القاضي، المصدر نفسه، ص ٦٤ ـ ٦٥، المحامي، المصدر السابق، ص ٤١.

(٤) نقلاً عن المؤرخة الروسية لوتسكايا، عن هاشم التكريتي: معركة أنوال، المؤتمر العلمي الأول، تاريخ العرب العسكري، (بغداد ١٩٨١)، ص٤.

(٥) سعيد، المصدر السابق، ص١٧٦

(٦)

Pennell, op . cit, p. 29

(٧) عبد الكريم غلاب: شخصية عبد الكريم الخطابي، جريدة العلم (المغربية) في ٢٥ آذار ـ مارس ـ ١٩٦٣، ص٦.

(٨)القاضي، المصدر السابق، ص٩٢ ـ ٩٣:

(٩)اللوه، المصدر السابق، ص٣٥٦ ـ ٣٥٨.

(١٠) البوعياشي، المصدر السابق، ج٢ ص ١٤٦ ـ ١٥٠.

(١١) عن البوعياشي، المصدر نفسه، ج١ ص ١٦.

البوعياشي، المصدر نفسه، ج٢ ص ٤٧ ـ ٤٩.

(١٢) سعيد: ثورات العرب، ص١٧٦.

(١٣) القاضي، المصدر السابق، ص٦٤ ـ ٦٥، وانظر كذلك:

محمد بن عزوز حكيم: معركة أنوال، مطبعة الساحل، (الرباط ١٩٨١)، ص ٢٣ ـ ٢٥.

(١٤) الفاسي: الحركات الاستقلالية، ص١١٧.

(١٥) القاضي، المصدر السابق، ص٩٧.

(١٦) ابراهيم شحاتة حسن: نصوص ووثائق في تاريخ المغرب تحت حكم الحماية، منشأة المعارف، (الاسكندرية ١٩٧٧)، ص٢١٠.

(١٧) القاضي، المصدر السابق، ص١٠٢، ابن عزوز حكيم: معركة أنوال، ص٢١ ــ ٢٣، ٣٨، البوعياشي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٩.

(18) Robin Bidwell : Morocco Under Colonial rule, French Administration of Tribal Areas 1912 – 1956, Frank Cass, (London 1973), P. 34.

(19) Abderrahman Youssoufi : Les institutiode de /a Republiue du Rif , en , Charles – Andre Julien, Abdelkrim, et La republiaque du Rif, francois maspero, (paris 1976) P. 90 . (Julien) سأرمز للكتاب باسم مقدمه

(20) pennell, op. Cit, p. 25.

(٢١) القاضي، المصدر السابق، ص١٠٠ ــ ١٠١، البوعياشي، المصدر السابق، ج٢ ص٥١.

(٢٢) تقرير حاكم جزيرة النكور الى الجنرال سلفستري القائد العسكري العام لاقليم الريف يوم ٣٠ نيسان ــ ابريل ــ ١٩٢١. عن ابن عزوز حكيم: معركة أنوال، ص٣٥.

(٢٣) انظر بالتفصيل:

القاضي، المصدر السابق، ص ١٠٤ ــ ١٠٩، ابن عزوز حكيم: معركة أنوال، ص٢١، سعيد: ثورات العرب، ص١٨٠.

(٢٤) محمد أمين العمري: الحرب الريفية سر انتصار الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، مطبعة دار السلام (بغداد ١٩٢٥)، ص٣٨ ــ ٣٩.

(٢٥) لاندو: تاريخ المغرب، ص١٢٩.

(٢٦) انظر بالتفصيل:

ابن عزوز حكيم: معركة أنوال، ص٤٨ ــ ٥٧، القاضي، المصدر السابق، ص١٠٩ ١١٤، سعيد: ثورات العرب، ص١٨٢، عمر ابو النصر: بطـــل الريــف الأمير عبد الكريم، المكتبة الاهلية، (بيروت ١٩٣٤)، ص١٢٢.

(٢٧) ابن عزوز حكيم: معركة أنوال ص٥٩ ــ ٦١، العلمي، المصدر السابق، ص٢١.

(٢٨) سعيد: ثورات العرب، ص١٠٨، ابن عزوز حكيم: معركة أنوال، ص٦٢.

(٢٩) القاضي، المصدر السابق، ص١٢٠ ــ ١٢٢، ابن عزوز حكيم: معركة انوال، ص٧٣، ٨٨ ــ ٩٠، ٩٧، ١١٨.

(٣٠) نقلاً عن: العمري،، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٣١) نقلاً عن: ابن عزوز حكيم: معركة أنوال، ص١٦٢، وانظـــر: البوعياشـــي، ج١ ص٢٩.

(٣٢) انظر:

محمد بن عزوز حكيم: معركة أنوال ص١٧١، القاضي، المصدر السابق، ص١٢٤، سعيد: ثورات العرب، ص١٨٢ ــ ١٨٣.

عن : لوتسكايا، عن: التكريتي، المصدر السابق، ص٢١.

Jeun Brignon : Histoire du Maroc, (Casablance 1982), p. 387.

(٣٣) أمين سعيد: الوطن العربي، دار الهلال، (القاهرة، بلا)، ص٤٢.

(34) Jean Meyer : Les consquences politiaues de la guerre du Rif en Espqgne, en Julien p. 305.

العمري، المصدر السابق، ص٣٨، سعيد: ثورات العرب، ص١٨٣.

(٣٥) انظر نص الرسالة في الملحق رقم (٢).

(٣٦) نشر هذه الرسالة الدكتور عبد العزيز خلوق التمسماني في:

جريدة العلم ـ الملحق الثقافي ـ يوم ١٩٨٩/٩/١٩. ونشرت ايضاً في مجلة "دار النيابة"، العدد (١٣٤)، السنة (٤)، طنجة ١٩٨٧.

ـ باللغة الفرنسية ـ ونشرت في نفس المجلة باللغة العربية في العدد (٢٣ ـ ٢٤) ـ ١٩٨٩. كما نشرها النقيب الاستاذ علي الغالي الريسوني في جريدة "الوحدة الكبرى" العدد (١٦٦) السنة (٤) والعدد (١٦٧) السنة (٤)، تطوان ١٩٩٠.

(٣٧) رشدي الصالح ملحق: سيرة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، بطل الريف ورئيس جمهوريتها، المطبعة السلفية، (القاهرة ١٩٢٥)، ص٥١.

القاضي، المصدر السابق، ص١٤٠ ـ ١٤١.

عمران ابو النصر، المصدر السابق، ص١٥٤.

البوعياشي، المصدر السابق، ج٢ ص٣١٢.

(٣٨) للتفاصيل، انظر:

القاضي، المصدر السابق، ص١٣٢ـ ١٤٠، ابو النصر، المصدر السابق، ص١٥٥ ـ ١٥٦، الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص١١١ ـ، بن عبدالله، المصدر السابق، ص١٠٤. يحيى: المغرب الكبير، ج ٣ ص٩٧٣، الريسوني: الذكرى الستونية، ص٣٢.

(٣٩) انظر بالتفصيل:

ابن عزوز حكيم: بطل جبالة، ص٨٥ ـ ٩٢، الريسوني: الذكرى الستونية، ص٢٦ ـ ٢٧.

(٤٠) الريسوني: الذكرى الستونية، ص٢٦ ـ ٢٧.

(٤١) انظر كذلك:

Julien , op . cit, p. 123,

عبد الكريم غلاب: التطور الدستوري والنيابي في المغرب، ١٩٠٨ ــ ١٩٧٧، (بلا، بلا)، ص١٤٤.

ملحس، المصدر السابق، ٣١.

وللمزيد من التفاصيل عن مؤسسات حكومة الريف طيلة خمس سنوات، راجع مصادر الفصل الخامس والسادس.

(٤٢) الوزاني: المقاومة المسلحة، ص٩٥ ــ ٩٦.

(٤٣) الريسوني: أبطال...، ص٢١٦ ــ ٢١٧، يحيى : المغرب الكبير، ج٣ ص٢١٧.

(٤٤) انظر نص الرسالة المؤرخة في ٢٠ تشرين الثاني ــ نوفمبر ــ ١٩٢٢ من الشريف الريسوني الى الأمير الخطابي، الملحق رقم (٧).

(٤٥) سعيد: ثورات العرب، ص١٨٢ ــ ١٨٣.

(٤٦) تقرير المقيم العام الاسباني الجنرال بورجيت الى وزير الدفاع الاسباني يوم ٣ ديسمبر ١٩٢٢، نقلاً عن: الوزاني، المصدر السابق، ص٩٦.

(٤٧) لم يستطع الاسبان تحقيق أي نصر على القوات الريفية خلال أعوام ١٩٢٠ ــ ١٩٢٣.

(٤٨) للتفاصيل عن مفاوضات تطوان بين الوفد الريفي والوفد الاسباني، انظر: ملحس، المصدر السابق، ٥٧ ــ ٥٨.

الكافي، المصدر السابق، ص١٤٦ ــ ١٥٠

(٤٩) ملحس، المصدر السابق، ص٢٨، ابو نصر، المصدر السابق، ٦٢.

(٥٠) ابن جلون، المصدر السابق، ص١٨١.

(٥١) للتفاصيل عن ذلك، انظر:

محمد رفعت: تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، دار المعارف، (القاهرة ١٩٥٩)، ص٣٩٧.

رابطة الدفاع عن مراكش: مراكش في معركة الحرية، ص٢٨.

مجلة الهلال (المصرية) شباط ــ فبراير ــ ١٩٢٤، ج ٥ ص٥١٥.

ملحس، المصدر السابق، ص٥٩.

العمري، المصدر السابق، ص٥٢ ــ ٥٣،

Lezcano , op, cit, p. 97 – 98.

(٥٢) صلاح العقاد: المغرب العربي بين التضامن الاسلامي والاستعمار الفرنسي، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة ١٩٥٧)، ج ١ ص٧٣ ــ ٧٤

(٥٤) الوزاني، المصدر السابق، ص٩٩.

سعيد: ثورات العرب، ص١٨٣.

(٥٥) ملحس، المصدر السابق، ص٥٩ ــ ٦١.

(٥٦) المحامي، المصدر السابق، ص٦٠، سعيد: ثورات العرب، ص١٨٦.

(٥٧) جريدة السعادة (المغربية)، العددان، ٥، ١٣، آب ــ أغسطس ــ

(٥٨) سعيد: ثورات العرب، ص١٨٦ ــ ١٨٨.

(٥٩) جريدة السعادة (المغربية)، ٣١ آب ــ أغسطس ــ ١٩٢٤.

(٦٠) ملحس، المصدر السابق، ص٩٣.

(٦١) احمد عسة: المعجزة المغربية، دار القلم، (بيروت ١٩٧٥)، ص١٧٩.

(٦٢)محمد بن عزوز حكيم: معارك الثورة الريفية، مؤسسة عبد الخالق الطريس، (الرباط ١٩٨٣)، ص١٩٠.

(٦٣)جريدة السعادة (المغربية)، ١٠ آذار ــ مارس ــ ١٦٢.

(30) Youssoufi, op. cit, p. 87.

(٦٤)عبد الكريم غلاب: تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، الشركة المغربية للطبع والنشر، (الرباط ١٩٧٦)، ج ١ ص ٢١،

(٦٥)الفاس: الحركات الاستقلالية، ص١١٧.

(٦٦)ابو النصر, المصدر السابق، ص٨٨، ١٩٢، ٢٠١.

العلمي، المصدر السابق، ص٣٥.

(٦٧)صبحي، المصدر السابق، ص١٢٨.

(٦٨)الفاسي: الحركات الاستقلالية، ص١٢٨.

(٦٩)الفاسي: حديث المغرب...، ص٩٩، الحركات الاستقلالية، ص١٣٤.

(٧٠)انظر بالتفصيل:

العمري، المصدر السابق، ص٣٤ ــ ٣٥،

المحامي، المصدر السابق، ص١٠٧،

ابو النصر، المصدر السابق، ص٢٧، ١٤٣، ١٥٣.

ابن جلون، المصدر السابق، ص١٨٩.

سعيد: ثورات العرب، ص١٩٧ ــ ١٩٨.

(٧١)القاضي، المصدر السابق، ص١٢٨، ١٣٠ ــ ١٥٣.

(٧٢)ملحس، المصدر السابق، ص٤٠ ــ ٤١،

ابو النصر، المصدر السابق، ص١٤٧ ــ ١٥٠.

(٧٣)ستودارد، المصدر السابق، ج٣ ص١٩٢ ــ ١٩٤.

(٧٤)القاضي، المصدر السابق، ص١٦٧ ــ ١٦٩.

(٧٥)الريسوني: أبطال، ص٢٢٨، الذكرى الستونية، ص١٦ ــ ١٧.

(٧٦)جريدة نداء الشعب (العراقية)، ٢٥ آذار ــ مارس ــ ١٩٢٦.

الفصل الرابع

مؤسسات جمهورية الريف

كان لمعركة أنوال نتائج واضحة على الأصعدة المحلية والعربية والدولية فعلى الصعيد المحلي، ابتهج الريف بهذا الانتصار وأيقن أن بامكانه الوقوف في وجه الاستعمار الأجنبي مهما كانت عدته[1] ، كما أحدثت تماسكاً داخلياً أقوى وراء قيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي، اذ انضمت بقية القبائل التي تحررت من نير الاسبان الى الثورة الوطنية، ودعا الخطابي أعيان هذه القبائل الى مؤتمر عام في ماورو، وأكد عليهم بأن "ينظموا صفوفهم لخدمة الصالح العام لا للمصلحة الشخصية" وصرح لهم بأنهم في بداية الكفاح وان انتصارهم في أنوال "بداية حرب حقيقية مع دول استعمارية أخرى لا مع الدولة الاسبانية وحدها"[2] ، كما كان لانتصار القوات الريفية صداه في الجبهة الغربية، ففي أول تشرين أول ــ اكتوبر ١٩٢١ حاولت قبائل غمارة الانضمام الى صفوف الثورة ومحاربة الاسبان، وقد لبى الخطابي طلبهم وأرسل شقيقه على رأس (١٠٠٠) مقاتل الى هذه المنطقة واتخذ مركزه العام في "الحد بني زيات" ثم هاجم الاسبان في بقاع اسراس بعد أن نظم شؤون المقاتلين، الا أن المعركة لم تسفر عن نتيجة. وفي ٢١ منه، قامت القوات الريفية بالهجوم على خط تطوان شفشاون ومحاصرة المراكز الاسبانية في هذه المنطقة. وقد ساهم في ذلك عدد من قوات الشريف الريسوني. وأمام هذا الحصار لم يستطع الاسبان سحب حامياتهم حتى ٩ تشرين الثاني ــ نوفمبر ــ وبعد خوض معارك طاحنة مع القوات الريفية. ولم تتحقق وحدة قبائل غمارة مع الريف بسبب السيطرة الاسبانية في الجبهة الغربية، وجهود المرتزقة العاملين لصالحها[3] .

كان أهم نتائج هذه المعركة بعد أن توحدت صفوف المجاهدين من مختلف القبائل تحت قيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي، هو تأسيس حكومة دستورية جمهورية يرأسها محمد بن عبد الكريم في ١٩ أيلول ــ سبتمبر ــ عام ١٩٢١ (٤) ، عرفت باسم "جمهورية الريف". وكانت نواة بنية سياسية وعسكرية مستقلة حملت في ذاتها "مشروعاً حقيقياً للتقدم والتحديث" من خلال محاولاتها الجادة لاحداث تغييرات حقيقية في بنية المجتمع الريفي في مختلف المجالات.

أما نتائج المعركة على الصعيد العربي والاسلامي عامة، فقد هز الانتصار الذي حققه مناضلو الريف معظم اقطار الوطن العربي، حيث استقبل الشعب العربي انتصارات اخوانهم ابطال الريف بفرح وابتهال كبيرين(٥) .

وعلى الصعيد الدولي، فقد كان لهذه المعركة انعكاساتها وتأثيراتها على الأوضاع الداخلية في اسبانيا، اذ كانت سبباً في استقالة الحكومة الاسبانية في ١٠ آب ــ أغسطس ــ ١٩٢١، وحدث اهتزاز حكومي، حيث استمرت الانقسامات بين العسكريين، وطلب ملك اسبانيا الفونسو الثالث عشر Al Phonse XIII الى مورا Maura تأليف وزارة جديدة(٦)، كما عمقت أنقسام الرأي العام الاسباني وارتفعت الأصوات المطالبة بالجلاء عن المغرب وانهاء الحرب الاستعمارية(٧).

أما تأثير هذه المعركة على الوجود الفرنسي في المغرب، فقد خشى الفرنسيون من نتائج الثورة الريفية، وبدأ القواد العسكريون يستعرضون جنودهم لارهاب السكان(٨)، وأيقنت فرنسا أن مصيرها في المغرب العربي متعلق بالحرب الاسبانية، فانتصار هذه القوة الفتية لابد وأن يدفع بالمغاربة جميعاً الى التضامن والوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي(٩) ، فمنذ تلك الفترة بدأ واضحاً الموقف

الفرنسي المعادي لثورة الريف ليأخذ ابعاداً سياسية وعسكرية جديدة في المراحل التالية، كما سنرى.

نسب الى المؤرخين الاسبان أنهم حاولوا تبرير هزيمتهم في أنوال حينما يعزون ذلك الى عاملين، أولهما طبيعة البلاد الصعبة وثانيهما الفساد الذي كان منتشراً في صفوف الجيش الاسباني(١٠) ، ورغم قيمة هذين العاملين، الا أنهم اغفلوا عاملاً مهماً، وهو أنهم كانوا يواجهون شعباً موحداً في ظل قيادة واحدة ومن جهة أخرى، ان الريفيين امتازوا بسرعة الحركة ومعرفة تامة بطبيعة مسرح العمليات، اضافة الى اسلوب القتال الذي اتبعوه وحسن انضباطهم وكفاءتهم القتالية، فكانت كلها عوامل مساعدة في تحقيق الانتصار(١١) ، لكن الجانب الأهم هو الايمان العميق بعدالة القضية التي كانوا يقاتلون من أجلها وتطلعهم وعملهم من أجل الحرية والاستقلال والوحدة الوطنية.

النظام السياسي والمؤسسات السياسية والادارية:

أدى الانتصار الساحق الذي احرزته الثورة الريفية بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي في معركة أنوال، الى تحرير معظم الريف المغربي، وتراجع الاسبان الى مواقعهم السابقة في مليلية وجزيرتي بادس والنكور، اضافة الى وجودهم في منطقة جبالة. وكان هذا الانسحاب يعني تمتع اكثر قبائل الريف التي كانت خاضعة للاسبان بحريتها بعيداً عن سيطرتهم. كما أدى الانسحاب الاسباني الى انضمام القبائل المحررة من سطوتهم، الى الثورة وقائدها، وأعلنت عن تأييدها لقيادته. وعلى ذلك فقد ازدادت قوات الثورة الريفية، فكان لابد من تنظيم السكان بشكل يتلاءم وطبيعة الصراع مع الاسبان، اذ يقتضي الموقف الحربي

ترتيب مواقعهم وتوجيههم على وفق متطلبات ادارة المنطقة عسكرياً ومدنياً. وعلى هذا فان حرب التحرير التي قادها محمد بن عبد الكريم الخطابي لا يمكن أن تنجح بدون وجود حكومة[١٢] .

كانت رئاسة محمد بن عبد الكريم قائمة في قبيلة بني ورياغل والقبائل المتحالفة معها قبيل معركة أنوال. وعبّر مركز القامة عن نواة بنية سياسية في المنطقة نضجت بعد معركة أنوال[١٣] ، اذ أن الوضع الجديد الذي ساد بعد المعركة، جعل الجميع يفكرون في ايجاد مؤسسات سياسية وادارية تؤكد استقلال وارادة الشعب في التحرير واختيار الصيغة المثلى في ممارسة السيادة الوطنية في المناطق المحررة. فدعا الخطابي الى عقد مؤتمر عام في اجدير حضره زعماء القبائل في المناطق المحررة في اقليم الريف، وتحدث محمد بن عبد الكريم في ذلك المؤتمر، مشيراً الى العلاقات التاريخية بين العرب والأسبان في الأندلس والمغرب، وأوضح لهم الممارسات الاستعمارية الاسبانية في البلاد. ثم تطرق الى ذكر الاسباب التي حملته على مقاومتهم، وأكد أهمية الاتحاد والتضامن للوصول الى النجاح في هذا الصراع المصيري، فاتفق الجميع على الكفاح والدفاع حتى الاستشهاد. ورأوا أن أضمن طريق للنجاح هو تشكيل مجلس عام ليكون المرجع الأعلى لحركة المقاومة بحيث يضع برنامجاً للسير عليه، ويؤلف حكومة وطنية تدير شؤون البلاد وتضع الأنظمة والقوانين[١٤]، كما قرر المؤتمرون اعطاء محمد بن عبد الكريم لقب (الأمير) بدلاً من لقب (الفقيه) الذي كان يعرف به بصفته قاضياً للقضاة، وفوضوه تفويضاً تاماً في تأليف حكومة تحت رئاسته المباشرة[١٥]، وقالوا له: "لقد أعطيناك بيعتنا ومنحناك السلطة لتحكم بالعدل والاخلاص"[١٦] ، وهكذا ترسخت في ذلك الاجتماع الجماهيري أسساً متينة لسلطة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي من خلال الانتخاب الشعبي الذي

شاركت فيه المناطق المنضوية تحت لوائه كافة. واذا كانت قيادته في السابق قد قامت من أجل طرد الأسبان من البلاد وتحريرها، وهو الشكل المألوف تاريخياً في المغرب لوضع القيادة المجاهدة التي تمتلك مؤهلات قيادية أهمها: العامل الديني، في مواجهة التحديات الصليبية التي استهدفت المغرب تاريخياً، فان المرحلة الجديدة شهدت ولادة كيان سياسي في المنطقة عمل على ايجاد سلطة مركزية اضطلعت بمهمة مواصلة العمليات العسكرية لتحرير التراب المغربي، فبدون ذلك لا يمكن أن تكون هناك وحدة دائمة في البلاد، فبفضل هذه القيادة المركزية تستطيع البلاد مواصلة عمليات التحرير، وتحافظ على الأمن والاستقرار في داخل البلاد. وبذلك استطاع الأمير محمد بن عبد الكريم "استغلال رغبة موجودة فعلاً نحو الوحدة كقوة ضد الغزاة وتوجيهها نحو نشاط عسكري واصلاح اجتماعي"[١٧] ، وهكذا كان ميلاد ما أطلق عليه "جمهورية الريف" قد جاء معبراً عن رغبة المغاربة في الريف في اختيار نظامهم بأنفسهم[١٨] ، كما عبر في الوقت ذاته عن ميل شديد لاقتباس النظام الديمقراطي في تنظيم شؤون الحكم[١٩]

ان مصطلح "جمهورية" كما بدأ في فكر وسلوك الخطابي والقيادة الريفية آنذاك، لم يكن يعني ايجاد نظام سياسي جديد في المغرب بديلاً عن السلطنة المركزية، لأنه اذا اتتبعنا مواقف والده ومواقفه هو سنجد التعلق الكبير بالمخزن المغربي والرغبة الصادقة في الدفاع عنه وابقائه قوياً قادراً على ادارة البلاد ومواجهة التحديات الداخلية والخارجية. ويبدو أن مصطلح "جمهورية" مأخوذاً من الجمهور، أي الشعب، ومعنى ذلك تأكيد لسلطة الشعب وضرورة تأطير النظام بالدستور الذي يضمن سلطة الشعب، وهو مادعت اليه وعملت من أجله الحركة الدستورية التي أوصلت السلطان عبد الحفيظ (١٩٠٨ ــ ١٩١٢) الى السلطة.

فلم يكن هدف الخطابي الوصول الى السلطنة، وانما كان التحرير والحصول على الاستقلال والوحدة الوطنية هدفه الأعلى، وفي نظره أن تحرير اقليم الريف من الشمال المغربي، هو خطوة أو مرحلة على طريق تحرير المغرب من الحماية الثنائية. وكان لقب "الأمير" هو الاسم المحبب له بوصفه قائداً للمجاهدين لمقاومة الاحتلال الأجنبي.

لقد حاول الأمير الخطابي أن يثبت لأوربا والعالم أن المغاربة في اقليم الريف غير عاجزين عن ادارة أنفسهم بأنفسهم وليسوا بحاجة الى وصاية أو انتداب أو حماية من أحد. وهكذا نُقل عن الخطابي قوله لأحد الصحفيين الأجانب عام ١٩٢١: "اننا نعادل الأوربيين كفاءة في حكم أنفسنا بأنفسنا، ونزد على الاسبان كفاءة واقتداراً، اننا نطالب بحقوقنا. واليوم نشتغل بتنظيم جمهورية صغيرة، وأنا على وشك أن أرسل وفوداً الى فرانسة وانجلترا وأمريكا لتعترف هذه الممالك باستقلالنا كجمهورية"[٢٠].

المؤسسات الدستورية لجمهورية الريف:

تمثلت المؤسسات الدستورية لجمهورية الريف بما يلي:

١ ـ المجلس العام.

٢ ـ الدستور.

٣ ـ الميثاق الوطني.

المجلس العام:

تشكل المجلس العام، وهو بمثابة الجمعية الوطنية من أعيان ومشايخ وولاة ومجاهدي القبائل، فكان هذا المجلس هو الممثل لارادة الشعب، فتولى تنظيم الكفاح الوطني وادارة شؤون البلاد، وعقد أولى جلساته في ايلول ـ سبتمبر ـ ١٩٢١. ولعل في مقدمة القرارات التي اتخذها، اعلان استقلال البلاد، وتشكيل حكومة دستورية جمهورية برئاسة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، وقد تم تشكيل هذه الحكومة في ١٩ أيلول ـ سبتمبر ـ عام ١٩٢١.

عقد المجلس العام اجتماعات عديدة لوضع دستور للبلاد يقوم على أساس سلطة الشعب، وقد جعلت السلطتين التشريعية والتنفيذية في يده، ولم يفصل بينهما[٢٢] ، وكان الأمير محمد بن عبد الكريم قد أملى مشروع الدستور المكون من أربعين مادة[٢٣] ، وأهم ما تضمن مايلي:

١ ـ رئيس الجمهورية، يعد رئيساً للمجلس العام (الجمعية الوطنية).

٢ ـ على اعضاء المجلس العام تنفيذ المقررات التي يقرها المجلس العام وهم مسؤولون عن ذلك أمام رئيس الجمهورية بصفته رئيساً للمجلس والرئيس مسؤول عنها أمام المجلس العام.

٣ ـ تشكيل الحكومة الجمهورية وتعيين الوزراء لادارة شؤون الحكم وتنظيم الأحوال الداخلية للبلاد[٢٤] .

٤ ــ اختيار علم لدولة الجمهورية الريفية، ويتألف هذا العلم من أرضية حمــراء وفي وسطه نجمة خضراء سداسية ضمن هلال في رقعة بيضاء[٢٥] .

٥ ــ جعل اجدير "عاصمة" الجمهورية الريفية ومعســكراً لجيشــها[٢٦] ، نظــراً لكونها مركز الحركة التحريرية، ولموقعها الطبيعي المحصن حيث تقع في منطقــة جبلية، وقد استمرت عاصمة للجمهورية حتى سقوط جمهورية الريف[٢٧] .

ان علم "جمهورية الريف" يؤكد أن الخطابي بدأ بحركته التحريريـــــة متجــاوزاً الأطار القبلي المحلي الذي طبع رؤية ومسيرة القيادات التاريخية المجاهدة التـــي عرفها تاريخ المغرب الجهادي، الى الاطار الوطني المغربي والعربي العام. فاللون الأحمر كان شعار أهل الحجاز قبل الاسلام ثم راية الأسرة المالكة فـــي المغــرب، والأخضر شعار أهل البيت النبوي الكريم، أنا اللون الأبيض فهو شعار الأموييـــن في الشام والأندلس.

الميثاق الوطني:

وبعد أن أنتهى المجلس العام من وضع الدستور للبلاد، شـــرع فـــي ميثــاق وطني ليكون منهجاً للشعب في كفاحه ونضاله من أجـــل الحريـــة والاســـتقلال. والسيادة، وينظم قواعد التعامل مع اسبانيا التي تدور رحى الحرب معـــها، ومـــع الدول الأخرى على أساس المصلحة الوطنية والاعتراف بحقوق البلاد في الســيادة والاستقلال والمنافع المتبادلة. فأقرت الميثاق الوطني الذي تضمن النقاط الآتية:

١ ــ عدم الاعتراف بأي معاهدة تمس بحقوق المغــرب أو تكــون لــها علاقــة بمعاهدة ١٩١٢.

٢ ــ جلاء الاسبان عن منطقة الريف التي لم تكن بحوزتهم قبل ابرام المعـــاهدة الاسبانية ــ الفرنسية عام ١٩١٢، فلا يبقى لاسبانيا سوى سبتة ومليليـــة ومـــا يجاورهما من الأراضي.

٣ ــ الاعتراف بالاستقلال التام للدولة الريفية.

٤ ــ تدفع اسبانيا تعويضاً للريفيين عن الخسارة التي لحقت بهم جراء الاحتـــلال في السنوات الاثني عشر الماضية، وفدية للاسرى الذين وقعوا في قبضتها.

٥ ــ انشاء علاقات ودية مع كافة الدول دون تمييز، وعقـــد معـــاهدات تجاريـــة معها(٢٨) ..

ان المتتبع لبنود الميثاق الوطني يتلمس النـــــهج التحـــرري الكـــامل للـــتراب المغربي ضمن استراتيجية حركة المقاومة بدليل عدم اعترافه بمعـــاهدة الحمايـــة الفرنسية ــ الاسبانية على المغرب (الفقرة ــ ١ ــ). أما المنهج التكتيكي لعملية التحرير فقد اقتصر على رفض الوجود الاسباني وعدم الاعتراف بحمايتـــه علـــى شمال المغرب، على اعتبار أن الموقف الفرنسي في هذه المرحلة كان بعيداً عـــن الفعل العسكري المضاد للثورة (الفقرة ــ ٢ ــ). وجاء التأكيد علــــى الاعــتراف التام باستقلال البلاد ليوضح حقيقة الحكم الوطني البعيد عن أية تبعيـــة لأي قـــوة أجنبية (الفقرة ــ ٣ ــ). ويبدو من خلال الميثاق أن الجمهورية حـــاولت تعزيـــز اقتصادها المالي من خلال المطالبة بالتعويضات عن الأســـرى الاســـبان، وذلـــك لادامة اقتصاد الحرب وبناء الجبهة الداخلية (الفقرة ــ ٤ ــ). كما حاولت اشعار الدول كافة بنواياها السلمية ورغبتها في قيام علاقات ودية معها وعقد اتفاقيـــات تجارية تحقق مصلحة الطرفين (الفقرة ــ ٥ ــ). ان هذا الميثاق الوطني يطـــرح حقيقة الطموح المغربي في الاستقلال والسيادة. وكما أشار Youssoufi قد انتـــهج خطا سياسياً مناقضاً للخط السياسي للمخزن المغربـــــي الـــذي خضـــع للحمايـــة

الأجنبية، فهو يرفض على الصعيد الخارجي واقع التفوق الاوربي ويستند الى الحق العالمي القائم على المساواة المطلقة بين الدول وعلى تعاون الشعوب ومسؤوليتها العالمية عن الخسائر، وعلى بطلان المعاهدات اللامتكافئة. وعلى الصعيد الداخلي اكد على حق الشعب في تنظيم نفسه بتصميمه على تجهيز جمهورية الريف بالمؤسسات الدستورية(٢٩) .

أشرنا فيما سبق الى أن الدستور نص على ضرورة تشكيل حكومة جمهورية لادارة شؤون البلاد وتنظيم احوالها العسكرية والمدنية، وقد تم تشكيلها على النحو الآتي:

١ ــ الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي رئيساً للجمهورية

٢ ــ امحمد بن عبد الكريم مستشاراً للرئيس ونائباً له

٣ ــ عبد السلام الخطابي وزيراً للمالية

٤ ــ محمد ازرقان وزيراً للخارجية

٥ ــ عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشي وزيراً للدفاع، ثم استبدل بعد ذلك بالسيد احمد بودرة

٦ ــ احمد بودرة وزيراً للداخلية، ثم استبدل بعد ذلك بالسيد اليزيد بن الحاج حمو المحاولي الورياغلي

٧ ــ محمد بن علي بولحيا وزيراً للعدلية

كما عين بعض المسؤولين مساعدين لبعض الوزارات في ادارة شؤونها ومن هؤلاء:

أحمد اكروذ	مديراً عاماً للأوقاف
محمد بن صالح	قاضياً للقضاة
عمر بن محمد	مديراً للجبايات

احمد بوجبار	متصرفاً ومساعداً لوزير المالية
علي بن محمد بن فطومة	مديراً عاماً للمدفوعات في الخزينة
حدو بن علي المعلم	مفتشاً عاماً للبحرية
حدو بن زيان	المكلف بالبروتوكول (التشريفات)

أعلن الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي عن تشكيل حكومته بمنشور رسمي مراعياً التقاليد الدبلوماسية السائدة آنذاك، ثم أبلغ ذلك الى الدول الأوربية وعصبة الأمم(٣١).

وبعد تأليف القيادات العليا في قمة الهرم السياسي للحكم، كان لابد من اجراء التشكيلات الادارية في كافة المناطق المحررة، فاتجهت القيادة الى تنظيم الأحوال الداخلية للمنطقة آخذة بنظام الحكم المركزي، وجاء النظام الاداري على الشكل الآتي:

١ ــ مناطق ادارية عسكرية يديرها الباشوات (القائد العسكري للمنطقة) ومقرها المدينة المهمة في كل منطقة عسكرية.

٢ ــ وحدات ادارية ضمن المناطق للادارة المدنية تدعى المحاكم (المحافظات) ويديرها مندوب (محافظ) يساعده نائب وقوة من الشرطة.

٣ ــ روعي في التقسيم الاداري مجموعة القبائل التي تقيم فيها، حيث يتولى تنظيم أمورها المدنية (المواليد، الوفيات، الزواج)، القائد، (وهو زعيم محلي أو شيخ ويكون تابعاً لرئيس الوحدة الادارية (المندوب).

٤ ــ عينت الحكومة مفتشين يرتبطون بها مباشرة، ويتولون مهمة مراقبة القواد وحسن تسييرهم للامور المدنية للاهالي.

٥ ـ المحاكم في مراكز الوحدات الادارية (المدن المهمة) تكون مقراً للباشوات والمندوبين، وهي مزودة بالحراس والكتاب والهواتف، وهي المخازن المهمة للسلاح. وعليه فهناك مرونة وتنسيق كامل بين الموظفين العسكريين والمدنيين.

٦ ـ قادة هذه المناطق الادارية مرتبطين بوزارة الداخلية، وعلى هذا، فالتنظيم الاداري يعبر عن الصيغة المركزية والمحلية في الجمهورية[٣٢] .

ومن أهم هذه المحاكم، محكمة آيت قمرة، ومحكمة المزمة جنوبي اجدير، ومحكمة أخشاب امغار بتمسامان التي كان لها دور فعال في تهيئة الجبهة الشرقية، ومحكمة بني بويفرح التي كانت مركز العمليات الحربية في الجبهة الغربية وتسيير عمليات الحرب في جيهة غمارة وقبائلها، فضلاً عن مراقبة تحركات الاسبان السياسية في جزيرتي بادس والنكور. وكذلك محكمة ترجيست، وهي من المراكز الرئيسية في الجبهة الجنوبية في الصراع مع الفرنسيين فيما بعد. وكذلك محكمة تغزويت في الجبهة الغربية حيث كانت مقراً لمحمد الخطابي شقيق الأمير قبل افتتاح الجبهة الغربية[٣٣] . وكان من مميزات اسلوب الحكم الذي اعتمده الأمير الخطابي أنه كان يرأس قادة المناطق الادارية في اجتماعات شهرية بغية تسهيل الاتصال والتنسيق بين مختلف الأجهزة الحكومية[٣٤] .

كان لهذا التنظيم الاداري على مستوى المدن والمناطق الكبرى، أثره الكبير في ربط الوحدات الادارية الصغيرة والكبيرة ببعضها بنظام حكم مركزي متماسك وظهرت ايجابيات هذا التنظيم في تسريع حشد القوات العسكرية عند الحاجة، ذلك أن تلك الوحدات الادارية كانت في نفس الوقت وحدات عسكرية أيضاً[٣٥] ، وهكذا دخل الحكم المنظم الى المنطقة، وكان أول تنظيم بالمعنى المعروف للناحية الادارية في بلاد عملت الظروف التاريخية التي شهدها المغرب على أن تبقى في فوضى ادارية وانقسامات قبلية وضعف لسلطة المخزن عليها.

المؤسسة العسكرية:

تمثلت المؤسسة العسكرية في جمهورية الريف بالجيش وقوات الأمن الداخلي.

١ ـ الجيش:

كان الجيش أهم المؤسسات العسكرية واكثرها حيوية في جمهورية الريف، ذلك أن الدولة الريفية قامت في ظل الصراع مع الاسبان واستمرت طيلة مدتها وهي تخوض حرباً شرسة لمواجهتهم في شمال المغرب، ومن ثم لمواجهة الفرنسيين بعد دخولهم الى جانب الاسبان منذ أواخر عام ١٩٢٤ وبداية عام ١٩٢٥، وعلى ذلك عاشت هذه الدولة حياة حربية واضحة.

قدرت أول نواة للجيش الريفي بحدود (٣٠٠) مقاتل عند تحرير تل ابران[٣٦]، الا أن مرحلة مابعد معركة أنوال قد شهدت توسعاً كبيراً في المؤسسة العسكرية من خلال تحرير معظم قبائل المنطقة الريفية من الاسبان وانضمامهم الى القوات الريفية، وكان لابد من تنظيم تلك القوات المتطوعة على أسس عصرية تراعي حاجات البلاد الدفاعية، فبحثت مسألة التجنيد الاجباري العام لأول مرة في المغرب مع بداية انعقاد المجلس العام.

اهتم المجلس العام اهتماماً كبيراً بمسألة الجيش، فجعله في مقدمة القضايا التي يجب معالجتها. فأقر التجنيد العام بحيث اصبح الدفاع عن الوطن واجب على كل فرد. وسلمت الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي القيادة العليا للجيش[٣٧].

يقضي نظام التجنيد العام، بتجنيد الرجال من سن التاسعة عشر الى سن الستين[٣٨] ، وعلى هذا الاساس طلب الأمير محمد بن عبد الكريم من كافة اعضاء المجلس العام، احضار لوائح بأسماء جميع القادرين على حمل السلاح للأستعداد للقتال، وأمر بأن يضعوا ضابطاً على كل (١٥) مقاتل أو (٥٠) مقاتل، أو (١٠٠) مقاتل، وعلى كل (٥٠٠) مقاتل قائد أعلى يسمى قائد الرحى، ويكون هؤلاء الضباط من القواد الشجعان البارزين[٣٩] .

لم تتوقف حدود المواجهة مع الاسبان على الجيش، فقد أيقنت حكومة الريف، أن المواجهة مصيرية مع الأعداء وان الظروف الصعبة تتطلب تعبئة عامة للشعب بأجمعه، فعملت على استغلال الطاقات البشرية المتبقية من الشيوخ والنساء والأطفال لحماية الداخل وتوفير الأمن في البلاد لتسيير عمليات الدفاع والتحرير.

استخدمت حكومة الريف الشيوخ لحماية الاماكن الداخلية والنقاط الخارجية على الحدود والسواحل، وساهم النساء والأطفال في هذا المجال كذلك، ولم يتوقف استخدامهم عند هذا الحد، بل كلفوا بالمساعدة في تهيئة وتوريد المؤونة والذخائر الى ميادين القتال[٤٠] ، فيما تجاوزت النساء هذه الحدود الى الاسهام في صفوف الجيش يشتركن في القتال ويشجعن الرجال على الحرب وفقاً لتقاليد العرب منذ القدم[٤١] . ويقول علال الفاسي لقد كان "جيش السيدات" يتبع جيش الرجال "ووقفت المرأة بجانب الرجل أو من خلفه تملأ له البندقية كلما فرغت الأخرى التي يستخدمها، كما تحرك همته وتدفعه على الاستبسال"[٤٢] كما حمل الصبيان السلاح وتدربوا عليه مع ذويهم من النساء والشيوخ دفاعاً عن البلاد وحريتها. وينقل البوعياشي عن أحد الجنرالات الاسبان، أنه في عام ١٩٢٢ عندما كان يقوم بعملية مضادة للمجاهدين في قبيلة بني كرفط، وقع ما بأيديهم

شخصان في الأسر، أحدهما طفل يحمل بندقية (مورز)، ولما سئل ماذا تصنع بهذه البندقية؟ ولماذا أتى الى الكمين؟ أجاب: "أنه يدافع عن البلد ويتدرب على اساليب القتال" وقد عقب هذا الجنرال بقوله "تأملوا لهذه الجرأة التي يتحلى بها هذا الصبي، فكيف يكون اقدامه عندما يبلغ مبلغ الرجال"(٤٣).

وهكذا أصبح الشعب في حالة استنفار لحماية أمن واستقرار البلاد والدفاع عن حريتها واستقلالها. وعبر بذلك الأمير الخطابي عن تجربة ريادية في مجال التعبئة الشعبية العامة للدفاع عن الوطن وسيادته.

أصدر الأمير ابن عبد الكريم الخطابي بعد تشكيل الجيس منشوراً يهدد فيه كل من يعصي اوامره ويفر من الجندية بحرمانه من حقوق المواطنة ومصادرة املاكه(٤٤)، وبالرغم مما يبدو من صرامة وحدّة هذا المنشور، الا أن ذلك كان أمراً ضرورياً في دولة ناشئة تواجه تحدياً مصيرياً. ليس ثمة احصائيات دقيقة حول عدد القوات المسلحة الريفية، غير أنه يمكن اعتماد بعض التقديرات الاسبانية، فقد جاء في أحد تقاريرهم الرسمية مايأتي: "فاذا قدرنا أن المنطقة التي حررها ــ الأمير ــ يبلغ سكانها ٥٠٠ الف نسمة، يسقط نصفها من النساء والصبيان يبقى ٢٥٠ الف من الرجال، واذا أخذنا منهم من يبلغ بين ٢٠ ــ ٤٠ سنة يكون مجموعهم (١٠٠) الف رجل، واذا اسقطنا من هذا العدد من هم مجندين في الجيش الاسباني أو الفرنسي من رجال المنطقة المحررة، وأسقطنا العجزة يبقى صحيحاً نحو (٦٥) الف جندي قوي"(٤٥) .

ويمكن القول أن هذا الرقم التقريبي للقوات المسلحة الريفية تصاعد في نهاية عام ١٩٢٤، حينما استطاعت القوات الريفية تحطيم القوات الاسبانية في اقليم جبالة واجبارها على الانسحاب الى مواقعها الساحلية، وتحرير معظم هذا الاقليم، حيث انضمت قبائله الى الحركة التحريرية، واصبحت المناطق التي تسيطر عليها

قوات الريف نضم ما يقارب المليون نسمة. وبذلك فقد قدر عدد القوات المسلحة لجهورية الريف اكثر من (١٠٠) الف مقاتل[٤٦] ، وفي عام ١٩٢٥، قدر عددها بنحو (١٥٠) الف مقاتل منهم (٨٠) الف مقاتل من قبائل جبالة[٤٧] ، وقيل اتها وصلت الى (٢٠٠) الف مقاتل، بحسب رواية محمد أزرقان وزير خارجية الريف في رسالته الى الحكومة الأسبانية رداً على محاولات الاسبان لفتح المفاوضات بشان الصلح. وقد استعان الأمير الخطابي لقيادة هذه القوات المسلحة المتطوعة برؤسائهم المعينين من قبله، أما القوات النظامية فقد استعان فضلاً عن قواده، بخبرة عدد من الضباط والجنود المغاربة الذين يعملون في صفوف الجيش الاسباني. ويتحدث القاضي عن (٥٠) ضابطاً مغربياً في قيادة قواته المسلحة[٤٨].

أشار بعض الكتاب[٤٩] ، الى أن الثورة الريفية استعانت بخبرة عدد من الضباط البلاشفة والالمان والأتراك، وعلى الرغم من مشروعية هذا العمل في دولة ناشئة بحاجة الى التزود بالخبرات العسكرية المتطورة لمواجهة خصومها، الا أن الأمير الخطابي نفى ذلك وأذاع بلاغاً في تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٢٤نقله مراسل جريدة التايمز اللندية جاء فيه:

"تشرت بعض الجرائد الانكليزية والفرنسية... أن في الجيش الريفي عدداً من الضباط الأجانب يتولون تدريبه وقيادته، فحكومة الريف تكذب كل ما تقدم تكذيباً باتاً... فضباطنا كلهم من الريفيين وهم الذين يدربون جنودنا بمهارة بعد الاختبار الذي اكتسبوه في معارك شتى..."[٥٠].

وأكد شقيقه امحمد على ذلك بقوله:

"أنه لا يوجد بين صفوف المجاهدين أي وكلاء بلشفيك أو ضباط أجانب"[٥١] ،، لكن الثورة استعانت بخبرة عدد من الخبراء الذين تركوا بلادهم وانضموا للعمل في خدمة الثورة الريفية وكانوا عدداً محدوداً جداً، ولم يكن وجودهم يحمل

صفة رسمية، وقدموا خدماتهم للدولة الريفية، فأفادوا فائدة كبيرة في مجال استخدام المدافع الثقيلة أو المواصلات السلكية كما سيأتي ذكره.

كانت القوات الريفية المسلحة مهيأة للقتال عند اعلان التجنيد العام، ولم يكن يعني ذلك بقاء هذه القوات في حالة تأهب دائم الا عند الضرورة، ولم يكن يبقى منهم الا القوات النظامية التي بلغ عددها ٦ ـ ١٠ آلاف مقاتل، اما الباقون فيسرحون بعد انتهاء الواجب الحربي للانصراف الى اعمالهم لحين استدعائهم عند الضرورة(٥٢).

تألفت القوات المسلحة النظامية في جمهورية الريف من الصنوف الآتية:

أ ـ الحرس الأميري

ب ـ المشاة

جـ ـ المدفعية

أ ـ الحرس الأميري :

وكان عددهم (١٥٠) رجلاً يترأسهم القائد حديدات وكانت مهمتهم حراسة الأمير محمد بن عبد الكريم ومقره، ويدخل بضمنهم الخيالة، وهم كوكبة مؤلفة بحراسة الأمير في ترحاله، وكانوا يدعون "الحفاظ" كما توزع هذا الصنف على بقية المحاكم للقيام بمهام المأمورين في تلك المحاكم.

ب ـ المشـاة:

وكانوا يتشكلون من القوات النظامية التـــي بلــغ عددهــا ٦ ــ ١٠ آلاف مقاتل، وكانوا مقسمين الى طوابير، من الاعداد ٢٥، ٥٠، ١٠٠، ٥٠٠، وعلـــى كل طابور ضابطاً، وكان بين قوات المشاة فئة من الجنود الرشاشين وهم مزودين بــ (٢٠٠) مدفع رشاش ادخلت الى الجيش النظامي، وكانوا تحت قيـــادة القـــائد احمد السوسي، أما القوات المتطوعة التي تشكل العدد الاكبر المتبقي من القـــوات المسلحة في الجمهورية، فكانت تستدعي عند الحاجة، وعند اعلان النفير العـــام، أو كما يعرف عند السكان بتعبير "الحركة الى حد الصيام" حيث يهرع الجميع بنـــاء على أوامر القواد والباشوات الى "كبار المحلات" للتوجه الى مراكز الدفاع[٥٣] .

جـ ـ المدفعية:

وهو صنف من القوات البرية استحدث بعد الحصول على غنائم كثـــيرة مـــن المدافع في معركة أنوال، وقد تم اعداد طبجيون (مدفعيون) مهرة، تدربـــوا علـــى بعض الضباط الأجانب، منهم القبطان الاسباني سرييو الذي اسلم وأخلص للثـــورة الريفية[٥٤].

هذه الصنوف الثلاثة شكلت القوات الريفية النظامية لكن بقي المشاة عصـــب القوات المسلحة لكثرة عددهم واعتماد اسلوب الحرب عليهم بالدرجة الأولى.

اما ملابس الجيش الريفي فقد تألفت من جلابية قصيرة بنية اللون، وعمامـــة خضراء اللون، ويحمل كل جندي (١٥٠) أطلاقة في أقراب (جعبة) تسمى، أقـــراب

ملاغة، وهي من صنع اسباني، اضافة الى بندقيته. أما حملة الرشاشات، فكانوا يتميزون عن غيرهم من الجنود العاديين بعمامة كحلاء أو خضراء حسب رتبهم، أما القادة فلهم شارات تميزهم عن جنودهم، فلقائد الطابور الذي يتألف من (٥٠٠) جندياً، ثلاثة خيوط حمراء على العمامة، ولقائد جندياً (١٠٠) جندي خطان احمران، ولقائد (٥٠) جندياً، خط احمر واحد، وللمسؤول عن (١٢) جندياً ويدعى المقدم، خطان صغيران أحمران، فضلاً عن ذلك يحمل الضابط لـ (٥٠) جندياً فأكثر، مسدساً على يساره، أما الحرس الأميري فكانوا يلبسون عمامة زرقاء تميزهم عن غيرهم(٥٥) .

وقد تنوعت الأوسمة التي يتوشح بها الجنود المغاربة الذين قدموا خدمات متميزة وعلى ذلك وشح الأمير الخطابي كل من خدم القضية الريفية بالأوسمة، مثل وسام الشرف ووسام الحرب، والوسام العسكري(٥٦) .

هذا وقد اختلفت الرواتب الشهرية لافراد القوات المسلحة في جمهورية الريف فكان قائد الطابور يتقاضى راتباً شهرياً قدره (١٥٠) بيزيتا، وقائد المئة يتقاضى (١٠٠) بيزيتا، وقائد الخمسين (٨٠) بيزيتا وقائد الخمسة والعشرين (٧٥) بيزيتا، وللجنود العاديين بمن فيهم المقدم (٦٠) بيزيتا شهرياً(٥٧) .

اساليب القتال الريفي:

تميز الكفاح الريفي بتطور اسلوب جديد في المواجهة الريفية للقوات الأجنبية النظامية، ذلك هو اسلوب حرب العصابات، وكذلك سميت آنذاك بحرب الكمائن، وقد ساعد على بروز هذا الشكل القتالي الجديد ظاهرتين بارزتين: أولهما، نجاح المجموعات الريفية المهاجمة للمراكز الاسبانية ومن بعدها المراكز

الفرنسية وتمكنها من تحقيق انتصارات كبيرة على القوات الاستعمارية. وثانيهما، طبيعة الأرض الجبلية التي تساعد على نجاح مثل هذا الاسلوب الحربي. وقد أورد البوعياشي اعتراف الجنرال غوديدا في كتابه (المغرب ومراحل التهدئة) بذلك فقال: "ان أرض الشمال لا تصلح فيها الحروب النظامية وانما تصلح فيها حرب العصابات"(٥٨). ولما كان المقاتل الريفي بطبيعته محارب سريع الحركات ويقاتل ببسالة نادرة، فقد ساد هذا الأسلوب وحقق نجاحات كبيرة خاصة وان ذلك المقاتل كان لا يحمل غير بندقية واحدة مع اطلاقاتها، وحفنة من السويق والخبز واللحم، وهذا مما يزيد في سرعة حركته ويحقق له مرونة قتالية. وعلى ذلك دارت تلك الحرب في الطرقات ومنعطفات الجبال وكبدوا فيها الاعداء خسائر فادحة. وتمرن الريفيون على اساليب القتال المعاصرة، فاستخدموا التحصينات بمهارة عظيمة في ساحات القتال(٥٩) .

ومن أساليبهم الحربية كذلك، هو مهاجمة المراكز المنفردة للاعداء، وبذلك كانت هذه المراكز تسقط تباعاً(٦٠) ، ولم يتوقفوا عند ذلك، بل استخدموا تكتيكاً حربياً رائعاً، وهو مجاراة الاعداء في خططهم، أي منازلتهم في المكان الذي عينوه، وقد اتت هذه الخطط بنجاحات جيدة، ذكر بعض الكتاب عن مراسل جريدة التايمز اللندنية في طنجة الذي قال عن ذلك: "انها جلت اسراراً أظهرت منها حكمة الريفيين الفائقة في اختيار مواعيد القتال والمراكز الحربية والبدء بالعمل الحربي"(٦١) .

وفي مجال الابقاء على معنويات المقاتلين وتجديد نشاطهم الحربي، فقد استخدم الأمير محمد بن عبد الكريم اسلوب المناوبة في القتال، فقد جرت العادة حسب نظام التجنيد، أن تخدم كل قوة اسبوعين في ساحة الحرب ثم يعود رجالها

الى اعمالهم الانتاجية وخاصة الزراعية، ويحل محلهم آخرون(٦٢) ، وعلى ذلك فقد كان كل جندي مستجمع لشروط القتال والبناء في آن واحد.

السلاح الريفي:

كانت القبائل الريفية قبل قيام الثورة تمتلك السلاح، وكانت تشتريه من الأسبان عن طريق السوق السوداء، وقد قام أولئك الاسبان بدور كبير في توفيره كجزء من سياستهم في صنع التناحر بين القبائل لاضعافها وتسهيل تغلغلهم في المنطقة. ولعب بعض التجار المرتزقة دوراً كبيراً في هذا المجال، وقد استفاد الريفيون من ذلك، حيث تمكنوا من جمع اعداد كمبيرة من السلاح في تلك الفترة(٦٣) ، وفي ذلك قال الأمير الخطابي، ان السلاح "كان موجوداً عند اكثر الناس في الريف، كما أن شراءه. كان أمراً هيناً، حتى اننا نشتريه أحياناً من الجنود الاسبان بالأقل من المال"(٦٤) .

كما اصبح لدى الريفيين اثناء الحرب العالمية الأولى كثير من السلاح والمال، حينما وزعت المانيا السلاح عن طريق عناصرها في هذه المنطقة لاثارة القبائل ضد فرنسا. وقد استخدم الريفيون هذا السلاح ضد الأسبان في معركة أنوال، فضلاً عن ماكان متوفراً لديهم من أسلحة اسبانية، كما مكنتهم انتصاراتهم المتكررة على الاسبان من الحصول على الكثير من الغنائم في الاسلحة والمعدات، ومما يلحظ أن غنائم معركة أنوال كانت الأساس في امتلاكهم للامكانيات القتالية لمواجهة الاسبان بسلاحهم، اذ تكونت لديهم كميات كبيرة من الاسلحة، ولم يحتاجوا بعد ذلك للاستيراد من الخارج، فيورد ابو النصر قول الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في ذلك:

"لقد أخبرتك (للصحفي) قبلاً بأني لم أكن بحاجة الى شيء من السلاح يحمل اليّ من الخارج، وقد أشرت الى سبب ذلك، وهو أن ماغنمناه في معركة أنوال وششوان من الذخائر وأنواع العتاد الحربية حتى ما يتصل بأسلاك التلفون وغيرها، كان كثيراً، بحيث أنه كان كافياً لحاجات الجيش الريفي مدة طويلة... والواقع اننا لم نفكر مطلقاً بالسعي للحصول على ذخائر وأعتاد حربية من الخارج، هذا عدا اربعمائة بندقية، اشتريناها من أحد التجار الأجانب حملها الينا بواسطة باخرة انكليزية، وأما مابقي من البنادق والخرطوش والمعدات الأخرى التي كان جيشنا بحاجة اليها، فقد اغنانا الاسبان عن شرائها باستخلاصنا منهم المقادير الوفيرة من هذه الأنواع في المعارك التي انتصرنا بها والتي يعرف العالم من اخبارها شيئاً كثيراً، ويجب أن أضيف الى ذلك أيضاً ماكنا نستخلصه في المناوشات الصغيرة، فان هذه اذا عدّت وجمعت كانت قدراً عظيماً، ولكني لست أنكر أن تهريب السلاح في المنطقة الاسبانية كان أمراً واقعاً، وان اكثر هذا السلاح المهرب كان يصير الى الريف في آخر الأمر، فكنا نأخذ حاجتنا منه، فيتضح من ذلك أن الذخائر الحربية كانت متوفرة لدى الجيش الريفي، وان الحاجة لم تكن تدعو والحالة هذه الى استجلاب شيء من الخارج، هذه هي الحقيقة، وهذا ماكان يقع دائماً"(٦٥) .

أنواع السلاح:

استخدام الريفيون في صراعهم مع الأسبان اضافة الى الاسلحة الاسبانية التي حصلوا عليها قبل قيام الثورة، نوعاً قديماً كان المخزن يستخدمه يسمى بوحفرة، الا أن هذا السلاح لم يعد صالحاً للاستعمال بعد أن حصلت المقاومة

الريفية على انواع جديدة من السلاح، حيث انتشر بينهم نوعـــان مـــن البنـــادق الأسبانية الأول يدعى بوشغار (أزيدان باللسان المحلي) ثم تطور الـــى ساســيو، والثاني الموزر وينطق بها اللسان المحلي بكلمة موسي، وكـــانت تســمى ايضـــاً الخماسية لكونها تحمل خمس اطلاقات، وقـــد كـــان هـــذا النـــوع محبباً لـــدى السكان(٦٦).

تسلح بهذه البنادق المشاة الريفيون الذين يشـــكلون جـــل القـــوات المســـلحة النظامية او المتطوعة، وكذلك بعــض الرشاشـــات، اضافـــة الـــى اســـتخدامهم للمسدسات الالمانية الصنع من نوع ماوزر. فقد نقل العمري عن أحد الأوربييـــن الذين زاروا الأمير محمد بن عبد الكريم في العاصمة اجدير عام ١٩٢٣ أنه قـــال: "سرت يحرسني ثلاثة من الريفيين تسلموا بنادق موزر اسبانية ومسدسات ماوزر المانية وخناجر طويلة معكوفة ريفية الى أن وصلنا الى اجدير"(٦٧) .

ان الامكانيات القتالية لثورة الريف لم تقتصر علـــى الاســـلحة الخفيفـــة بـــل استخدموا كذلك عدداً من الاسلحة الثقيلة من المدافع الاسبانية والفرنســـية التـــي غنموها في حروبهم وقدر عدد المدافع بـــ (١٥٠) مدفعاً من مختلـــف الاحجـــام، وكان يستخدمها (مدفعيون) ريفيون بمهارة فائقة، وقد توزعت تلك المدافـــع فـــي مختلف المناطق(٦٨) .

لم يقتصر السلاح الريفي على البنادق والمسدسات والمدافع بل قام الريفيـــون بصنع القنابل اليدوية المحلية، واستخدموها في القتال ضد الاسبان والفرنســـيين في السنتين الأخيرتين من الحرب، وقد تم صنعها من القنابل التي كـــانت تقذفـــها الطائرات المعادية ولا تنفجر، حيث كانت كل قنبلة تـــزن (٢٠٠) كغـــم، وتدعـــى "غلياط" يصنع منها الريفيون (٤٧٠) قنبلة يدوية تستخدم بشكل مفيد جداً، ويذكـــر

ملحس نقلاً عن الأمير محمد بن عبد الكريم قوله "نحن نكتفي بصنع قنابل اليد متكلين على اختبارنا المحلي"[٦٩].

استخدمت القنابل اليدوية بشكل واسع لرد العدوان الفرنسي في أوائل عام ١٩٢٥ـ حيث أكدت تعليمات قيادة الثورة على تدريب القوات الريفية على رمي القنابل اليدوية كما أكدت على "تشجيع صناعة القنابل اليدوية الى أقصى حد ممكن"[٧٠]، هذا وقد استخدم الريفيون النواظير في حربهم[٧١] ، كما استخدموا ثلاث سيارات لنقل اركان الحرب، احداها رينو، والثانية فورد، والثالثة نوركان بيري. كانت تلك السيارات الثلاث تتزود بالوقود من خزين البنزين بقبيلة بني يويفرح، وكان من جملة الغنائم التي حصل عليها الريفيون من الاسبان، وقد كانت كمية كبيرة، وتم الاحتفاظ به في مكان أمين بعيد عن أنظار الطائرات الى ان استعاده الاسبان، كما استعادوا السيارات عام ١٩٢٦[٧٢] .

هذا وقد لجأت حكومة الريف الى سلاح المخابرات السرية، وكان لدى قيادة الجيش الريفي دائرة استخبارات منظمة لمعرفة أسرار حركات الجيش الاسباني، ثم الفرنسي، واستعداداتهما، حيث توزع رجالها في مختلف مناطق البلاد للحصول على المعلومات الخاصة بالاعداء ونشر بعض المعلومات لخدعتهم من جهة ثانية[٧٣].

معمل اصلاح السلاح:

عندما قامت الثورة الريفية بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، كلف المعلم محمد النمسماني بانشاء معمل لاصلاح العتاد الحربي في منطقة اعكبا ببني بوعياشي، وجمع الأشخاص الذين يعملون في حرفة الحديد والخشب

وعددهم (٢٦) عاملاً تحت رئاسته، وقام باصلاح جميع المعدات الحربية سواء منها الثقيلة كالمدافع والكور المعد لها أو الخفيفة كالرشاشات والبنادق والقرطاس، وفي ذلك المعمل تم صنع القنابل اليدوية على يديه. وفضلاً عن هذا المعمل المركزي كان هناك مجاهدون في مختلف المراكز الحربية يحذقون اصلاح المدافع[٧٤] .

مخازن الأسلحة:

كان لابد للاسلحة الكثيرة التي غنمها الريفيون في صراعهم مع الأسبان أولاً، من مخازن لحفظها والاستفادة منها عند الحاجة، وخاصة الاسلحة المهمة كالمدافع والرشاشات، وعلى ذلك كانت جميع الذخائر الحربية ترسل من خطوط القتال وتوضع في "مستودع عام لجمع الذخائر الحربية" وكان محمد عمر القاضي مكلفاً بالعناية بهذا المستودع بأمر من الأمير الخطابي[٧٩] .

أنشأت قيادة الثورة مخازن للاسلحة والذخائر في كل منطقة محررة، كما امتلكت مرونة شديدة في سرعة استدعاء المقاتلين اليها وتسليحهم بسرعة وارسالهم الى الجبهة المعينة لهم والاشتراك في المعركة في الوقت المناسب. وقد تم بناء هذه المخازن بمساعدة أسرى الاسبان، وكانت تدار بشكل منظم، حيث يتم احصاء وتدقيق المواد الحربية في جميع المراكز، وكانت أماكن هذه المخازن على درجة من السرية حتى لا يتسرب خبرها الى العدو فيرسل طيرانه لاتلافها[٧٦] . ويبدو أن هذه المخازن الريفية المحفورة في داخل الأرض كانت على درجة منظمة في اقسامها المختلفة المخصصة لكل نوع من أنواع السلاح، فقد ذكر مراسل جريدة السعادة، أن الفرنسيين عثروا في نهاية أيلول ــ سبتمبر

ـ عام ١٩٢٥ في منطقة الورغة على مستودع للذخائر الريفية وكان ذلك المستودع على الشكل الاتي "وجد محفوراً تحت الأرض وبه بيوت صفت فيها الذخائر الحربية بكل اتقان، كما وجد به بيتاً بالقرطاس المعد للمشاة وبينا آخر للقنابل"(٧٧).

وأهم تلك المخازن هي:

١ ـ المخزن المركزي في قرية أوغار ببني ورياغل قرب اجدير، وكان يحوي مختلف المواد الحربية.

٢ ـ مخزن بوهم ببني ورياغل أيضاً، وكان يحوي (٣٠) مدفعاً وقذائف الطائرات وآلات حربية أخرى.

٣ ـ مخزن في قرية بوصالح في أعالي نهر غيس، وهو مخزن خاص بالرشاشات ولم يعرف بالضبط كم كان فيه.

٤ ـ مخازن في ظهر السلوم في ترجيست وفي الشاون.

٥ ـ فضلاً عن المستودعات الأخرى التابعة للمراكز الحربية في المحاكم(٧٨).

٢ ـ قوات الأمن الداخلي:

قامت حكومة الريف بمجهودات قيمة في مجال تحقيق قدر عال من التضامن والتآخي الاجتماعي بالقضاء على النعرات القبلية وازالة الضغائن والاحقاد، فساد الأمن والاستقرار داخل البلاد، وتوجه الشعب للتخلص من السيطرة الاستعمارية.

هذا وقد استخدمت حكومة الريف نوعين من قوات الأمن الداخلي لتوطيد الاستقرار داخل البلاد والقضاء على العناصر التي تحاول المساس بسلطة الدولة أو تكون عوناً لخدمة الاستعمار، وهذان النوعان هما:

أ ــ قوات الشرطة: حيث توزعت هذه القوات في مختلف مناطق البلاد بعد تقسيمها الى وحدات ادارية. اذ عينت الحكومة قوة من الشرطة لتساعد القائد أو الباشا في توطيد الأمن في الوحدة الادارية التي يتولى أمرها[٧٩] .

ب ــ قوات أمن سرية: فمن أجل فرض النظام والقانون ومنع التناحر والتمزق الداخلي، شكلت الحكومة الريفية جهازاً سرياً للمحافظة على الأمن وايصال المعلومات عن كل شخص يعمل ضد مصلحة البلاد والحكومة، فشكلت مجموعات من شرطة سرية مكونة من خمسة رجال وخمسة نساء في كل منطقة من مناطق البلاد[٨٠] .

نفذ هذان الجهازان الأوامر الصادرة من الحكومة الريفية والتي تمثلت بثلاث قرارات اصدرتها لحماية الأمن والاستقرار في البلاد، وهذه القرارات هي:

١ ــ منع الأفراد من حمل السلاح للاغراض الشخصية وأن عليهم تسليمها الى المحاكم، فقد رأى الأمير في الامتلاك الشخص للسلاح، استخفافاً مباشر بالسلطة، ونجحت الحكومة في الواقع في استتاب الأمن حتى نهاية الحرب.

٢ ــ الانذار بالقتل لكل من يعتدي على أوربي أو يقتل أسيراً تماشياً مع القوانين الدولية.

٣ ــ اعدام كل شخص يتهم بالتجسس لصالح الأسبان أو الفرنسيين ضد مصلحة البلاد[٨١] . ومن أجل القضاء على المرتزقة الذين يدخلون البلاد ويخرجون منها الى جزيرتي بادس والنكور بحجة الاغراض التجارية، فقد هاجمت القوات الريفية هاتين الجزيرتين اللتان كانتا مقراً لأعمال هؤلاء عام

١٩٢٣ فاستولت على احداهما، وهجر الجواسيس الثانية، وأمنت الحكومة شـــر المرتزقة طيلة مدة الحرب حتى عام ١٩٢٦[٨٢] .

نتيجة لهذه الجهود، فقد ساد النظام في كل مكان ونفذت أوامر الأمـــير بدقـــة. وللدليل على قوة الأمن وحالة الاستقرار التي سادت في ظل حكومة الريف حتـــى ايامها الأخيرة، كتب الصحفي سكوت مورر الذي زار الريف عام ١٩٢٥، فقـــال: ان القانون والنظام مطبق في جميع أنحاء البلاد، وان الاقتتال بين الأهـــالي قـــد انتهى، وخيم الأمن على الممتلكات وطرق المواصلات، وان العدالة والأمن امـــام القانون قد تحقق في ظل السلطة الريفية[٨٣] . كمـــا كتـــب الصحفـــي الســـويدي اليكساندر لانكلي مراسل جريدة المانشستر غارديان في نيسان ــ ابريل ــ عـــام ١٩٢٦، اثناء زيارته للريف مانصه: "ان سلطة عبد الكريم تبدو مطلقة، وقوانينـــه ــ على سبيل المثال ضد العداوات الشخصية والقبلية ــ تبدو نافذة، انك تســـتطيع النوم على الشارع في الريف، ولكنك لا تستطيع عمل ذلك لا في النطاق الفرنســـي ولا الاسباني"[٨٤] ، وصار "الأجنبي بدل الوطني يستطيع أن يجوب تلـــك الانحـــاء آمناً لا يخشى شراً من أحد اذا كان يحمل جوازاً من الأمير، وحتى صار الريفـــي يحار من هذه السلامة المدهشة التي يتمتع بها في حله وترحاله"[٨٥] .

المؤسسات المدنية:

على الرغم من حالة الحرب التي عاشتها البلاد، الا أن حكومة الريف اهتمـــت بالمؤسسات المدنية فبذلت جهوداً محمودة في هذا المجال، اذ نظمت مالية البـــلاد، كما نظمت القضاء، واهتمت بنظام التعليم، فأسست المدارس، كما عنيت بالحالـــة

الصحية وحاولت الارتقاء بها، ونظمت المواصلات الى غير ذلك من الاصلاحات التي أصبحت نواة لنهضة شاملة.

وفيما يأتي أبرز تلك الاصلاحات:

الأصلاحات المالية:

لم تكن لحكومة الريف عملة نقدية خاصة بها تنظم بموجبها ماليتها[٨٦] ، لكن جرت محاولة لاصدار عملة نقدية عن طريق انشاء تنظيم مصرفي يدعى "البنك الريفي" واصدار أوراق نقدية خضراء تطبع في بريطانيا، ويكون مقر البنك في اجدير، وكان ذلك عام ١٩٢٤، الا أن الظروف الحربية للدولة الريفية حالت دون تحقيق ذلك[٨٧] .

كان سائدا في المغرب في المرحلة التي سبقت الحماية الفرنسية والاسبانية عام ١٩١٢ العملة النقدية التي تسمى الحسني والتي أصدرها مولاي الحسن الأول (١٨٧٣ ــ ١٨٩٤)، وبعد اعلان الحماية، ظهر التعامل بالعملة الاسبانية المسماة البيزيتا في منطقة شمال المغرب، والفرنك الفرنسي في منطقة النفوذ الفرنسي، وبقيت الحالة على هذا الوضع حتى عام ١٩٢٠، حيث سادت العملتين الاسبانية والفرنسية على العملة المغربية، فانعدم النقد الوطني، بل ان التعامل بالوحدة النقدية الاسبانية ظل قائما حتى بعد قيام حكومة الريف[٨٨].

نظمت حكومة الريف المالية التي تتوقف عليها صرفيات المؤسسات العسكرية والمؤسسات المدنية، وقد جاءت المصادر المالية لحكومة الريف من:

١ ــ الموارد الداخلية، وتتمثل في:

أ ــ الزكاة.

ب ــ الضرائب.

٢ ــ الموارد الخارجية، وتتمثل في:

أ ــ فداء الأسرى

ب ــ الرسوم الكمركية.

١ ــ الموارد الداخلية:

كانت موارد حكومة الريف تتألف من الزكاة والضرائب، فأما الزكاة، فقد كانت تدفع نقداً، أو على شكل موارد زراعية. ويلزم الفلاحون بزراعة أراضيهم، والا سحبت لغيرهم ضماناً لعدم تركها بدون زراعة. وكان جمع الزكاة يسير بشكل دقيق ومنظم، فقد كلف وزير المالية الأمناء لجمع الزكاة من المواطنين ووضع رقابة على هؤلاء الأمناء بالتفتيش والمحاسبة، وقد قدرت مدخولات الزكاة السنوية بمبلغ (٧٥) الف بيزيتا[٨٩] .

أما الضرائب فقد كانت على ثلاثة أنواع، الأولى وتسمى "الضريبة" ويدفعها الى الحكومة جميع السكان باستثناء الفقراء وجرحى الحرب. والثانية تسمى "التيجان" وهي ضريبة مفروضة على الثروات، وكانت محدودة بما تفرضه الحكومة على هذه الثروات، ولا يستطيع القواد أن يأخذون اكثر مما فرضته الحكومة. أما الثالثة، فهي الغرامات، وهي ضريبة مفروضة على الجماعات الخارجة على السلطة المركزية، كما حدث لقبيلة بني زروال حينما أظهرت تمردها عام ١٩٢٥ بسبب دعاية بعض المتعاونين مع الفرنسيين، ففرضت عليها حكومة الثورة مبلغ (٥٠٠) الف بيزيتا[٩٠] .

٢ ـ الموارد الخارجية:

شكلت الموارد المستحصلة من فداء الأسرى ورسوم الكمارك مبلغاً مالياً ضخماً لخزينة الحكومة. فقد استطاع الأمير ابن عبد الكريم الحصول على (٤) ملايين بيزيتا عام ١٩٢٣ فداء الأسرى الأسبان في معركة أنوال، كما أخذت الفدية من الجنود الأسبان المحاصرون في مراكزهم، كما تم ذلك في نهاية عام ١٩٢٤، حيث كان المحاصرين يفدون أرواحهم بمبلغ جسيم. وشجعت هذه الطريقة الريفيين الى الاقدام على محاصرة المراكز الاسبانية[٩١] .

لقد شكلت الأموال المجباة من الزكاة والضرائب بأنواعها المختلفة ومن فداء الأسرى مبلغاً كبيراً من المال في خزينة الحكومة الريفية، وينقل عن الأمير الخطابي قوله في هذا الصدد: "لقد كانت مالية الريف منظمة تنظيماً حسناً، وكان دخل الخزينة يقرب من مائتي مليون بيزيتا، وكانت موارد الخزينة من الضرائب والجزية التي كنت افرضها على بعض القبائل الثائرة، ومن الفدية التي كانت اسبانيا تدفعها ثمناً للاسرى الذين كانوا يسقطون بين يدي رجالي، وهذه كانت تدر على خزائني مبلغاً عظيماً من المال في كل سنة"[٩٢] .

وفضلاً عن الأموال المستحصلة من فداء الأسرى، كانت هناك رسوم الجمارك، فقد كانت هناك ادارة في مدينة الحسيمة، كانت مصدراً مهماً للحكومة الريفية، اضافة الى الأموال المفروضة على الداخل والخارج من السلع من فاس أو الجزائر والتي سميت بـ "مداخل الديوانة" وقد قدر مدخول هذه الديوانة بمبلغ (٥) آلاف بيزيتا يومياً، وهو مبلغ مبالغ فيه على ما يبدو، وقد توقف هذا المبلغ

في عام ١٩٢٤، حيث أصبح الانجاز في هذه المناطق محفوفاً بالمخاطر في بداية التوتر مع الفرنسيين[٩٣] .

كانت الموارد المالية الآتية من المصادر الداخلية والخارجية تحفظ في "الخزينة العامة للمال" وكان المسؤول عنها الأمير عبد السلام الخطابي وزير المالية، وهو الذي يتولى الاتفاق ومراقبة المصاريف في الدولة، وبمساعدة متصرف ومساعد المالية احمد بوجبار، وكان مقرها في كمون في أواخر سنة الجمهورية، وقد سقطت في أيدي الفرنسيين بعد ذلك[٩٤] .

قامت قيادة الثورة بتنظيم مالية البلاد وصرفها على ادارة البلاد وتدبير امور الجيش وحسن سير المشاريع الخدمية لأجل النهوض بالبلاد[٩٥] .

التعليم :

كان التعليم الديني التقليدي منتشراً في جميع أنحاء البلاد، وتمثل في الكتاتيب التي كانت تتركز في المساجد المعدة لهذا الغرض، وحوت هذه المساجد غرفاً لسكنى الطلبة، أما معاشهم فقد كان على عاتق السكان في المنطقة، ويدعى "المعروف". وكان هذا المعروف اجباري على الجميع. أما الأساتذة فكانوا من الفقهاء وكان معاشهم يقع أيضاً على السكان بالتناوب ويدعى "النوبة"، وقد بقي التعليم الديني على هذه الشاكلة حتى اعلان الحماية الأجنبية على المغرب عام ١٩١٢، اذ لم يلبث الاسبان والفرنسيون أن اخضعوا التعليم لادارتهم وتوجيهه وفق المنهج الاستعماري، فأصبح التعليم المحلي محدوداً ومراقباً، لأن السلطات الجديدة رأت في انتشار التعليم تهديداً لها في الصميم، وبذلك بات التعليم في البلاد يسير طبقاً لمبادىء استعمارية تتلخص في العمل على تكوين طبقة صغيرة

من المتعلمين محدودة الثقافة لتكون واسطة بينهم وبين الشعب من خلال بعض الوظائف التي يؤدونها في الادارات المختلفة والتي لا يمكن الاستغناء عنهم فيها. وفي شمال المغرب فتحت بعض المدارس العربية ـ الاسبانية لتحقيق هذا الغرض وكذلك محاولة لاضعاف اللغة العربية وبث الثقة بالأسبان. وقد لعبت المساجد المنتشرة بشكل واسع في بوادي الشمال، فضلاً عن المدن، دوراً في اثارة الحماسة للجهاد وفي أرض الريف ضد الاسبان والفرنسيين[٩٦] .

اهتمت حكومة الريف، بعد تحرير معظم مناطق شمال المغرب بنشر التعليم في البلاد، فبعد تقسيم المنطقة الى وحدات ادارية، بدأت بانشاء المدارس في هذه الوحدات، ليدخلها ابناء البلاد الذين لم يصلوا الى سن الخدمة العسكرية[٩٧] .

ان جهود الحكومة لم تتوقف عند حدود التعليم الديني التقليدي، فقد توجه اهتمامها نحو تنظيم التعليم تنظيماً حديثاً وعلى قواعد عصرية. فقد كان في نية الأمير الخطابي انشاء وزارة المعارف (التربية والتعليم) وتطوير امكانات المتعلمين ليساهموا في النهضة التعليمية الحديثة. وكانت باكورة اعمالها في هذا المجال، هو تأسيس ثلاث مدارس بمناهج حديثة. ولم تتوقف جهود الأمير عند حدود ادخال المناهج الجديدة، بل والاشراف المباشر على ادارتها وتقديم الرعاية لها، وهذه المدارس هي:

١ ـ مدرسة اجدير، حيث استقطبت الشبان الذي حصلوا على شيء من التعليم التقليدي، وقد أدخلت فيها مناهج دراسية جديدة بمبادرة الأمير نفسه، شملت الرياضيات والعلوم والقواعد العسكرية العامة، وعين لادارتها احد علماء بني ورياغل وهو الفقيه محمد بن الحاج حدو من قرية ازغار ، وكان الأمير الخطابي يشرف عليها اشرافاً مباشراً، ويزورها كلما سنحت له الفرصة، ويختبر

التلاميذ في معلوماتهم ويسدي النصائح لادارتها، ويضع مرتباً شهرياً للمدير بلغ (١٠٠) بيزتا اسبانية، وكان مبلغاً مغرياً في ذلك الحين.

٢ ـ مدرسة زاوية ادوز بقبيلة بقيوة، وقد أشرف الأمير الخطابي بنفسه على وضع منهاجها الدراسي في احدى تحركاته الى تلك الجهة، وكان مديرها الفقيه محمد شبال احد علماء غمارة وعُين له راتب شهري (١٠٠) بيزتا اسبانية ايضاً.

٣ ـ ولم تغفل حكومة الريف التعليم الديني، ففي شفشاون اسست معهداً دينياً وعين فيه الفقيه العمرتي بنفس المرتب السابق ايضاً.

ومن الجدير بالاشارة الى أن حكومة الريف ادخلت الى جانب الدروس الدينية والمناهج الجديدة، الأناشيد الوطنية كذلك[٩٨] . ويبدو أن ادخال دروس القواعد العسكرية ضمن المناهج المقررة في هذه المدارس العصرية كان يهدف الى تربية جيل من الشبان المتدرب على اساليب القتال، ويمتلك معرفة بأصول القواعد العسكرية، وذلك لتعبئة الجيل الناشيء منذ البداية للاستعداد للمواجهة مع أعداء الوطن، وقد كانت ثورة الريف مدرسة عملية تخرج منها العديد من الشبان الذين اسهموا فيما بعد في بناء وطنهم.

كما أن ادخال الأناشيد الوطنية ضمن المناهج الدراسية يهدف كما هو واضح الابقاء على الحماس الوطني وتعميق الوعي بالنضال ضد المحتلين الاجانب.

وكان من ضمن الاناشيد الوطنية التي ادخلت الى المناهج الدراسية قصيدة محمد الناصري التي أشار فيها الى الحرب الريفية والمواقع التي احرز فيها الريفيون انتصاراتهم ضد المستعمرين، يقول فيها:

وسل البرانس والتسول ل وجاية السبت والكيفان والأكنافا
تلك المواقع حطمت ابطالهم وارتهم من ويلها اصنافا[٩٩]

ونشيد باللهجة العامية الفه الشريف الحسن التلمساني، وأنشده لدى استقباله لمحمد الخطابي عند دخوله شفشاون في عام ١٩٢٤، ومن مقتطفاته:

ريفنا العرين نحن فيه الأسد
ريفنا نحميه
في ثنايا العجاج والتحام السيوف
بينما الجوداج والمنايا تطوف
يتهادى نسيم فيه أزكى سلام
نحو عبد الكريم الأمير الهمام
فلنذوق الزعاف الضبى والإرسال
فلنعلي الهتاف بالأمير البطل[١٠٠]

القضاء :

وكان القضاء احدى المؤسسات المدنية المهمة في جمهورية الريف، لهذا أبدت حكومة الريف اهتماما بهذا الجهاز. وعلى هذا الأساس ومنذ بداية حركة المقاومة الريفية وتأسيس مركز المقاومة لتنظيم عمليات المواجهة مع الأسبان قرر الأمير الخطابي، أن يكون في هذا المركز محكمة للفصل في القضايا المدنية

والجنائية وكان الأمير في هذه الفترة هو الذي يقـــوم بممارســـة القضـــاء بيـــن السكان، فضلا عن جهوده في تنظيم المقاومة.

كان اعلان جمهورية الريف في ١٩ أيلول ــ سبتمبر ــ ١٩٢١ بداية لظـــهور هذا الجهاز المدني القائم على مبادىء الشريعة الاسلامية، فقـــد رأى الأمـــير ان التشريع الاسلامي كفيل بكل احتياجات الانسان في ميدان الحياة العامـــة، وعلـــى ذلك كان تشكيل وزارة للعدل مع بداية تأسيس نظام الحكم، واوكلت اعمالها الـــى الفقيه محمد بن علي بولحيا الذي أسس مجلسا مركزيا للقضاء في البلاد، وســمي هذا المجلس محكمة الشعب، ويتكون هذا المجلس من الزعماء المرموقيـــن مـــن الناحية الخلقية وصفاء الطويـــة وشـــهامة المجـــاهد وعددهـــم خمســـة عشـــر مستشارا[١٠١].

وبعد تقسيم البلاد الى وحدات ادارية، تم تعيين قاضي للقضاة في كل وحـدة ادارية، كما تم تعيين قاضي لكل قبيلة أو عدة قضاة لحل مشاكل القبيلـــة واتمـــام قضاياها الاجتماعية كالزواج مثلا، وكان الهدف من توزيع القضاة الى كل منـــاطق البلاد هو تحقيق القانون الموحد للشريعة الاسلامية ونشر تأثير السلطة المركزيـــة أيضا[١٠٢] .

انتقل تثبيت القانون القضائي والعقوبات فـــي ظـــل جمهوريـــة الريـــف مـــن الاشخاص الى الدولة، فلم يعد تثبيت العقوبة اجتهادا للاشـــخاص، وأن اصبحـــت الحكومة أداة اقرار وتنفيذ العقوبة. فمثلا الغيت الفدية في التعويض عن المقتـــول، وأوكل الى الحكومة تنفيذ العقوبة الصادرة بحـــق القـــاتل. ويبـــدو أن ممارســـة الحكومة لدورها في القضاء كان من أهدافه أن تحل مبادىء الشريعة الاســـلامية محل الاعراف القبلية التي كانت سائدة، وبذلك يتحقق الأمن الاجتمـــاعي وتـــزول النزاعات الشخصية والقبلية في البلاد.

ان هذا الاتجاه في مسؤولية الدولة عن حفظ النظام الاجتماعي من خلال تطبيق مبادىء الشريعة الاسلامية عبر نظام القضاء، انتشر ليغطي جميع المناطق ويزيل ماكان متعارفاً عليه من اعراف قبلية. ومن الممكن متابعة هذا الاتجاه من خلال وثائق السجن المركزي في اجدير التي تغطي مرحلة من حرب الريف حيث تتنوع من خلال هذه الوثائق الجرائم السياسية والاجتماعية والعقوبات المتخذة بحق كل جريمة أو ذنب(١٠٣). قسمت الجرائم في النظام القضائي لجمهورية الريف الى ثلاثة أصناف:

١ ــ جرائم سياسية واضحة كالتجسس والخيانة.
٢ ــ جرائم جنائية كالقتل والمنازعات الشخصية.
٣ ــ جرائم اجتماعية.

تنوعت العقوبات ازاء كل صنف من أصناف الجرائم، وتقع عقوبة الاعدام رمياً بالرصاص على المتهمين بالتجسس والخيانة، كما فرض الحبس والغرامات في المسائل المتعلقة بالنظام العام، أو بقضايا اجتماعية معينة.

كما تداخلت الصلاحيات القضائية مع الحفاظ على الوضع الأمني في البلاد من خلال جهاز الأمن الداخلي. فبينما كان القضاء يقرر حالة العقوبة، كانت الاجهزة الأمنية هي اداة التنفيذ، ومع ذلك كان لهذا التداخل أثره في الحفاظ على الأمن الاجتماعي وحالة الاستقرار في البلاد، لأن هذا النظام أعاد تقييم العلاقة بين الحكومة والاشخاص بموجب القانون. وبذلك نجحت حكومة الريف في الاحتفاظ ليس بالسيطرة السياسية وحسب، ولكن بالسيطرة الاجتماعية ايضاً، وتعززت تلك

السيطرة من خلال الولاء الصادق للأمير محمد بن عبد الكريم واجمـــاع السـكان على قيادته.

ان تنظيم سيادة القانون، كانت مجال ارتيـــاح بالنســبة للريفييـــن، وهــذا أشعرهم بمميزات التنظيمات الجديدة للعدالة الاجتماعية. ونقلت شهادة واقعية عن حسن بغدادي سكرتير الأمير الخطابي قوله: "لم يكن في السجون والمعتقــلات الا اسرى الحرب الأجانب والسجناء السياسيون المعادون للنظــام المتواطئــون مــع العدو، أما الجانحون والجناة فلم يكن لهم عملياً أي وجود فيها"(١٠٤) .

الصحـة:

ان اوضاع المغرب الصحية كانت سيئة، ولم يطرأ تبدل كبــير علــى تلـك الأوضاع في بداية ثورة الريف، اذ ظلّ الدواء الوحيد المعروف لدى الجميـــــع هو الطب الشعبي القائم على الكي والتعاويذ وحمل الحجامات. واستمرت هــذه الحالة البائسة في بداية عهد جمهورية الريف، وذلك لانعدام وجود الأطبــاء أو المستوصفات والمستشفيات، الا أن انتصار الثورة الريفية في معركـــة أنــوال على الاسبان عام ١٩٢١، وفرّ كمية من الأدوية، فاستخدمها الريفيون قرابـــة سنتين، لكن الحاجة كانت اكبر من ذلك، فعملت حكومة الريف في نطاق هـــذه الاحتياجات عام ١٩٢٣ على الاستعانة بطبيب وطبيبـــة فرنســيّين الا أنـــه لا يعرف مدة بقائهما.

تأثرت الحالة الصحية للمجاهدين عام ١٩٢٤، ففضلا عن محدودية وسائلهم الصحية، جاء استخدام الغازات السامة من قبل الاسبان ليزيد هذه الحالة بؤسا، وازدادت هذه الحالة سوءا مع حصار اسبانيا لهم ومنع الأدوية وأدوات الاسعاف الطبية من طنجة للجرحى من رجال الريف رغم أن القوات الريفية كانت تحتاج هذه الأدوية لمعالجة الأسرى كذلك، فأصبحت الحاجة ماسة الى معالجة المصابين بالغازات السامة من الأطفال والنساء والعجزة والمجاهدين، وعلى ذلك استقدمت الحكومة أحد الأطباء المغاربة من فاس يدعى المحبوب، وكان عمله في معالجة المرضى شاقا لعدم وجود أي مستشفى أو مستوصف تتوفر فيه أدوات العلاج والأدوية، ومع ذلك فقد قام بمجهود وان كان محدودا(١٠٥) .

ازدادت الحالة الصحية سوءا في جمهورية الريف بعد عام ١٩٢٥ وذلك لتفاقم حالة الحرب بين الثورة الريفية والاسبان والفرنسيين وما نجم عنها من كثرة القتلى والجرحى، والى شيء من هذا يشير الأمير فيقول لاحد الصحفيين الأجانب الذين قابلوه:

"وبعد سنة ١٩٢٥ أخذنا نشعر بالحاجة الى الأدوية، فأن طياراتكم كانت تجوح كثير منا، واني اذكر أن قنبلة واحدة أطلقتها احدى طياراتكم علينا، جرحت ما يقرب من ستين نفرا... وعلى أثر ذلك أضطررنا لطلب المعونة من جمعيات الصليب الأحمر الأجنبية للعناية بمرضانا وجرحانا"(١٠٦) ، الا أنه من المؤسف أن هذه الجمعيات التي كرست جهدها لخدمة الانسانية بدون تمييز، كانت قد انحازت ضدهم أيضا في مجال عملها، وفي ذلك يضيف الأمير قائلا:

"يسؤونا وأيم الحق أن ترى جمعية الصليب الأحمر من الامم النصرانية من غير تمييز جنسية ولا قومية تهتم بجرحى الاسبانيين وأسراهم الذين بقوا في

أيدينا وتبعث لهم الكميات الوافرة من الدراهم ونرسل لهم الأطباء ليقوموا بمداواة جرحى الاسبانيين وليس لنا من جمعياتنا الخيرية من يصلنا"[١٠٧] .

ومع ذلك، ففي عام ١٩٢٥ جاءت بعثة فرنسية وجهها الصليب الأحمر تحت اشراف طبيب فرنسي يدعى كود، وكان الغرض من مجيئها معالجة المرضى الفرنسيين، وهذه البعثة الطبية أسدت الكثير من الخدمات للريفيين بحكم وجودها بينهم. لكن الحالة الصحية ازدادت تدهوراً، فكان لابد من انشاء مستشفى لمعالجة المرضى، وفي خضم الصراع الدائر بين الثورة الريفية والاسبان والفرنسيين، فكرت حكومة الريف ببناء مستشفى كبير في اجدير بعد أن توفرت لديها الادارة الطبية وهو الدكتور كود فاستغلت فرصة وجوده، وطلبت منه أن يخطط لمستشفى كبير في عين حلوف في أعالي اجدير، الا أن هذا المشروع الصحي فشل بسبب الهجوم العام الذي قام به الجيش الاسباني على اجدير في نهاية عام ١٩٢٥[١٠٨]. ومع ذلك لم يفقد الأمير الخطابي الأمل في استقدام بعثة طبية، فتوجه نحو الشرق لطلب النجدة الطبية، وأمل يبعث ارسالية طبية لمعالجة الجرحى الريفيين، لكنه اخفق في ذلك، وأستمرت الحالة على تلك الصورة حتى سقوط جمهورية الريف عام ١٩٢٦.

المواصلات:

اهتمت حكومة الريف بالمواصلات بمختلف انواعها، وكان للأوضاع الحربية التي مرت بها، أثر كبير في هذا الاهتمام وذلك لتسهيل مهمة تنقلات القوات المسلحة والذخائر بأسرع ما يمكن، وايصال أوامر القيادة العسكرية في اجدير الى المراكز الحربية والاطلاع على المواقف فيها، اضافة الى تسهيل مهمة ارتباط

المراكز الادارية بالعاصمة اجدير، والوقوف على الحالة السياسية والادارية في البلاد. ومن أجل ذلك، بذلت حكومة الريف جهوداً كبيرة في اصلاح الطرق وتعبيدها والعمل على ادخال الوسائل الحديثة في المواصلات، فربطت مختلف مناطق البلاد عن طريق الاسلاك التلفونية وتم ربطها مع مركز القيادة في العاصمة اجدير.

كانت الطرق الداخلية في الريف غير معبدة، فعملت حكومة الريف على تعبيدها تحت اشراف موح موزور الاجديري. وقد اثمرت مجهودات الحكومة في تعبيد الكثير من الطرق الداخلية لتسهيل المواصلات السريعة سواء للسيارات الثلاث التي كانت تمتلكها لنقل قيادة اركان الحرب او لتنقلات القوات المسلحة والعربات والذخائر، فشقت الطرق المعبدة لتربط العاصمة اجدير ببقية مناطق البلاد، فتم تعبيد طريق اجدير ــ ترجيست وطوله ٦٥كم وطريق اجدير ــ بني بويفرح وطوله ٦٠ كم، اضافة الى طريق اجدير ــ اربعاء تويرت، ومن تويرت الى اكنزناية.

خططت حكومة الريف لشق طريق يربط شرق البلاد بغربها وجنوبها من خلال التصاميم التي رسمت لذلك. فقد عثر الأسبان بعد انتهاء الثورة الريفية على تصاميم لطريق يمتد من مليلية الى تطوان عبر ترجيست ــ باب برد ــ باب تازة ــ شفشاون ــ تطوان، وكان الطريق مرسوماً بالكيلومترات بين ٢٠٠م و ٣٠٠م، وهذه التصاميم اتبعها الاسبان بعج الاحتلال(١٠٩) .

ومن أجل تسهيل المواصلات البريدية عبر هذه الطرق الى مختلف المناطق ونقل التعليمات والأوامر الخاصة بالمراكز الحربية أسست حكومة الريف مصلحة بريد في اجدير من أجل التسريع في نقل التعليمات وكان ذلك قبل استخدام الهاتف على مايبدو، وكان الرقاس (المراسل) يقوم بمهمة ساعي البريد

وهو يستطيع قطع ٦٠ ـ ٨٠كم في كل ليلة حاملاً الرسائل السرية الخاصة بالقيادة، واذا صادف وأن القى عليه القبض من قبل الاعداء، كان يحرق الرسائل وينتحر(١١٠).

حاولت حكومة الريف تجاوز حالة المواصلات البرية باستخدام الهاتف، ذلك أن الظروف الحربية وتتابع العمليات العسكرية في جبهات القتال تتطلب الاسراع في معرفة المواقف الحربية في كل جبهة وايصال التعليمات والأوامر من القيادة الى المراكز الحربية والادارية في البلاد. وكانت معدات انشاء شبكة مواصلات هاتفية متوفرة لديها من خلال ماغنمته في معركة أنوال عام ١٩٢١. فلم يكن والحالة هذه الا انشاء هذه الشبكة لربط مختلف مناطق البلاد بالعاصمة اجدير مركز القيادة السياسية والعسكرية وقد نجحت الجهود لانشاء هذه الشبكة عام ١٩٢٣، حيث أمرت قيادة أركان الحرب بتنظيم الفرق الفدائية للتسرب ليلاً الى مناطق وجود الاسبان وقطع الاسلاك عنها وحملها واستخدامها لمصلحة الثورة، ويبدو أن الهدف من ذلك تحقيق غرضين، أولهما قطع إتصال المراكز الاسبانية عن بعضها أو مع مركز القيادة من أجل الانفراد بمحاصرتها وتسهيل مهمة السيطرة عليها، وثانيهما توفير الموجود من الاسلاك خاصة وان الجهود سعت لمد هذه الشبكة الهاتفية الى مختلف مراكز البلاد، فكان لابد من الحصول على مواد تلفونية كبيرة، فقامت هذه الغرق لتحقيق ذلك.

كما تم ارسال بعض الأشخاص لشراء الأجهزة والأسلاك الهاتفية عن طريق "السوق السوداء" في ناحية وجدة من الجزائر ومنطقة طنجة الدولية، ولما كانت الجهود في هذا المجال تحتاج الى خبرات فنية لانشاء هذه الشبكة في طول البلاد وعرضها وربطها بمركز القيادة في اجدير، فقد تمت الاستعانة بخبرات الأسرى الاسبان(١١١) ، ومساعدات عدد من الانكليز الذين تعاطفوا مع الحركة التحررية

في الريف حيث أنشأوا محطة للارسال اللاسلكي فـــي اجديـــر[١١٢]. ان اصـــرار الريفيين على اقامة هذه الشبكة الهاتفية قد جعلهم يستخدمون الأشجار والادغـــال كاجراء ضروري لحين توفر الأعمدة اللازمة.

وقد اثمرت الجهود التي بذلت في انشاء هذه الشبكة في مختلـــف منـــاطق البلاد ومراكزها الحربية، فبعد ثلاث شهور من العمل المتواصل في هذا المجال تم ربط جميع المراكز الحربية والمحاكم المدنية ببعضها بالعاصمة اجدير، فـــأصبحت القيادة العسكرية على اتصال مستمر بوحداتها العسكرية المتحركة فـــي مختلـــف الجهات الامر الذي سمح لها بتنفيذ عمليات مشتركة في ميدان واسع. ولعـــل مـــا كتبه مراسل جريدة الشيكاغوتربيون الامريكية في مقابلة لـــه مـــع الأمـــير فـــي حزيران ـــ يونيو عام ١٩٢٥ وهو أن الأمير كان يقضي (١٨) ساعة يومياً فـــي اصدار الأوامر الى ضباطه وجنوده في المراكز الحربية والتعرف على طبيعة سير العمليات الحربية[١١٣] دليلاً مهماً على النتائج الايجابية لانشاء الشبكة المذكورة.

ان ما قامت به حكومة الريف عبّر بشكل أو بآخر عن محـــاولات مخلصـــة لاحداث تغييرات في البناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي الى درجـــة أن مناطق الريف أصبحت متميزة عن مايجاورها من المناطق التي ظلت خاضعـــة للحماية الاسبانية والفرنسية.

مصادر وهوامش الفصل الرابع:

(١)رياض، المصدر نفسه، ص ٢٧١

Montagne , op. cit, p. 156.

(٢)القاضي، المصدر السابق، ص ص ١٢٥ ــ ١٢٦.

(٣) القاضي، المصدر نفس، ص ص ١٢٣ ــ ١٢٨؛ وابن جلون، هـــذه مراكـــش، ص ١٨١ ؛ ويحيى، المغرب الكبير، جـــ ٣، ص٩٧٢.

(٤)الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص ص ١٢١ ــ ١٢٢.

(٥) أمين سعيد: الوطن العربي، دار الهلال (القاهرة، لا ، ت)، ص٤٢؛ هاشم التكريتي،

معركة أنوال، المؤتمر العلمي الأول، تاريخ العرب العســـكري، (بغـداد ١٩٨١) و ص٢٣.

(٦) Jean Meyer : Les consequences poliyiques de la guerre du Rif en Espagne, (Julien), p. 305:

(٧) التكريتي، المصدر السابق ص٢٣، وسعيد، ثورات العـــرب، ص ص ١٨٢ ــ ١٨٣ .

(٨) محمد أمين العمري: الحرب الريفية، سر انتصار الأمير محمد بن عبد الكريـــم الخطابي، مطبعة دار السلام، (بغداد ١٩٢٥)، ص ٣٣، ٣٨.

(٩) رياض، المصدر السابق، ص٢٧٢.

(١٠) العقاد، المصدر السابق، جـــ ٢، ص٧١.

(١١) التكريتي، المصدر السابق، ص ص٢٤ ــ ٢٥.

(١٢) Julien, op. cit, p. 123.

(١٣) Youssoufi, op. cit. P. 90.

(١٤) رشيدي الصالح ملحس: سيرة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بطل الريف ورئيس جمهوريتها، المطبعة السلفية، (القاهرة ١٩٢٥)، ص ٣١؛ عمر ابو النصر: بطل الريف الأمير عبد الكريم، ط١، المكتبة الأهلية، (بيروت ١٩٣٤)، ص١٣٢.

(١٥) اعطي لمحمد بن عبد الكريم الخطابي لقب الأمير تمشيا مع الالقاب العربية المعتادة في تسمية قائد المجاهدين باسم الأمير، أي أمير الجهاد.
انظر: محمد عبد المنعم المحامي: الأمير عبد الكريم بطل الشمال الافريقي، المكتبة العلمية، (القاهرة ١٩٥٨). ص١٣؛
القاضي ، المصدر السابق، ص١٣٣؛ البوعياشي، المصدر السابق، جـ ١، ص٢٣.

(١٦) Pennell, op. cit, P . 33.

(١٧) Ibid , p. 39.

(١٨) Youssoufi, op. cit, p. 89.

(١٩) عبد الكريم غلاب: التطور الدستوري والنيابي في المغرب ١٩٠٨ ـ ١٩٧٧، (لا. م)، (لا. ت)، ص١٤٤.

(٢٠) العمري، المصدر السابق، ص ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٢١) ملحس، المصدر السابق، ص٣١؛ ف ب ، التطور الدستوري، ص١٤٤.

(٢٢) ملحس، المصدر السابق، ص٣١.

(٢٣) النصوص الأولى للدستور قد فقدت اثناء الحرب حيث كانت ضمن أرشيف ترك في مدرسة اجدير ودمر مع الوثائق الأخرى اثناء الحرب؛ Youssoufi, op. Cit, p. 91.

(٢٤) ملحس، المصدر السابق، ص٣٢.

(٢٥) انظر: المحامي، المصدر السابق، ص٢١؛ ابو النصر، المصدر السابق، ص١٣٤.

(٢٦) عمر ابو النصر، المصدر السابق، ص١٣٥.

(٢٧) البوعياشي، المصدر السابق، جـ١، ص٥٣؛ العمري، المصدر السابق، ص٢٢.

(٢٨) ملحس، المصدر السابق، ص٣٢، عمر ابو النصر، المصدر السابق، ص١٣٤؛ الجمل، المصدر السابق، ص٢٤٤.

Youssoufi, op, cit, p. 89.

(٢٩)

(٣٠) البوعياشي، المصدر السابق، جـ١، ص٣٢، جـ٢، ص ص ١٣٢ ـ ١٣٣؛ القاضي، المصدر السابق، ص١٣٤؛ ملحس، المصدر السابق، ص٣٢؛ العلمي، المصدر السابق، ص٢٥.

Youssoufi, op. cit, p. 93.

(٣١) ملحس، المصدر السابق، ص٣٨.

(٣٢) محمد العلمي: زعيم الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي، مطابع دار الكتاب (الدارالبيضاء ١٩٦٨)، ص٢٨؛

سعيد، ثورات العرب، ١٨٣؛ المحامي، المصدر السابق، ص٥٠:

البوعياشي، المصدر السابق، جـ ٢، ص١٣٣؛

Youssoufi, op. cit, p. 93.

(٣٣) البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص ص١٣٤ ـ ١٣٤.

(٣٤) Youssoufi , op ciy, p, 93

(٣٥) البوعياشي، المصدر نفسه، جـ٢ ص ص ١٣٣ ـ ١٣٤

(٣٦) الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص١١٠.

(٣٧) ملحس، المصدر السابق، ص٤٦؛ عمر ابو النصر: المصدر السابق، ص١٣٧.

(٣٨) سعيد، ثورات العرب، ص ص١٨٣ ـ ١٨٤.

(٣٩) القاضي، المصدر السابق، ص ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٤٠) العمري، المصدر السابق، ص ٤٢، ٥٠

(٤١) عمر ابو النصر، المصدر السابق، ص١٣٨.

(٤٢) علال الفاسي: حديث المغرب في المشرق، المطبعة العالمية، (القاهرة ١٩٥٦)، ص ص٦٣ ـ ٦٤.

(٤٣) البوعياشي، المصدر السابق، جـ١، ص٤١٢.

(٤٤) ملحس، المصدر السابق، ص٤٧.

(٤٥) البوعياشي، المصدر السابق، جـ ٢، ص١٧٨.

(٤٦) العمري، المصدر السابق، ص ص ٤٧ ـ ٥٠، رابطة الدفاع عن مراكش، مراكش تحت النفوذ، ص١٤.

(٤٧) العلمي، المصدر السابق، ص٢٨.

(٤٨) القاضي، المصدر السابق، ص ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٤٩) العمري، المصدر السابق، ص٥٠،

Jamil Abun – Nasr A History of the Maghrib, Cambridge University Press, (Cambridge 1975), p. 365.

(٥٠) ملحس، المصدر السابق، ص٤٩.

(٥١) القاضي، المصدر السابق، ص١٩٨؛ عمر ابو النصر، المصدر الســـابق، ص ص ٢١٠ ـ ٢١٤؛ يحيى، المغرب الكبير، جـ٣، ص.٩٧٩

(٥٢) يحيى، عبد الكريم، ص٧٣.

(٥٣) ملحس، المصدر السابق، ص٤٧؛ البوعياشي، المصدر السابق، جـــ٢، ص ص ١٦٨ ـ ١٧٧، العلمي، المصدر السابق، ص٢٧.

(٥٤) البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢ ص ص ١٦٨ ـ ١٦٩

(٥٥) البوعياشي، المصدر نفسه، جـ٢، ص١٦٨، ١٧٧؛ القاضي، المصدر الســـابق، ص١٨٢؛ ملحس، المصدر السابق، ص٤٧.

(٥٦) العلمي، المصدر السابق، ص٣٠.

(٥٧) البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص١٧٧.

(٥٨) المصدر نفسه، جـ١، ص٤١٣.

(٥٩) العمري، المصدر السابق، ص٤٩؛ عمر ابو النصر، المصـــدر الســابق، ص١٤، ١٩٢، ٢٢١.

(٦٠) ستودارد، المصدر السابق، جـ٣، ص١٨٩.

(٦١) العمري، المصدر السابق، ص٤١؛ عمر ابو النصر، المصدر الســابق، ص١٤٠؛ المحامي، المصدر السابق، ص٥٤.

(٦٢) عمر ابو النصر، المصدر السابق، ص ص ١٣٧ ـ ١٣٧،

Youssoufi, op, cit, p. 96.

(٦٣) القاضي، المصدر السابق، ص ص ١٣، ٥٧، ٦٠ ـ ٦٣، ٩٣، ٩٧.

(٦٤) عمر ابو النصر، المصدر السابق، ص١٧.

(٦٥) عمر ابو النصر، المصدر نفسه، ص ص ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٦٦) البوعياشي، المصدر السابق. جـ١، ص٤١١، جـ٢، ص١٦٣.

(٦٧) العمري، المصدر السابق، ص٤٢.

(٦٨) البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص ص ١٦٨ ــ ١٧٢.

(٦٩) القاضي، المصدر السابق، ص٢٠٣، البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص١٦٣؛ ملحس، المصدر السابق، ص٤٩.

Youssoufi , op . cit, F. 97.

(٧٠) سعيد، ثورات العرب، ص٢٠٠.

(٧١) العمري، المصدر السابق، ص٣٤.

(٧٢) البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص١٦٥، ١٧٥.

(٧٣) ملحس، المصدر السابق، ص٤٧؛ العمري، المصدر السابق، ص٤١: البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص ص ١٣٥ ــ ١٣٧.

(٧٤) المعلم محمد التمسماني من قبيلة تمسمان، كان يعمل باحدى معامل الحديد بطنجة قبل أن تقوم الحرب مع الأسبان في عهد محمد أمزيان، وعندما اشتعلت الحرب التحق بالمجاهد امزيان وكرس حياته لخدمة المجاهدين وتصليح السلاح في المنطقة، واستمر في عمله خلال الثورة الريفية، انظر: القاضي، المصدر السابق، ص ص ٢٠٧ ــ ٢١٣؛ البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص١٧٤.

(٧٥) القاضي، المصدر السابق، ص٦.

(٧٦) القاضي، المصدر نفسه، ص٦؛ يحيى، المغرب الكبير، جـ٣، ص٩٩٤؛ عبد الكريم ، ص٧٣؛ البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص١٧٤.

(٧٧) جريدة السعادة، ٢٢ أيلول ــ سبتمبر ــ ١٩٢٥.

(٧٨)البوعياشي، المصدر نفسه، جـ٢، ص ص ١٧٢ ــ ١٧٤؛ العلمي، المصدر السابق، ص٣٠

(٧٩) سعيد، ثورات العرب، ص١٨٣؛ المحامي، المصدر السابق، ص٥٠.

(٨٠) Pennell, op . cit, p. 36.

(٨١) ملحس، المصدر السابق، ص٣٨،

Ibid , p. 37.

(٨٢) امحمد بن علال البخلاخي التعريف بجزيرة بادس بالريف، تقديم:

عبدالله كنون، ط١، مكتبة الوعي (طنجة ١٩٨٠)، ص ٧٣ ــ ٧٨.

(٨٣) Youssoufi , op , cit , p. 91.

(٨٤) Pennell, op . cit, p. 37.

(٨٥) ملحس، المصدر السابق، ص٣٧.

(٨٦) ان الحقيقة في وجود أوراق نقدية ريفية كانت نتيـــجة جهــود رجــل الاعمــال البريطاني المدعو كاردينير Gardiner الذي قام بطبع أوراق نقدية في لندن ونقلها الى الساحل الريفي على ظهر مركب، لكنها لم تستخـــدم ولــــــــم يصدر أوراقاً نقدية، انظر:

Youssoifi, op. cit, p. 95. ؛ البوعياشي، المصدر السابق، جـ١، ص٤٣.

(٨٧) البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص ص ١٥٤ ــ ١٥٥.

(٨٨) ابن جلون، هذه مراكش، ص١٢٦.

(٨٩) Youssoufi , op. cit, p. 94.

(٩٠) البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص١٥٢؛ العلمي، المصدر السابق، ص٢٨؛ سعيد، ثورات العرب، ص١٨٤؛ القاضي، المصدر السابق، ص٧.

ص١٥٣، العلمي، المصدر السابق ص٢٨

(٩١) عمر ابو النصر، المصدر السابق، ص١١٧؛ المحامي، المصدر السابق،

ص٨٩؛ العمري، المصدر السابق، ص٦٢.

(٩٢) عمر ابو النصر، المصدر السابق، ص٢١٨، العلمي، المصدر السابق، ص٣٠.

(٩٣) العلمي، المصدر السابق، ص٣٠

(٩٤) القاضي، المصدر السابق، ص ص ٧، ٢٢٤ ـ ٢٢٦، البوعياشي، المصدر السابق، جـ١، ص١٥٤.

(٩٥) رياض، المصدر السابق، ص٢٧٣.

(٩٦) ابن جلون، هذه مراكش، ص ص ١٤١ ـ ١٤٣، البوعياشي المصدر السابق، جـ١، ص ص ٦٦ ـ ٧٠.

(٩٧) القاضي، المصدر السابق، ص٧٦، المحامي، المصدر السابق، ص١١.

(٩٨) البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص١٨٥.

(٩٩) صبحي، تاريخ شمال افريقيا، ص١٣٥.

(١٠٠) البوعياشي، المصدر السابق، جـ١، ص٤٥.

(١٠١) القاضي، المصدر السابق، ص١٠٢.

(١٠٢) البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص ص ١٨٢ ـ ١٨٣، العلمي، المصدر السابق، ص٢٨.

(١٠٣) البوعياشي، المصدر نفسه، جـ١، ص٤٠٩، جـ٢، ص١٨١.

Pennell , op . cit, p. 34 – 35.

(١٠٤) Ibid , p . 36 – 39, 94.

(١٠٥) الشريفي، المصدر السابق، ص١٣، العلمي، المصدر السابق، ص٤٠، البوعياشي، المصدر السابق، جـ١، ص١٨١، سعيد، ثورات العرب، ص١٩١، عمر ابو النصر، المصدر السابق، ص٢١٤، يحيى، المغرب الكبير، جـ٣، ص٩٧٨.

(١٠٦) عمر ابو النصر، المصدر السابق، ص٢١٤.

(١٠٧) ملحس. المصدر السابق. ص٤٢.

(١٠٨) البوعياشي. المصدر السابق. جـ٢. ص١٨٢.

(١٠٩) البوعياشي. المصدر نفسه. جـ٢. ص١٦٦.

(١١٠) العلمي. المصدر السابق. جـ٢. ص١٦٦.

(١١١) القاضي. المصدر نفسه. ص١٥٥.

(١١٢) العلمي. المصدر السابق. ص٣٠.

(١١٣) المحامي. المصدر السابق. ص ص **٥٢ ـ ٥٣.**

(١١٤) القاضي. المصدر السابق. ص١٥٥. عمر ابو النصر. المصدر السابق. ص٨٨. يحيى. المغرب الكبير. جـ٣. ص٩٩٤.

الـفـصـل الـخـامـس

التحالف الفرنسي ـ الاسباني وسقوط جمهورية الريف

الموقف الفرنسي من قيام جمهورية الريـف عام ١٩٢١ ـ ١٩٢٥:

ابتداء لم تثر الثورة الريفية ضد الأسبان قلق الفرنسيين في الجنـــوب، بـل وجدوا فيها فرصة للانتقام من الأسبان لموقفهم خلال الحرب العالمية الأولى مـن النشاط الالماني والعناصر المعادية لفرنسا في منطقة نفوذهم في الشـمال، ومـن جهة أخرى لم يتوقع المارشال ليوتي Lyauty المقيم العـــام (١٩١٢ ــ ١٩٢٥) لفرنسا في المغرب، أن تكون ثورة الريف اكثر من مجرد اضطراب يحرج مركـز اسبانيا فيستطيع التدخل ويحصل من خلال ذلك علـى تعديـل حـدود المنطقتيـن باحتلال وادي ورغة على الأقل، والذي حرصت فرنسا خـلال مفاوضـات ١٩١٢ على الحصول عليه دون جدوى، لكن ثورة الريف تجاوزت المدى الذي كان يفكـر فيه المارشال ليوتي والفرنسيين(١) ، فقد كان لانتصار المقاومة الريفية في معركة أنوال على الأسبان، أثره في اتخاذ الفرنسيين لبعـض الاجـراءات فـي منطقـة نفوذهم والمتمثلة باستعراض قواتهم العسكرية لارهـاب السـكان، ولـم يتخـذ الفرنسيون في هذه الفترة أي موقف عسكري مضـاد لثـورة الريـف لسـببين: أولهما، اعتقادهم بأن الأسبان وحدهم قادرين على اخماد الثـورة، وثانيـهما، أن حكومة الريف، بالرغم من اقرارها في الميثاق الوطني بعدم الاعـتراف بمعـاهدة الحماية لعام ١٩١٢ وبأي نفوذ استعماري في المغـرب، حرصـت وهـي فـي صراعها مع الاسبان على عدم الاحتكاك بفرنسا لئلا تنضم الـى جـانب اسـبانيا فتصبح بين قطبي الرحى، لذلك اتخذت موقفاً سياسياً مرناً فـي عـدم الاصطـدام بالفرنسيين ريثما ينم اقصاء الاسبان عن المنطقة الشمالية. وأخذ المارشال ليوتي

بعد معركة أنوال، يرفع التقارير الى حكومته يحذر من قيام حكومة حرة في جزء من المغرب تكون مجاورة لمنطقة النفوذ الفرنسي، لما في ذلك من خطر على وجودهم في المغرب العربي[٢] ، لأن هذه الحكومة الحرة ستكون كما قال "قطب جاذبية لجميع أولئك الذين يطمحون باستقلال في غربي افريقيا الاسلامية". وأكد "أني أحب الريفيين كما هم، ولكنني لا أريد أن يصبحوا كباراً"[٣] ، فقد خشى من تأثير جمهورية الريف على المناطق الواقعة تحت النفوذ الفرنسي وبالشكل الذي قد يفجر ثورة ضدهم تكلف فرنسا الكثير في الأرواح والأموال[٤] ، وفي احد تقاريره يعكس الخوف الفرنسي من نجاح الثورة الريفية وقوتها بقوله:

"لا يمكن أن يكون هناك أخطر على نظامنا من انشاء دولة اسلامية وحديثة على مقربة من فاس... جاعلة من عبد الكريم قطباً جاذباً لا فقط للمنشقين (الخارجين) من اتباعنا بل ولهذه العناصر المغربية والشابة منها على وجه الخصوص التي وسعت مداركها المستقبلية، الأحداث الجديدة في الشرق والتي تطورت في فكرها مطامح العداء للأجانب"[٥].

وهكذا كان الموقف الفرنسي من جمهورية الريف واضحاً متمثلاً في خشيتهم من إمتداد تأثيرها ايضاً الى مستعمراتهم في تونس والجزائر، ومما زاد في ذلك الحالة الاقتصادية لفرنسا آنذاك وانعكاساتها على تناقص قواتها بعد معركة أنوال الى (٦٤) الف جندي بعد أن كانوا (٩٥) الف جندي[٦] .

بدأ الفعل الفرنسي المضاد لجمهورية الريف يتضح في منتصف عام ١٩٢٢، بالقيام بعزل منطقة وادي الورغة في الشمال الشرقي من فاس بحجة حماية تلك المنطقة من عواقب الثورة الريفية، أما الغرض الحقيقي فكان قطع الطريق الأساسية بين الريف وسائر اجزاء المغرب لمنع وصول النجدات الى حكومة الريف[٧] ، خاصة وان منطقة الورغة تعد مورداً اقتصادياً مهماً للقمح بالنسبة

للريفيين، فعمل المارشال ليوتي في ضبط حركة قوافل التموين المتوجهة نحو الريف، وبدأ بمراقبة الريفيين في هذه المنطقة، فيما تجمعت الحشود الفرنسية في مناطق الحدود، وتقرر مهاجمة الريفيين بالرغم من أنه لم يكن هناك حجة معقولة. وكانت حكومة الريف على علم بنوايا المقيمية العامة فسعت ألا تترك لها فرصة تتعلل بها لمهاجمتها، فحرصت على اظهار حسن نواياها للفرنسيين والرد على تحرشاتهم بالاحتجاجات في الوقت الذي كان فيه المارشال ليوتي يعتقد أن الحرب مع جمهورية الريف أمر لاريب فيه سواء هاجمت الفرنسيين أم لا. واعترف ليوتي أن الخطابي أرسل رسالة له ليرفعها الى الحكومة الفرنسية وفيها يبدي استعداده لتسوية مسائل الحدود بصورة مرضية(٨) ،في وقت كان موقف السلطات الفرنسية في المغرب منصباً على محاولة مد النفوذ الفرنسي الى أماكن واسعة بمحاولة القضاء على الثورات المسلحة في جبال الأطلس والعمل على التعاون مع السلطات الاسبانية على منع زيادة نفوذ ثورة الريف واتساع رقعتها. الا أن حكومة الريف استمرت في اتباع اسلوب المهادنة مع الفرنسيين، ومن هنا جاء ارسال الوفد الريفي الى باريس نهاية عام ١٩٢٢ حتى منتصف عام ١٩٢٣، الا أنه وكما أشرنا آنفاً فقد أخفق الوفد الريفي في محاولة كسب عطف فرنسا، واتضح الموقف الفرنسي المعادي لطموح الريفيين في التحرر والاستقلال، والواقع أن موقف الحكومة الفرنسية في باريس كان يتلخص في عدم التراجع عما حصلت عليه في المغرب، وفي عدم القيام بأي عمل يسيىء الى العلاقات الودية القائمة مع أسبانيا(٩) .

بالرغم من ذلك حاول الأمير الخطابي، وهو في صراعه مع الاسبان عدم الاصطدام بالفرنسيين في الجنوب، لأنه كان يدرك وهو في صراعه مع الاسبان خطورة الاشتباك معهم في تلك الفترة لكنه مع ذلك لم يغفل طبيعة النوايا الفرنسية

المعادية فعمل على اتخاذ الاحتياطات اللازمة للاسراع في عمليات الدفـــاع عــن البلاد في حالة تعرضها للعدوان الفرنسي. أذ أقام خطوطا للـــهاتف بيـــن حـدود الريف الجنوبية المتاخمة للفرنسيين وأجدير لتحقيق الاتصال السريع مع قطعاتـــه في حالة تصاعد الموقف الفرنسي المعادي(١٠) .

ان اندحارات الاسبان أمام القوات الريفية حتى أواخر عام ١٩٢٣ أكدت لــهم أهمية دخول فرنسا طرفا في الصراع ضد الثورة الريفيـــة، وعلـــى ذلـــك حـــاول الأسبان قبل معركة أنوال دفع الأمير الخطابي للاصطدام مع الفرنسيين(١١)، لكـــي يوسعوا دائرة نفوذهم في المغرب.

استغل الفرنسيون انشغال حكومة الريف بالحرب ضد اســـبانيا فعملـــوا علـــى توسيع مناطق نفوذهم مع أوائل عام ١٩٢٤، وقد تمثل ذلك باحتلال اقليـــم وزان في السهول المطلة على المحيط الأطلسي والمجاورة للحـــدود الغربيـــة لمنطقـــة النفوذ الاسباني. أما في الشرق فانهم كانوا يسيطرون لاكمال ممر تازة، وكـــانوا خلال السنوات الثلاث الاخيرة قد زادوا من نشاطهم لاكمال احتلال منطقة نفوذهـــم في المغرب، ولكنهم لم يكونوا قد احتلوا منطقة وادي الورغة بأجمعـــها، وهـــي المنطقة المهمة التي تقع بين وزان وتازة الى الشمال من فاس، الا أنه في أيــــار من عام ١٩٢٤ قاموا بعدوان عسكري واضح على أراضي الريف حيـــن احتلـــوا الطرف الغربي لمنطقة الورغة، وبدأوا بتحصينها ضد أي هجوم يأتي من الشمال، وعلى هذا فان تناقض المصالح بيـــن جمهوريـــة الريـــف وفرنســـا قـــد أصبـــح واضحا(١٢) .

وفي ٢٨ أيار ــ مايو ــ ١٩٢٤ وقف بانليفي رئيس الحكومـــة الفرنســـية، يدافع عن أطماع بلاده في المغرب قائلا بمجلس النواب:

"ان على كل فرد قبل أن يفكر في السلم أن يعرف ويعلم جيداً بأن فرنسا تقف مع كل قواتها في المطنقة الواقعة بين الورغة وفاس، وحتى اذا كان هناك من الفرنسيين من يرغب في التراجع أمام مثل هذه السياسة فعليهم أن يقدروا نتائج موقفهم السلبي..."

وأضاف قائلاً: "ان فرنسا كانت مهددة بالاضطرار الى اخلاء فاس، بل ومهددة كذلك بفقد كل المغرب الأقصى والجزائر وتونس"(١٣) .

بالرغم من ذلك ظل الأمير الخطابي، وانطلاقاً من الاعتبارات التي أشرنا اليها، ملتزماً لسياسة الحياد نحو الفرنسيين واكتفى باعلان استنكاره للعدوان على أرض تابعة لحكومة الريف، ويؤكد ذلك مانقل عنه قوله:

"ان هذه الشقة ـ منطقة الورغة ـ كانت تحت سيطرة الريف المباشرة لما قدم الفرنسيون على احتلالها أخيراً، وسيان عندي اذا كانت اسبانيا تعدها تابعة لها، أو كان الفرنسيون يحسبونها جزءً من البلاد المشمولة بحمايتهم مادامت الحكومة الريفية لم تعترف قط بتقسيم المغرب الأقصى الى مناطق مشمولة بحمايات أجنبية مختلفة وفي الدنيا امتحان واحد لصحة الملكية وهو الاحتلال الفعلي..."(١٤).

أثار احتلال الفرنسيون لغرب منطقة الورغة المسمى "أمجوط" حفيظة قبائل المنطقة وخاصة بني زروال، فأرسلت وفداً من زعمائها الى الأمير عارضة عليه الانضمام الى دولة الريف، واشترطوا عليه ارسال بعض القوات النظامية للمرابطة معهم لتعزيز مقاومتهم للعدوان الفرنسي، فاستجابت الحكومة لهم، وأوفدت القوة المطلوبة بقيادة عبد الهادي بن عزوز في الوقت الذي انضم فيه عدد كبير من ابناء هذه القبيلة الى قوات الثورة ورابط الجميع في منطقة ترجيست المقابلة لمراكز الفرنسيين في أمجوط. وما كادت القوات الريفية تستقر

في بني زروال حتى داهمتهم مدافع الفرنسيين وطائراتهم، وأدى استمرار العدوان الفرنسي الى قيام الريفين المقابلة بالمثل، وفي ذلك يقول الأمير: "كان اطلاق القبائل في مقدمة العوامل التي حملتني على التدابير العسكرية اللازمة للدفاع عن سلامة بلادي..."[١٥] ، حيث استدعى الأمير شقيقه امحمد من الجبهة الغربية وكلفه بقيادة القوات الريفية في الجبهة الجنوبية وتنظيم عمليات الدفاع فيها. وقد استطاعت القوات الريفية الرد على العدوان الفرنسي بالهجوم على مركز أمجوط وتحريره[١٦] .

وازاء العدوان الفرنسي على المناطق الخاضعة لحكومة الريف في منطقة الورغة، بدأت استعدادات قيادة الريف من ترجيست بتنظيم سكان المنطقة وخلق حالة الاستعداد العالي لمواجهة هذا العدوان في حالة استمراره وتصاعده فاصدرت تعليمات الى رؤساء القبائل جاء فيها:

"ان مافاجأتنا به فرنسا في الجبهة الجنوبية باعتدائها وظهور نواياها في القضاء على أشرف شيء لدينا وهو الاستقلال بشكل لا يتطرق اليه الشك، يقضي علينا باتخاذ الأهبة للطوارىء، والاستعداد لكفاح طويل مرير فرضه علينا قوم لا يعيشون الا بواسطة السلب والنهب والغدر...".

كما أمرت رؤساء القبائل لتنفيذ بعض الالتزامات منها:

١ ـ تقديم احصائية باعداد وأسماء القادرين على حمل السلاح ومن الذين لم يدخلوا في قوائم الاحصاء في المناطق التي أنضمت الى الدولة الريفية، وقد سبق للأمير الخطابي عند اعلان التجنيد العام في بداية تأسيس الجمهورية أن جند الرجال ما بين السن ١٩ ـ ٦٠ سنة، أما الآن فقد أمرت القيادة باحصاء الأشخاص مابين السن ١٥ ـ الى السن ٦٥ لغرض تجنيدهم.

٢ ـ تدريب جميع الأشخاص الموجودين ضمن احصائيـــات التجنيـد علـى استعمال المدافع والرشاشات ورمي القنابل اليدوية.

٣ ـ ارسال نصف العدد من القوات الاحتياطية الى جبهات القتال.

٤ ـ تقديم احصائية بعدد الحيوانات المفيدة في المجال العســكري، وخاصـة مسألة تموين خطوط القتال.

٥ ـ مراقبة الحدود ومنع تغلغل الجواسيس.

٦ ـ صيانة الأسلحة وفحص مدى صلاحيتها باستمرار.

٧ ـ تشجيع المواطنين على صنع القنابل اليدوية المحلية.

٨ ـ الاقتصاد في العتاد وعدم بعثرته في الافراح والأعياد.

٩ ـ العمل على مد اسلاك الهاتف الى المراكز الحربية القريبـة مـن جبـهات القتال الخالية من خطوط المواصلات السلكية[١٧] .

كما أصدرت القيادة الريفية، بعض التعليمات الخاصة بتعزيز اقتصـــاد البــلاد لمواجهة حالة الحرب. ولعل من أبرز هذه التعليمات مايأتي:

١ـ الاقتصاد في استهلاك المؤن، والعمل على تخزين الفائض منها في مخـازن الدولة واستخدامها عند الحاجة.

٢ ـ يتمتع المهاجرون اللاجئون من خطوط الأعداء بالحقوق نفسها التي يتمتـع بها المواطنين في الدولة الريفية، وفي حالة تطوعهم في صفوف القوات الريفيـة المسلحة يمنحون امتيازات اكبر في الأقوات اضافة الى رواتبهم الشهرية.

٣ ـ السماح للأجانب بدخول البلاد والاقامة والتجـوال فـي أي مكـان فيـها باستثناء بعض الأماكن التي لا يسمح بالدخول فيها الا للوطنيين وتسهيل مهمـة الصحفيين منهم بالذهاب الى خطوط القتال.

٤ ـ الحكم بالاعدام على كل من يمارس التجسس لصالح اعداء الوطن[١٨].

لقد استمر الفرنسيون في عدوانهم ضد الجمهورية الريفية. ففي أوائل ايلـول ـ سبتمبر ـ ١٩٢٤ تقدموا باتجاهين: الأول شمال الورغة، والثاني في الركـن الشمالي الشرقي للمنطقة الاسبانية، واثناء ذلك طلب ليوتي من حكومته الاسـراع في ارسال الامدادات له لتحصين المناطق التي احتلتها قواته شمال الورغـة، ثـم ادعى أن أهالي الريف يواصلون أعتداءاتهم على الأراضي التي لم يتـم احتلالـها بعد من المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسي، وأعلن أنهم يعملـون علـى اغـراء القبائل فيها على الثورة والهجوم على الفرنسيين[١٩]، وبرر الفرنسيون عدوانـهم على الريفيين بما ذكره هريو Herriot رئيس الوزراء الفرنسية السابق لبـانليفي بقوله: "اننا نقاوم اعمال الريفيين في الواجهة الشـمالية دفاعـا عـن حقوقنـا الشرعية وعن مصالح السكان المخلصين لنا..."[٢٠] ولم يكتف الفرنسيون بتـبرير عدوانهم على جمهورية الريف، وانما أصروا على ضـرورة تـأكيد مصالحـهم الاستعمارية في المغرب، فقد أعلن بانليفي في ٣ آب ـ اغسطس ـ ١٩٢٤ فـي مجلس النواب الفرنسي أن على فرنسا أن تدافع عن مركزها، أو أن تقبل بفقدانها كل شمال افريقيا وفي ظـروف مهينـة و "سـيكون ذلـك آخـر امبراطوريتنـا الاستعمارية وآخر استقلالنا الاقتصادي والذي هـو محـال بـدون مسـتعمرات وسيكون ذلك "آخر هيبة ونفوذ لفرنسا في العالم"[٢١] ، فبـدأ الفرنسـيون خـلال الانسحاب الاسباني باثارة الفتن والقلاقل في منطقة الورغـة والاتصـال بـالقواد القبليين خصوم الجمهورية، كما أوحت عن طريق أحد عناصرها مـن أصحـاب الطرق وهو محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي في بني زروال ليقوم ببث الدعايـة ضد الأمير الخطابي وبزعم بأنه ثائر ضد السلطان مولاي يوسـف وأنـه يخـدم مصالح دولة أجنبية[٢٢] ، ومن جهة أخرى واصل ليوتي ارسـال تقـاريره الـى حكومته ينذرها بخطورة الموقف على منطقة نفوذهم فـي المغـرب. ففـي ٢٢

تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٢٤ ابرق الى حكومته موضحاً فيها أن الجهات المتاخمة لمنطقة نفوذهم اصبحت مراكزاً "للعصيان" وان أهلها ((أصبحوا خاضعين لزعيم واحد يخلصون له الولاء)). وفي ١١ كانون الأول ـ ديسمبر ـ أبرث ثانية الى باريس يعلن ((أن دولة اسلامية قوامها قومية الشمال الافريقي تنشيء نفسها في شمال المغرب الفرنسي))، وادعى أن الأمير الخطابي لا يخفي هدفه من مهاجمة المنطقة الفرنسية(٢٣) .

ظل الموقف الفرنسي ازاء جمهورية الريف عدوانياً بالرغم من استعمال حكومة الريف أساليب المرونة مع الفرنسيين والتي استمرت حتى أواخر عام ١٩٢٤، وأدى تشبث الفرنسيين باحتلال بعض مناطق الورغة الى اجبار الريفيين على صد العدوان تدفعهم في ذلك عوامل سياسية واقتصادية كثيرة منها، ان هذه المنطقة جزء من أرض الريف وان عدد من أهاليها من بني ورياغل وهم ابناء قبيلة الأمير وانها جزء من الدولة الريفية، كما انها المورد الأساسي للغلال لجزء كبير من أهل الريف، وفوق ذلك فان عجز حكومة الريف عن تحرير الجزء الجنوبي سيضعف هيبتها امام الأهالي الذين طلبوا الانضمام اليها في هذه المنطقة(٢٤).

في أواخر عام ١٩٢٤ عزم الفرنسيون على خوض المعارك ضد الجمهورية الريفية لاخماد ماكانوا يطلقون عليه بـ "التمرد" في المنطقة المجاورة لنفوذهم وذلك باستعمال القوة والقضاء عليها(٢٥) ، وقد قام المارشال ليوتي بتحشيد قواته على الحدود وتقوية العديد من الحصون والمخافر التي بلغت (٧٠) مخفراً أمامياً ومخافر ورائية أخرى. كما قام بتعبيد الطرق لتسهيل تحركات جيوشه بالسرعة المطلوبة وقام بتعزيز القوات في المنطقة بالمدافع الثقيلة، كما طالب حكومته بزيادة القوات العسكرية المرابطة على حدود الريف للاستعداد للعدوان ولابراز

سطوة الحكومة امام القبائل التي لا يؤتمن جانبها، خوف انضمامها للقوات الريفية. وبالرغم من كل ذلك لم يفقد الأمير الخطابي الأمل في التفاهم مع الفرنسيين بغية الوصول الى صيغة سلمية فأرسل في آذار ـ مارس ـ عام ١٩٢٥ علوش حدو علي البقيوي الى فاس لأجل التفاوض مع القيادة الفرنسية لتعمل على وضع حد لممارستها العدوانية، كما كتب الى محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي ليكف عن اعماله "ضد وطنه وشعبه"[٢٦] ، ورغم أن السلطات الفرنسية لم تعترف رسميا بجمهورية الريف الا أنها بحثت مع ممثل الحكومة الريفية اسماء القبائل التي كانت تعد داخلة في هذا الجانب أو ذاك من خط الحدود في منطقة الورغة، وزعمت أنها لا تفكر في اجتياز خط الحدود، الا أنها أشارت الى أن قبائل بني زروال تدخل ضمن التبعية الفرنسية وأنها وعدت هذه القبائل بتقديم المساعدة اليها في حالة قيام الريفيين يفرض سيطرتهم عليها[٢٧] .

لقد وجدت حكومة الريف في ادعاءات الفرنسيين اصرارا على العدوان ورغبة جامحة في الاصطدام معها، لذلك لم تتراجع، وقررت وجوب حسم الموقف مع الفرنسيين، وجاء هذا القرار بعد أن استنفدت القيادة الريفية وسائل الحوار معهم، فأعلن الخطابي "سيان عندي اذا كانت اسبانيا تعد ورغة تابعة لها أم كانت فرنسا تحسبها جزء من البلاد المشمولة بحمايتها مادامت الحكومة الوطنية لم تعترف بتقسيم الوطن المغربي الى مناطق نفوذ اجنبية، كما أن النفوذ للحكومة الوطنية في هذا الاقليم"[٢٨] .

كما أوضح الخطابي حقيقة النوايا الفرنسية من العدوان بقوله: "الحقيقة أن الفرنسيين لم يكونوا راضين أصلا عن قيام دولة في الريف. وقد جاملناهم الى أقصى حدود المجاملة حتى تركنا البلاد المجاورة لهم على حالتها ولم نحاول ادخالها في نظامنا الجديد ولم ندرب رجالها على أساليب القتال الحديثة.."[٢٩] .

الصراع الريفي ـ الفرنسي:

بدأ الصدام الريفي ـ الفرنسي في أوائل نيسان ـ ابريل ـ من عام ١٩٢٥، بعد أن فشلت محاولات حكومة الريف في تجميد الموقف مع الفرنسيين في الجبهة الجنوبية للتفرغ لمواجهة الاسبان في الشمال. ففي تلك المرحلة أدرك المارشال ليوتي أن منطقته بني زروال هي المركز الملائم لضرب حكومة الريف، وذلك لأن بعض قبائلها قد ارتبطت بالفرنسيين. كما أن منطقة بني زروال تحتل موقع الزاوية بين منطقتي الريف وجبالة[٣٠] . انتشرت القوات الفرنسية على طول خط ورغة تنفيذا لخطة المارشال ليوتي والتي تقضي كذلك بالاسراع في القضاء على ثورة الريف بأقصر مدة ممكنة، كما عمل ليوتي على تعزيز قواته العسكرية بين فاس ومكناس وتازة، من خلال النجدات العسكرية التي كانت تصل بواسطة السكة الحديد من الجزائر وفرنسا. حيث وصلت من الجزائر اثني عشر كتيبة من المشاة وأربع بطاريات للمدفعية الخاصة بالجبال، وبلغ عدد القوات الفرنسية نحو (٧٢,٥٠٠) جندي، وبدأت طائراتهم ومدافعهم وحشودهم العسكرية الكبيرة تصب نيرانها على منازل بني زروال الخاضعة لسيادة الحكومة الريفية. وقد أكد مراسلوا الصحف الاسبانية آنذاك عظم القوات الفرنسية الموجودة في ضفاف نهر الورغة[٣١] .

قرر الأمير الخطابي مواجهة العدوان الفرنسي مستندا في ذلك على موقف ستراتيجي قوي حين اصبح بمقدور القوات الريفية الزحف الى ثلاث مواقع ستراتيجية في غاية الأهمية الأول موقع وزان والثاني فاس، والثالث تازة وهي

همزة الوصل بين المغرب وبقية أقطار المغربي العربي بالنسبة للفرنسيين وفي حالة الاستيلاء عليها معناه قطع خطوط المواصلات الحديدية بين كل من الرباط وفاس وبين الجزائر والاتصال بقبائل الأطلس واثارتهم ضد الفرنسيين، فضلاً عن استناده على جبهة داخلية قوية نتجت عن انضمام سكان القسم الغربي لبني زروال الذين كانوا خاضعين للسيطرة الفرنسية الى دولته. كما تمكن من استغلال حالة الارتباك والرعب في صفوف القوات الفرنسية آنذاك والتي نتجت عن ثورة معظم قبائل المنطقة داخل خطوط القوات الفرنسية واعلان انضمامها الى حكومة الريف، كقبيلة بني ورياجل والحبانية، وقبائل صنهاجة ومزناية، ورغيوة وبو عادل وأولاد أزام والجاية وبوكنالة وتازوردة وبني سليمان. واستطاعت هذه القبائل تطويق مراكز الفرنسيين واختراق خطوطهم وكان ذلك مفاجأة لهم. ويعد هذا التطور المفاجىء انتقل مركز القيادة من تارجيست الى بني بربر، لقربها من ميدان القتال، وربطت فوراً بخط هاتفي. وحضر الأمير الميدان وجال فيه وقرر بعد أن عقد لقاء مع القيادات العسكرية القيام بهجوم عام على طول الجبهة، في ١٣ نيسان ــ ابريل ــ ١٩٢٥، فتمكن من احتلال مناطق بني زروال المتعاونة مع الفرنسيين بقيادة محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي، وهرب الدرقاوي الى فاس، وتقدمت القوات الريفية في منطقة الورغة على خط لا يقل طوله عن ٨٠كم يمتد من شمال غرب وزان حتى مصب نهر الورغة واستطاعت اسقاط معظم حصون الفرنسين على ضفتي النهر، وواصلت تقدمها في المنطقة، فدخلت قبيلة الحبانية متجهة صوب سوق الأربعاء الى حيث الطريق المؤدية الى فاس. وكان عدد الريفيين المهاجمين مابين ٣٠٠٠ ــ ٤٠٠٠ مقاتل واعترف شاهد عيان من العسكريين الفرنسيين، وهو Gavardie بتفوق الريفيين وقدرتهم على محاصرة القوات الفرنسية في كل جهة ومواصلة الزحف حتى أسوار فاس، وازاء

ذلك اتخذت القوات الفرنسية الاحتياطات اللازمة لصد الهجوم الريفي في هذه المنطقة في ٢١ نيسان ـ ابريل ـ حيث انقسمت القوات الفرنسية الى ثلاثة أقسام، القسم الأول كلف بالدفاع عن مخافر الحدود نفسها، وتوزع القسم الثاني الى ثلاثة أقسام لحماية خط سكة الحديد بين الجزائر ـ تازة ـ فاس ـ مكناس ـ الرباط، أما القسم الثالث فقد بقي احتياطياً لحماية فاس(٣٢) .

مع بداية شهر أيار ـ مايو ـ تمكن الثوار من تحقيق انتصارات حاسمة على القوات الفرنسية، اذ استطاعوا اسقاط (٤٠) حصناً فرنسياً في مقدمتها حصن بيبان، عين مديونة، بو عادل أثعار، عين الجنان، اسكار، اسوال، طروال، بني دركول، وكان من نتيجة ذلك أن طلبت القيادة الفرنسية في المغرب تعزيزات عسكرية جديدة حيث وصلتس أواخر أيار ـ مايو ـ (٦) بواخر محملة بالجنود والمعدات والتحقوا فوراً الى المواقع المحددة لهم في الجبهة، فيما وصلت أربع نسافات فرنسية وهي (بامبارا) و (ناميت) و (بوكليا) الى الدار البيضاء لتقوم بمراقبة الساحل وتشديد فرض الحصار على دولة من جهة الغرب(٣٣) ، واستمرت المعارك بين الطرفين. ومع ذلك لم يستطع الفرنسيون الحصول على أي انتصار على القوات الريفية، التي أصبحت في مركز يمكن لها تهديد الجيش الفرنسي في المغرب بأسره، وعلى ذلك، اضطرب الرأي العام الفرنسي، اضطراباً جعل القيادة الفرنسية في المغرب وعلى رأسها ليوتي في وضع حرج، حتى أنهم فكروا في الانسحاب من المنطقة كلها بعد أن هدد الريفيون تازة، وعلى أثر هذا الموقف الفرنسي، فقد وصل بانيلفي في ١٠ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٢٥ لتقصي الحالة الحربية لقوات فرنسا، وصرح مؤكداً ضرورة القضاء على ثورة الريف باستخدام كل الوسائل التي تضمن النجاح في ذلك وخاصة المدفعية والطائرات(٣٤) ، والى شيء من هذا يشير المؤرخ الفرنسي جوليان بأن الاستعداد الفرنسي

لمواجهة الانتصار الريفي، "كان بداية أصعب حرب استعمارية قامت بها فرنسا"[٣٥] .

تأزم الموقف الفرنسي بشكل اكبر في المدة مابين ٢٦ حزيران – يونيو – و٦ تموز – يوليو – في قطاع تازة، فقد حاول الريفيون الوصول الى المناطق التي لم تكن قد خضعت للنفوذ الفرنسي والتي كانت تقع جنوب هذه المدينة، ويصلوا كذلك الى منطقة الأطلس التي لم تكن هي الأخرى خاضعة لهم، وازاء الضغط الريفي اضطر الفرنسيين الى اخلاء تازة من الأهالي الأوربيين حتى تتمكن من الحصول على حرية العمليات الحربية، ونشبت معركة في تازة أدت الى هز الرأي العام الفرنسي وبشكل أجبر الحكومة على تغيير قياداتها، وأن تبدأ بعمليات واسعة النطاق لتحول دون اتحاد الأطلس مع الريف، لئلا تنقطع الصلة بينهم وبين بقية المغرب العربي.

لقد حصل الريفيون، خلال حروبهم مع الفرنسيين والتي دامت قرابة الثلاثة أشهر على اعداد كبيرة من المدافع والرشاشات والبنادق والقنابل اليدوية، كما استولوا على معدات حربية وطبية، ووقعت بأيديهم اعداد من الأسرى الفرنسيين والسنغاليين[٣٦] .

ومع هذا، فقد حرصت القيادة الريفية على ابقاء الجسور مع الفرنسيين، فأعربت عن رغبتها في احلال السلام والعودة الى سياسة المفاوضات. ففي حزيران – يونيو – من عام ١٩٢٥ أرسل امحمد الخطابي رسالة الى مجلس النواب الفرنسي اكد فيها على ان الفرنسيين هم الذين بدأوا العدوان، وان الشعب يقاتل دفاعاً عن حريته وهو "لا يقاتل الا عن واجب ولا يدافع الا عن حق ولا يبتغي من كل ذلك الا أن يعيش كالأمم حرية واستقلالاً ومع مجاوريه بالمسالمة والوئام..." وأدان فيها عدوان الفرنسيين وتحرشاتهم واطماعهم في المنطقة

وعزوفهم عن التفاهم وقال "انهم لو أعارونا التفاتاً وحصل حسن التفاهم لم نقع في مثل ماوقعنا فيه من الحرب والخراب، ولأمكننا أن نعيش بالصداقة والصفاء مع دوام المعاملة الحسنة والصداقة الودية مع كل مجاورينا" وأكد في النهاية "أن الحق لا يعدم أنصاره في كل عصر وجيل مادام في الوجود أنصاره"(٣٧) .

كما أعلن الأمير الخطابي في أواخر حزيران – يونيو – من عام ١٩٢٥ عن رغبته في التفاهم مع الفرنسيين، فقد ذكر جابرييللي Gabrielli المراقب المدني الفرنسي في تاوريرت، وكان شديد الاهتمام بأحداث الريف، أنه قابل الأمير الخطابي وأكد له بأنه يأسف للوضع الحالي بين الريف وفرنسا وانه كان دوماً تملؤه الرغبة في السلام وأنه سعى الى التفاهم معها وانه لايزال مستعداً لذلك على أن لا يغيب عن البال طموح الشعب الريفي وتطلعه نحو التحرر والاستقلال، وأشار الى أن قيام الصراع مع الفرنسيين كان بسبب عدوانهم على مناطق بني زروال وقصفها بالطائرات للقوات الريفية هناك في وقت لم تهاجم هذه القوات أي مركز فرنسي. كما أشار الأمير الى فرض الفرنسيين الحصار على الريف. ان كل هذا يشير كما قال الأمير الخطابي الى أن سلطات الحماية الفرنسية تتخذ موقفاً معادياً من الريف وأن سبب كل هذه الأحداث هو رغبة فرنسا في احتلال الريف، ورغم ذلك فانه لايزال مستعداً للصلح، وأكد أن لا سبيل الى ذلك الا بأن تعترف فرنسا باستقلال الريف وهو الشرط الأساسي الذي لاجدال فيه...(٣٨) .

ان محاولات الحكومة الريفية تلك لم تكن تعني ايقاف القتال الذي استمر حتى أواخر تموز – يوليو – ومما ساعدها على ذلك حالة الالتفاف والتضامن الشعبي معها. وقد تمثل ذلك في انضمام الكثير من القبائل الشمالية لتازة وهي التسول والبرانس وكزناية. لذلك قرر الريفيون التقدم لتحرير المدن المغربية أمثال فاس وتازة ووزان، الا أن الأمير عدل عن ذلك بالرغم من امكانية تحريرها، ومطالبة

القبائل المحيطة بها بدخول القوات الريفية الى مناطقهم، لمؤازرتهم على سحق الجيش الفرنسي. وقد تم ذلك بسبب خشية الأمير من قيام بعض القبائل بمهاجمة المدن بعد انسحاب الفرنسيين منها الأمر الذي قد ينجم عنه وقوع بعض حالات النهب والسلب، هذا فضلاً عن خوفه من تدميرها من قبل القوات الفرنسية وخاصة مدينة فاس لكونها مشعل العلم، حيث كان يعلم بأن الفرنسيين لا يتركونها الا بعد أن يعرضونها للخراب بوسائل الابادة الجهنمية[٣٩] ، ورغم هذه التبريرات الا أن ذلك كان خطأ كبيراً، اذ كان من الممكن انهاء الوجود الفرنسي، وقد أشار الى ذلك ادريس بن الأمير الخطابي، حينما قال أن أباه كان يعتقد أن تقصيره عن دخول فاس هو احدى أخطائه الكبيرة[٤٠]

أنشأ الأمير الخطابي خطاً دفاعياً يمتد بين ناحية وزان الى ناحية قبيلتي مطالسة وبني بو يحيى، أما في الشمال فقد اتخذ موقفاً هجومياً من الأسبان فقد رأى أن الدفاع ضمن المدى البعيد قد يستنزف امكانات المجاهدين القتالية لذلك استعرض جميع المشاكل مع القيادة الريفية وقرر تأكيده ارجاء تحرير المدن المغربية الخاضعة للحماية الفرنسية والقيام بالهجوم على المراكز الاسبانية الموجودة بالقرب من مدينة طنجة كبني مصور والفحص وغيرها قصد احتلال مدينة طنجة التي يسكنها عدد من رعايا الدول الأجنبية، وربما أراد من خلال ذلك احراج هذه الدول لكي تتدخل في حل القضية المغربية. وفعلاً استطاعت القوات الريفية الاستيلاء على اربعة مراكز اسبانية جوار طنجة خلال اسبوع واحد[٤١]. ويبدو أن الأمير وهو في صراعه مع الفرنسيين أراد استغلال ضعف الموقف الاسباني في هذه المرحلة ومحاولة اخراج اسبانيا من حلبة الصراع بالقضاء على وجودها في شمال المغرب للتفرغ للجبهة الجنوبية مع الفرنسيين. الا أن الاتفاق

الفرنسي ـ الاسباني، كما سيأتي ذكره عجل في عـودة الاسبان الـى موقـف الهجوم، وبالتالي الحصول على بعض المكاسب وبداية رجحان مـيزان القـوى لصالح المستعمرين.

الاتفـاق الفرنسـي ـ الاسـباني:

ان تدهور موقف الفرنسيين في تلك الفترة وهزائم الاسبان أمام القـوات الريفية في الشمال أدى الى لقاء فرنسي ـ اسباني حيث قامت بعض الشـخصيات الفرنسية بزيارة مدريد، وكان ذلك يعني أن فرنسا هي التي بدأت بتنفيذ الخطـوة الأولى للعمليات الحربية ضد ثورة الريف فيما كان الاسبان مستعدون فـي ذلـك الوقت أيضاً لقبول فكرة التعاون مع فرنسا، وشعر الطرفـان بتقـارب المصـالح والاتجاه وضرورة توحيد قواها. وسرعان مارحبت اسبانيا بمبادرة فرنسا ووافقت على عقد مؤتمر في ١٧ حزيران ـ يونيو ـ استمر في اعماله حتى ٢٥ تمـوز ـ يوليو ـ من عام ١٩٢٥. كما جرى لقاء بيـن الجـنرال بريمـودي ريفـيرا والمارشال بينان في آب ـ مايو ـ من العام نفسـه، حيـث وضعـت اللمسـات الأخيرة على الاتفاقيات المبرمة بينهما ضد الثورة الريفية[٤٠] .

وقع الطرفان الفرنسي والاسباني عدة اتفاقات اقتصادية وسياسية وعسـكرية للعمل بصورة مشتركة بهدف القضاء على ثورة الريف. وقد نص الاتفـاق الأول المنعقد في ٢٤ حزيران ـ يونيو ـ على وضع رقابة بحرية مشتركة على معظـم السواحل المغربية وتشمل على جزء كبير من سواحل المنطقة الخاضعـة للنفـوذ الفرنسي وسمح هذا الاتفاق للسفن الحربيـة الاسـبانية بالالتجـاء الـى بعـض

الموانيء الجزائرية كما سمح للسفن الفرنسية بالالتجاء لبعض الموانيء الخاضعة للنفوذ الاسباني للتمون منها. وقد ابلغ هذا الاتفاق الى الدول الاوربية بعد يومين من التوقيع عليه. وكان هذا الاتفاق يمثل الخطوة الأولى في عمليات تطويق الأمير من جهة البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. وتلى ذلك التوقيع على اتفاق جديد بين الطرفين، وهو مكمل للاتفاق الأول ويقضي بمنع تهريب الأسلحة والعتاد الى دولة الريف وعن طريق البر. وفي ١١ تموز ـ يوليو ـ تعهد الطرفان بعدم عقد صلح منفرد مع الأمير، وكانت هذه أخطر الاتفاقات السياسية لمواجهة الأمير وأشدها خطراً عليه لأنها غلقت عليه أبواب القيام بصلح منفرد مع أي منهما وبالتالي التفرغ لمواجهة الأخرى. وفي ٢١ تموز ـ يوليو ـ عقد الطرفان اتفاقاً لمراقبة التهريب من منطقة طنجة الخاضعة للحماية الدولية، وطلبت اسبانيا في هذا الاتفاق حق تعقيب الثوار الى داخل هذه المنطقة، وهددت باعادة فتح مسألة طنجة التي كانت الدول الأوربية قد أنهتها بشكل دبلوماسي في اتفاق ١٨ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٢٣، الا أن فرنسا نصحت اسبانيا بعدم تغيير اتفاق طنجة في ذلك الوقت حتى لا تثير مخاوف انكلترا. وكان من نتيجة هذا الاتفاق أن شاركت انكلترا في عملية مراقبة سواحل المنطقة الدولية وأرسلت أربع سفن حربية لذلك. وعلى أية حال فقد تعاونت هذه الأطراف الاستعمارية الثلاثة في تضييق الخناق على دولة الريف، وتأكيد تضامنها الاستعماري في مواجهته. ولما كان من الصعب في عمليات الحصار البحري أن تقضي بمفردها على مقاومة الأمير لأنه لم يعتمد في مقاومته إلى أية امدادات خارجية من جهة البحر، فان فرنسا وأسبانيا استمرتا في وضع اتفاق آخر في أواخر تموز ـ يوليو ـ وضعت من خلاله أسس التعاون العسكري بين الطرفين. وقضى هذا الاتفاق

بالسماح لطائرات كل من الطرفين بالتحليق فوق منطقة نفـــوذ الأخـــرى لتعقـــب الثوار، اضافة الى اتفاق مبدئي على حدود منطقتي نفوذ كل منهما(٤٣) .

كان مما تم الاتفاق عليه وضع شروط يعقد الصلح على أساسها وتعــــرض على الأمير، ونصت هذه الشروط على مايأتي:

١ ــ قبول الاحتلال الاسباني لقطاع معين قبولا صريحا.

٢ ــ تبادل الأسرى.

٣ ــ اصدار عفو عام عن الأعمال العسكرية والسياسية التي ارتكبت بعـــد ١ كانون الثاني ــ يناير ــ ١٩٢٥.

٤ ــ تقوم قوة من البوليس يحدد عددها بالمحافظة على الأمن فـــي أراضـــي القبائل.

٥ ــ اطلاق الحرية التجارية في هذه المنطقة وفي المعاهدات الدولية، وخاصــة النواحي الجمركية.

٦ ــ حظر المتاجرة بالأسلحة والذخائر في هذه المنطقة.

ان هذا الاتفاق تجاهل سلفا الأمير في دولته وخاطب الشعب المغربي كقبــائل وليس كشعب فاضح لسلطة مركزية. اضافة الى صراحة الاتفاق في تأكيد عـــودة الاحتلال الاسباني، وهذا ما يرفضه الشعب وحكومته الذي قاتل منذ خمسة سنوات من أجل حريته واستقلاله. وعلى هذا فعندما عينت الحكومتان مندوبيهما لعـــرض هذه الشروط على الأمير الخطابي، رفض اســـــتقبالهما مـــالم تقبـــل الحكومتـــان الفرنسية والاسبانية الاعتراف سلفا باستقلال الريف(٤٤)، وأكد رفضه الدخول فـــي أية مفاوضات مع الاسبان والفرنسيين مالم يحصل على ضمان مبدئي باســـــتقلال

الريف. أما الفرنسيون والاسبان فقد أصرا على رفضهما الاعتراف باستقلال الريف مؤكدين ضرورة تثبيت معاهدة الحماية لعام ١٩١٢، وقد أشار بانليفي الى أن اية محاولة لمناقشتها أو للسماح بعرضها "ستتيح بشكل اكثر خطورة مما كانت عليه مشكلة المغرب بأجمعها"(٤٥) . وكان ذلك تأكيداً واضحاً لغرض الحماية الاستعمارية وضرورة القضاء على هذه الحركة التحريرية لضمان نفوذهما في هذا البلد أو في غيره من المستعمرات. ومنذ هذه الفترة كان على ثورة الريف أن تواجه تحالفاً للقوى الاستعمارية ضدها(٤٦) .

سقوط جمهورية الريف:

أدركت القيادة في جمهورية الريف أن الاسبان والفرنسيين قد قررا القضاء على حركتهم التحريرية فعمل الأمير الخطابي على اطلاع ممثلي الشعب والقادة العسكريين على تطور الموقف المعادي، ومناقشة الخطة التي ينبغي السير عليها لمواجهة ذلك، فاستقر رأيهم على عقد مؤتمر خاص في العاصمة اجدير تحت رئاسته.وتضمن المؤتمر عن وضع قواعد عسكرية جديدة وشاملة لمواجهة الموقف العسكري وأبرزها مايأتي:

تقسيم ميدان المواجهة العسكرية الى قسمين: أولهما، الميدان الشرقي ويضم القطاع الاسباني الشرقي في السواحل الى جزيرة بادس ويمتد في الشرق والجنوب الشرقي من سيدي علي بن داود الى منطقة تازة ويتولى الأمير قيادة هذا الميدان، وثانيهما، الميدان الغربي، ويضم القطاع الاسباني الغربي من خط

غمارة تطوان وضواحي طنجة ويمتد الى الجنوب الغربي من صنهاجة الى الميدان، ويتولى شقيق الأمير امحمد الخطابي هذا الميدان(٤٧) .

أما الأسبان والفرنسيين فقد قاما بتنفيذ خطتهما المشتركة للقضاء على جمهورية الريف في أواخر آب – أغسطس – من عام ١٩٢٥ بالقيام بهجوم واسع النطاق في الجبهة الشرقية، وتمهيدا لذلك تقرر أن تنزل اسبانيا جيشا في شواطىء الحسية للهجوم من هناك على اجدير عاصمة الجمهورية، ثم يواصل الزحف نحو الجنوب، فيما يقوم الجيش الفرنسي في الوقت نفسه بهجوم كبير من الجنوب باتجاه كيفان فيزحف نحو الشمال حتى يتصل بالجيش الاسباني فيوحد الطرفان حركتهما العسكرية لاحاطة بعض الجبال ولقطع خطوط اتصالهم فيضطروا الى الاستسلام. أما في الجبهة الغربية فقد صمم الفرنسيون على القيام بهجوم كبير من شمال وزان على أن يهجم الاسبان على القصر الكبير فيزحفون حتى يتصلوا بالفرنسيين على ضفاف نهر لوكرس، وبذلك يستطيعون خرق البلاد شرقا وغربا ويحصدون الريفيين في منطقة محدودة، وتؤدي الى اندحارهم. وقد وصل الاصرار الاستعماري للعدوان المكشوف على جمهورية الريف الى حد تصريح الجنرال ريفيرا لمراسل جريدة "لانترانسيجان" الفرنسية نقلته جريدة السعادة (المغربية) حيث قال: "... وفي عزمنا ان تقضي على عبد الكريم القضاء المبرم قبل حلول فصل الشتاء، اذ ليس المقصود جبّ جزء أو أجزاء من الأفعى بل الواجب يقضي بسحقها سحقاً كلياً... ولذلك يتحتم أن نتستأصل جرثومة الخطر الريفي، وهذا ماسيكون في أمد غير بعيد..."(٤٨) .

بدأت الجيوش الاسبانية والفرنسية في ٩ أيلول – سبتمبر – بحملاتهما المشتركة، وفي ١٥ منه بدأ الزحف على نطاق واسع بجيش قدرته بعض

المصادر بـ (٢٨٠) الف جندي، في حين لم يتجاوز عدد الجيش الريفي عن ستين الف مقاتل[٤٩] ، وقد بدأت البوارج الحربية تظهر عند السواحل الشمالية وقصدوا بها مرسى الحسيمة للهجوم على اجدير. فيما بدأ الجيش الفرنسي بالهجوم من منطقة كيفان[٥٠] ، ومما هو جدير بالذكر أن اثني عشر طياراً امريكياً قد تطوعوا بقيادة الكولونيل سويني كمرتزقة في هذه الحرب الى جانب القوات الفرنسية ضد قوات الجمهورية الريفية، وقد اعترف المارشال ليوتي بدور هؤلاء المرتزقة الاميركان، وقيامهم بأكثر من (٩٥٠) عملية حربية ضد القوات الريفية[٥١].

دارت بين الجانبين معارك شديدة في الشمال والجنوب، فقد هاجمت القوات الاستعمارية سواحل الحسيمة واستخدمت المدافع الثقيلة والخفيفة وعدد من أسراب الطائرات الا أن الأسبان لم يستطيعوا تحقيق هدفهم في التقدم نحو اجدير، نظراً للمقاومة الشديدة التي أبداها المقاتلون الريفيون، وتكبد الأسبان خسائر فادحة في هذه المعركة وانسحبوا الى ناحية تمسامان لمرسى ادريس، ودارت هناك معركة ثانية، فانسحب الأسطول الاسباني. ثم بدأ الهجوم الثاني الذي استمر طوال شهر أيلول ــ سبتمبر ــ ولم يستطع الاسبان تحقيق انتصار حاسم بالرغم من استخدامهم للطائرات وللغازات السامة. وبالرغم من تناقص السلاح لدى القوات الريفية واستخدامها في بعض الأحيان للسلاح الابيض والقنابل اليدوية في هذه المواجهة، الا أنهم ومع بداية تشرين الأول ــ اكتوبر ــ استطاعوا التقدم من شاطيء البحر بمسافة تراوحت بين (٣ ــ ٤) كم، واستطاعوا احتلال اجدير عاصمة الجمهورية بعد مقاومة شديدة وساعدهم على ذلك انشغال القوات الريفية بصد الزحف الفرنسي في الجنوب من جبهات وزان وكيفان، فاضطر الأمير الى

نقل مقر قيادته الى تارجيست[٥٢] وبسقوط اجدير حرمت جمهورية الريف من مصدر كبير للمواد الغذائية، فقد كانت تقع في منطقة تتمتع بالكثير من البساتين والأراضي الخصبة[٥٣] .

انتشرت أنباء سقوط العاصمة في ارجاء البلاد وعلى أثر ذلك القت الطائرات الاسبانية منشوراً يتضمن اعطاء الثوار مهلة ثلاثة أيام للاستسلام ووعدوا بالعفو عن جميع الذين يلقون السلاح. الا أن المقاومة الريفية استمرت في تصديها للاحتلال الاسباني. فقد اتخذ الأمير وضع الدفاع في جبهات اجدير ــ وزان، فيما شرع بمهاجمة الاسبان في جبهة تطوان والفرنسيين في جبهة كيفان، فتمكن من صد هجماتهم وايقافهم عند الحدود التي وصلوا اليها الى أن بدأ موسم الأمطار في تشرين الثاني ــ نوفمبر ــ، حيث اصبح من المستحيل على الجيوش المتحالفة اجراء الحركات العسكرية في بلاد الريف، وأخذ الطرفان وضع الدفاع أمام القوات الريفية طيلة فصل الشتاء[٥٤] ، ويذكر أمين سعيد عن بعض النقاد العسكريين الأجانب الذين علقوا على الهجوم الفرنسي ــ الاسباني المشترك بأنه لم يحقق لقواد الجيش ماكانوا يطمحون في بلوغه بسبب مقاومة المجاهدين وصمودهم، وقالوا ايضاً، ان نزول الاسبان في خليج الحسيمة زاد موقفهم دقة واضطرهم الى توزيع قواتهم، مما ساعد قيادة الريف على نقل جزء من قواتها الى منطقة تطوان حيث هاجمت مراكز الاسبان واضطرتهم الى استقدام نجدات عسكرية جديدة كما اخفق الفرنسيين في جبهتي تازة ووزان، فلم يسجلوا تقدماً يذكر رغم مابذلوه من الجهود والضحايا، واعترف بانليفي في ١٥ تشرين الأول ــ اكتوبر ــ عام ١٩٢٥ امام مجلس النواب الفرنسي بأن نفقات هذه الحملة

كلفت فرنسا (٩٥٠) مليون فرنك، وان خسارتهم من القتلى بلغت ١٦٧ قتيـــل و ٥٣٠٦ جريح[٥٥] .

وعلى هذا فان الطرفين الاستعماريين قد فشلا في القضاء على قوات الريـــف وفي شق البلاد الى قسمين ولم يؤد الموقف العسكري الى نتيجة حاسمة بـــالرغم من سقوط اجدير، فقد استمر الوضع العسكري على حالة الدفـــاع طيلـــة فصـــل الشتاء حتى بداية أيار ــ مايو ــ ١٩٢٦، حيـــث بـــدأ الطرفـــان الاســـتعماريان هجومهما الكاسح ضد الجمهورية الريفية.

لقد كان لظروف أوضاع الريف الداخلية خلال الفترة الواقعة بين أواخر عـــام ١٩٢٥ومطلع عام ١٩٢٦ أثر كبير في ترجيح كفة القوات الاسبانية والفرنســـية المتحالفة، اذ أن عدم التكافؤ بيـــن الطرفيـــن فـــي النواحـــي الاداريـــة والفنيـــة والتنظيمية أدى الى عجز القوات الريفية عن الاستمرار فـــــي التحـــدي للضغـــط الاستعماري وقد يكون من المناسب أن نورد أبرز مظاهر العجز الريفي في تلـــــك المرحلة بمايأتي:

١ ــ ان صمود المقاومة الريفية واستمرارها بوجه دولتين اوربيتين لمدة خمس سنوات متوالية وبدون توقف وبنفس الامكانات البشـــرية القـــادرة علـــى حمـــل السلاح، أدى الى تناقص حجم القوات المؤهلة للقتـــال، وخاصـــة فـــي المرحلـــة الأخيرة من أيام الجمهورية، ومما يؤكد ذلك ماذكره معاصر للأحداث وهو محاولة الأمير الخطابي بعد واقعة الحسيمة، اطلاق سراح المســـجونين ليســـاهموا مـــع اخوانهم في القتال ضد الغزاة[٥٦] .

٢ ــ انشغال القوات الريفية في القضاء على بعض حركات التمـــرد القبائليـــة (بني مصباح ــ الانجارا) في أواخر عام ١٩٢٥، وكان لذلك أثر كبير في زعزعـة

الموقف العسكري للمقاتلين الريفين، وقد أشار الى ذلك الخطابي بنفسه حين قال: "كنت في موقف محفوف بالاضطرابات والمخاطر بسبب ثورة بعض القبائل"(٥٧)

٣ ـ الموقف السلبي الذي وقفه ممثلي الطرق الصوفية (الدرقاوية ـ الوزانية ـ الكنانية) وتعاونهم مع الفرنسيين والأسبان في أواخر عام ١٩٢٥ ومطلع عام ١٩٢٦ كان له دور كبير في تثبيط العزائم واثارة الرأي العام ضد الثورة الريفية. ويمكن الاشارة بصورة خاصة الى مجهودات محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي وحميد الوزاني وعبد الحي الكناني، فقد استصدروا فتوى دينية ادعوا فيها "أن القرآن لا يدعو الى مقاومة القوات المسيطرة" وروجوا الدعاية عن الأمير بأنه "خارج على القانون"(٥٨).

٤ ـ كان للحصار الاقتصادي الذي فرضه الفرنسيون على منطقة الورغة التي تعد المصدر الوحيد للحبوب في منطقة الريف، فضلا عن انشغال الفلاحين الريفين بالقتال وتعذر قيامهم بواجبات الحراثة وزراعة الأراضي، أن أدى الى ندرة الأقوات وارتفاع الأسعار، وانتشار المجاعة والأمراض مع تناقص الأدوية(٥٩) .

وفضلا عن الظروف الداخلية، فان ما أحاط بالثورة الريفية من تحديات خارجية، ساهمت بشكل أو بأخر في اضعاف المقاومة الريفية، فقد كان لدخول الفرنسيين الصراع اثر كبير في توزع جهود الأمير الخطابي، وتبعثر قواته، واستنزاف امكانات قواته القتالية، وفوق ذلك فان عدم تكافؤ الطرفين المتحاربين، كل ذلك أدى الى اضعاف موقف الأمير الخطابي واضطراره الى قبول التفاوض مع المحتلين اذ أعلن في بداية ربيع ١٩٢٦ عن موافقته على التفاوض أملا في الاحتفاظ بنوع من الاستقلال للريف.

ان الطرفين الاستعماريين استغلا مبادرة الأمير وظروف البلاد الصعبة لفرض شروطهم عليه، لذلك فقد أوعزوا لممثل الصليب الأحمر الدولي كوردن كاننك canning بأن يكون واسطة بينهم وبين الأمير الخطابي فوصل ترجيست والتقى بامحمد الخطابي شقيق الأمير وعرض عليه رغبة الحكومتان الفرنسية والاسبانية للوصول الى اتفاق يضي بمنح الريف نوعاً من الحكم الذاتي، وقد تضمن مشروع الاتفاق المعروض بعض القيود منها:

١ ـ الموافقة على الحكم الذاتي تحت السيادة الروحية للسلطان.

٢ ـ ترك الباب مفتوحاً للتجارة والتعريفات الكمركية المقررة في المغرب.

٣ ـ انشاء قوة من الشرطة لحماية الأمن في البلاد.

٤ ـ عدم دخول الريف في أية معاهدة مع الدول الأجنبية على أن تمثل اسبانيا وفرنسا مصالح الريف الخارجية.

٥ ـ تكون تطوان عاصمة الحكم الذاتي، ويلقب حاكم المنطقة بلقب الأمير.

٦ ـ تشمل منطقة الحكم الذاتي قبائل نهر ورغة وجبالة اضافة الى قبائل الريف.

ومع أن الأمير الخطابي وافق على البنود اعلاه، خلال مقابلته كاننك في تمسامان، الا أنه أكد له بأن الريفيين سوف لن يلقوا السلاح، وانهم قد يلجأون الى جبال غمارة وجبالة لكي يديرون من هناك حرباً (للعصابات).

كما انصرف في الوقت ذاته الى اعادة تنظيم قواته وتحصين مواقعه الدفاعية استعداد لاستئناف القتال. وأثناء اتمام المباحثات بين كاننك وحكومة الريف، سقطت حكومة بانليفي وخلفه في رئاسة الوزارة بريان Briand وزير خارجيته

الذي حاول التنكر لمساعي كاننك وأصر على سحق القوات الريفية والقضاء على الجمهورية قضاء كاملاً. وعلى هذا الأساس سافر المقيم العام الفرنسي سنيغ الى باريس في شباط ــ فبراير ــ ١٩٢٦، واجتمع الى رجال حكومته وحثهم على فتح باب المفاوضة بين الطرفين ومهدداً بالاستقالة في حالة رفض مطلبه هذا، فعاد الى الرباط واتصل بالأمير الخطابي طالباً ارسال مندوبين عنه للبحث في شؤون الصلح، فأوفد الأمير القائد حدو فاجتمعا وتباحثا واتفقا على موعد عقد مؤتمر في وجدة(٦٠).

وفي نيسان ــ ابريل ــ من عام ١٩٢٦، تم عقد مؤتمر الصلح بين الطرفين الاسباني والفرنسي من جهة وممثلي الحكومة الريفية من جهة أخرى، وقد ضم الريفي محمد أزرقان وزير الخارجية وعضوية حد ومحمد البقيوي واحمد شدي الورياغلي، ومثّل الفرنسيين الجنرال سيمون قائد الفرقة الفرنسية ويونسو رئيس شعبة الشؤون الافريقية في وزارة الخارجية الفرنسية والقومندان أدى كلو الموظف في الاقامة العامة في الرباط وضم الوفد الاسباني لويس البثبان رئيس قسم المغرب في وزارة الخارجية، والقائد اجيلار والكابتن دون سيكل.

ان مساعي الاسبان والفرنسيين في الدعوة الى عقد مؤتمر للصلح بين الطرفين لم تكن صادقة وانما كانت محاولة لشق الوحدة الريفية وزرع التناحر بين قادتها من جهة ووضع العراقيل أمام مفاوضات الصلح لتبرير موقف مسبق قائم على سحق الجمهورية والقضاء عليها من جهة أخرى. وللدلالة على ذلك أن الطرفين الاستعماريين دعوا بعض زعماء القبائل لحضور مؤتمر وجدة كممثلين عن قبائلهم ليتصلوا بهم على انفراد ويغروهم بالتفاهم معهم. وفضلاً عن ذلك مناورة الفرنسيين باذاعة بعض قرارات مجلس الوزراء الفرنسي، المتخذة قبل انعقاد مؤتمر وجدة والتي نضمنت مايأتي:

١ ــ تعترف القبائل الريفية وقبائل جبالة لسلطة سلطان المغرب وتعدل عن فكرة تعيين ممثلين لها في البلاد الأجنبية.

٢ ــ يمنح الريف استقلالاً ادارياً مع بعض الامتيازات الاقتصادية.

٣ ــ نزع السلاح من الريفيين وتجريدهم من المدافع والبنادق والذخيرة ويستعاض عن الجيش بتشكيلات عسكرية تتولى اسبانيا وفرنسا مراقبتها.

٤ ــ ترحيل الأمير الخطابي عن الريف[٦١] .

يبدو من تلك الشروط أن الطرفين الاستعماريين عزما على فرض سيطرتهما على منطقتي نفوذهما في المغرب ومعاملة الشمال المغربي بوصفه قبائل منفصلة وليس كشعب خاضع لسلطة مركزية. فضلاً عن تصوير نضال هذا الشعب على أنه خروج على سلطة السلطان من أجل تبرير محاولاتهم للقضاء على دولة الريف. فكان ذلك تمهيداً لفرض الشروط الاستعمارية على وفد الجمهورية الريفية في مؤتمر وجدة.

في ٨ نيسان ــ ابريل ــ ١٩٢٦، تم افتتاح المؤتمر في معسكر بريو في وجدة وسلم الجنرال سيمون شروط الصلح لمحمد أزرقان ليقدمها الى الأمير الخطابي، ونصت هذه الشروط على:

١ ــ اقصاء الأمير الخطابي وأسرته عن الريف.

٢ ــ تقديم الطاعة للسلطان يوسف.

٣ ــ نزع السلاح من رجال الريف.

٤ ــ اطلاق سراح جميع الأسرى الاسبان والفرنسيين.

٥ ــ احتلال عدد من النقاط الستراتيجية[٦٣] .

أما الرد الريفي على تلك الشروط فقد ورد في مذكرة أعدها الأمير جاء فيها:

"١ ـ لاجدال في اننا معترفون بسلطة صاحب الجلالة الجالس على عـرش المغرب، ونحن ننتهز هذه الفرصة لنجدد ولاءنا له، ونـود أن نعلـن أن مسـألة كهذه، لم تخطر لنا على بال كي تطرح على بساط المناقشة، اذ لا تزيد على كونها سفسطة ودسيسة جديرة بالاعتراض عليها، لأننا لم نفكر قطعاً المطالبة بـالعرش، وإذا قبلنا الرد عليها فرغبة منا في اقفال هذا الباب.

٢ ـ لا مانع لدينا من تبادل الأسرى لأنه عمل انساني يتفق مـع المبـادىء التي نسير عليها.

٣ ـ اما بشأن خروجنا من الريف أنا وشقيقي فيمكن أن نقبـل أنـا وهـو اذا أعطي للحكومة الريفية ضمان كاف بالابقاء على كيانها دولة مستقلة بعيدة عـن كل احتلال عسكري أو تدخل اجنبي يمس هذا الاستقلال مـع الاعـتراف بسـلطة السلطان الروحية.

٤ ـ وأما بشأن نزع السلاح واحتلال المناطق الاستراتيجية فنحن نرفضـها رفضاً باتاً قبل الحصول على ضمانات جدية"(٦٣).

استمرت المباحثات بين الطرفين عدة أيـام، وأخـيراً اشـترط الفرنسـيون والاسبان للشروع في المفاوضة، اطلاق سراح الأسرى قبـل كـل شـيء، ثـم الاستمرار بالمفاوضات حول بقية البنود. الا أن الوفد الريفي رفض هذا الشـرط قبل الشروع في مناقشة البنود الأخرى، فرفـض الطرفـان الاسـتعماريان ذلـك وأعطوا للوفد الريفي مهلة لمدة ثلاثة أيام للموافقة على ذلك، والا فـان الحـرب سوف تستأنف ضدهم، وعلى أثر ذلك عقد الأمير الخطابي مؤتمراً عاماً فـي ٢٦ نيسان ـ ابريل ـ ضم جميع المسؤولين المدنيين والعسكريين، فرفضـوا ذلـك، واختاروا بالاجماع المقاومة حتى النهاية، لأن هـذه الشـروط لا تتفـق وهـدف

الاستقلال وانها ضد مصلحة الوطن الساعي الى الحرية والقضاء علـــى النفـوذ الأجنبي[٦٤].

وفي الوقت نفسه وقبل سماع الرد الريفي. كان الطرفان الاسـتعماريان، قـد استكملا استعداداتهما العسكرية والتموينية وقاما فـي مطلـع أيـار ـ مـايو ـ بالهجوم على بعض المواقع الريفية في الشمال والجنـوب. وبينمـا دارت رحـى المعارك آنذاك أظهر الطرفان الاستعماريان من جديد رغبتهما فـي تمديـد أجـل الهدنة لغاية ٧ أيار ـ مايو ـ لمعرفة الرد الريفي على شروط الصلح وكانت هذه العملية محاولة لتضليل الرأي العام لادانة الموقـف الريفـي واظـهاره بمظـهر الرافض لأي تسوية لتحقيق السلام وأعلنت الحكومتـان الاسـتعماريتان انـهما ستقومان بالهجوم العام اذا لم يأت الجواب الريفي. ومع فجر ٨ أيار ـ مـايو ـ شرعت القوات الاستعمارية بهجوم عام على خط لا يقل طوله عـن (٤٥٠) كـم مزودين بأحدث الأسلحة، وذكر أن عدد القوات الاستعمارية المهاجمة بلـغ اكـثر من (٤٢٥) الف جندي (وبضمنهم ١٠٠ الف اسباني)، أما قوات الثورة الريفيـة فلم يكن عددها يزيد آنذاك بضعة آلاف مقاتل، لقد نجح الغـزاة بثـلاث حمـلات عسكرية ضخمة من السيطرة على حصن ترجيسـت فـي ٢٣ أيـار ـ مـايو ـ ١٩٢٦ الذي كان الأمير قد اتخذه مقرا له بعد سقوط اجدير. وبعـد ثلاثـة أيـام اضطر الأمير الى الاستسلام للفرنسيين، حيث عدوه أسـير حـرب بينمـا أعلـن الأسبان انه يستحق الأعدام[٦٥] .

وصف شاهد عيان حالة المجاهدين في تلك الفترة بقوله:

"... استأنف الأعداء هجـومهم القوي من كل جهة سواء الخطوط الفرنسية او الخطوط الاسبانية، فاضطر المجاهدون الى الانسحاب لقلة المـواد الحربيـة ... (وقد)... وصل جيش الدولتين وعلى رأسهما قائد اركان الحرب المارشال بيـان

الى حدود قبيلة بلاد ورياغل من كل الجهات... فدارت المعركة النهائية المهولة مدة ٤٨ ساعة وأخيراً اختل نظام المجاهدين... وعند ذلك انتقل الأمير الخطابي من آيت قمرا بجميع عائلته الى تماسنت ومنها الى سيدي عبدالله بن يوسف ومنه الى كمون، وكانت الجيوش الفرنسية حينذاك قد وصلت الى ترجيست التي تبعد عن كمون بنحو ٣٠ كم، كما كانت الجيوش الاسبانية وصلت الى دوار بوهم الذي يبعد عن كمون بنحو ١٥ كم، فتوقفت مقاومة المجاهدين... وامام هذه الحالة الرهيبة رأى الأمير أنه لا مفر له من القاء السلاح والاستسلام"[٦٦] .

وفي صباح ذات يوم من الأيام (٢٧ آيار ــ مايو ــ) ركب الأمير محمد عبد الكريم الخطابي فرسه مع بعض الرجال من حاشيته.. فتوجه الى ناحية ترجسيت ... وفور وصوله كتب رسالة الى السلطة الفرنسية الموجودة بترجيست يطلب فيها الاستسلام بيد الحكومة الفرنسية فقبلت منه ذلك بدون قيد ولا شرط.. فلما وصل الى ترجيست طلب من الحكومة الفرنسبة بأن تعمل عن طريق الاستعجال لحماية عائلته التي تركها بكمون وانقاذها من يد الاسبانيين حتى لايستولوا عليها حيث أنهم كانوا عازمين على الهجوم لاحتلال كمون في ذلك اليوم... وابرقت الحكومة الفرنسية الى الحكومة الاسبانية تشعرها بالكف عن الهجوم على مركز كمون حتى لا يقع الاصطدام بين الجيش الاسباني والفرنسي، ولم يسع الحكومة الاسبانية الا البقاء في مركزها ببوهم وعلامات الغضب تسيطر على وجوه حكامها حيث أن الأمير وعائلنه افلت من يدها..."[٦٧] .

لقد جاء استسلام الأمير الخطابي ليعبر عن تقدير عميق لحقيقة ماثلة وهي عدم التكافؤ بين الطرفين في العدة والعدد، وهذا جعل الاستمرار في المقاومة ضرباً من المستحيل بل هو من قبيل الانتحار الجماعي امام الآلة الحربية المتقدمة لدولتين استعماريتين وعلى ذلك فقد عبرت حالة الاستسلام عن موقف

انساني واضح تجاه الشعب وحقنا لدمائه. فقد ذكر ابو النصر أن الأمير قال: "كنت أحارب دولتين قويتين، ولم يكن لدي من الرجال غير عصبة قليلة، قليلة بعددها وأسلحتها وذخائرها، وكنت على مثل اليقين... من أن فشلي قد أصبح امرا منظورا فرأيت أن الحكمة الانسانية تقضي علي بالتسليم ورمي السلاح رحمة بسكان الريف.. أن تلم بهم ويلات حرب لم يبق فيها أمل فتذهب بالبقية الباقية منهم..."(٦٨) .

ان الوعي بالمسؤولية الانسانية تجاه الشعب لم يكن يعني خمود روح المقاومة حتى في الايام الأخيرة من شهر آيار ــ مايو ــ. فقد ذكر العربي اللوه وهو شاهد عيان أن الأمير الخطابي اثناء استسلامه في ٢٧ آيار ــ مايو ــ ١٩٢٦ كان "لا يتظاهر بالعجز عن الكفاح والمقاومة الى آخررمق"، وبقي في قبضتهم حتى بداية أيلول حين نفاه الفرنسيون مع عائلته الى جزيرة ربنيون في المحيط الهندي(٦٩) . وهكذا كان استسلام الأمير الخطابي علامة على انهيار الجمهورية الريفية وسقوطها بعد أن تحملت عبء النضال من أجل الحرية والاستقلال طيلة خمس سنوات كاملة. أما المجاهدون الريفيون فانهم، تشتتوا في انحاء البلاد بعد استسلام الأمير الخطابي.

وقد ظهرت بعض حركات المقاومة وخاصة في الشرق حين تزعم احد المجاهدين وهو احمد البقار، النضال ضد المستعمرين وحاول توحيد جهوده مع القائد احمد خريرو في المنطقة الغربية، واستمر ذلك حتى أواخر ١٩٢٧ حين استطاع المستعمرين تصفية كل حركات المقاومة وتنظيم حملة انتقامية من الذين ساهموا في الثورة الريفية، فصادروا أموال بعضهم، كما أعدموا بعضهم الآخر وألقوا بالكثيرين منهم في السجون، كما أخذوا يعملون من أجل تفكيك وحدة البلاد باثارة النزاعات الطائفية والاقليمية بقصد السيطرة واضعاف الرابطة الوطنية

وأجبروا خليفة السلطان المغربي الأمير الحسن بن المهدي، الى اصدار الظهائر ـ المراسيم ـ التي ترشح حمايتهم وتفتح البلاد امام هجرة الاسبان وتدفق رؤوس الأموال الأجنبية(٧٠) واستمر ذلك حتى استطاع الملك محمد الخامس الذي تولى العرش بعد وفاة أبيه الملك يوسف في ١٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ عام ١٩٢٧ من الحصول على استقلال المغرب عام ١٩٥٦ وبالتعاون مع الحركة الوطنية السياسية في الجنوب والشمال، والغاء الحماية الفرنسية والاسبانية باستثناء بعض الجيوب الساحلية، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ المغرب المعاصر.

مصادر وهوامش الفصل الخامس:

(١) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية، ص ص ١٠٩ ــ ١١١.

(٢) الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص ١١٥.

(٣) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية، ص١١١.

(٤) سنودارد، المصدر السابق، جـ ١، ص١٩٠.

(٥) قارن مع: عسة، المصدر السابق، ص ص ١٧٦ ــ ١٧٧؛

Youssoufi, op. Cit. Pp. 86 - 87

(٦) ابو النصر، المصدر السابق، ص٣١؛

Isoart , op. cit, p. 178

(٧) فروخ، المصدر السابق، ص ص ١٢٨ ــ ١٢٩.

(٨) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية، ص ١١٢.

(٩) يحيى، المغرب الكبير، جـ٣، ص٩٨٨.

(١٠) العقاد، المصدر السابق، جـ٢، ص٧٧.

(١١) حاول الاسبان في منتصف عام ١٩٢١ دفع الأمير الخطابي لشن الحرب ضد فرنسا باغرائه بدفع (١٠) مليون بيزتا، وسلاح وعتاد كاف لشعورهم بأنه بات يشكل خطرا

على أطماعهم في المنطقة، وكان ذلك قبل معركة أنوال، انظر: ابن عزوز، معركة أنوال، ص ص ٣٨ ــ ٣٩.

(١٢) يحيى، عبد الكريم، ص٦٢ ــ ٦٣.

(١٣) يحيى المغرب الكبير، جـ ٣، ص٩٩٠.

(١٤) ملحس، المصدر السابق، ص٧٠.

(١٥) المصدر نفسه، ص٨٩.

(١٦) العربي للوه: المنهال في كفاح أبطال الشمال، مطابع الشويخ، (تطوان ١٩٨٢)، ص٢٨٧.

(١٧) سعيد، ثورات العرب، ص٢٠٠.

(١٨) المصدر نفسه، ص٢٠١.

(١٩) يحيى، عبد الكريم، ص٦٤.

(٢٠) جريدة السعادة (المغربية) ٢٦ آيار ــ مايو ــ ١٩٢٥.

(٢١) يحيى، عبد الكريم، ص٦٩.

(٢٢) القاضي، المصدر السابق، ص١٨٠.

Bidwell, op . cit, p. 77 – 78.

(٢٣) يحيى، عبد الكريم، ص٦٤؛ لاندو، تاريخ المغرب، ص١٥٠.

(٢٤) يحيى، المصدر نفسه، ص٦٥.

(٢٥) Richard F. Nyrop: Area Handbook for Morocco, Government Printing office, (washington 1972), p. 48.

(٢٦) البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص٣٥٥؛ القاضي، المصدر السابق، ص١٨٠ ــ ١٨١.

(٢٧) يحيى، عبد الكريم، ص ص ٦٦ ــ ٦٧.

(٢٨) أمزيان، المصدر السابق، ص٣٨.

(٢٩) الخطابي، الشعب يواجه الاستعمار، جـ٢، ص١٤٣ ــ ١٤٥؛ محفوظ، عن أمزيان، ص٣٨.

(٣٠) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية، ص١١٣.

(٣١) p. de. Gavardie, ala Legton , ravue des deux mondes, (paris 1931), p. 176

سعيد، ثورات العرب، ص٢٠١؛ يحيى، عبد الكريم، ٧٤؛ جريدة السعادة، ١٩ آيـــار ــ مايو ــ ١٩٢٥.

(٣٢) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية، ص١١٣؛ البوعياشي، المصدر نفسه، جـــ٢، ص٣٥٥. ــ ٣٦٢؛ ؛ سعيد، ثورات العرب، ص٢٠٠ ــ ٢٠٣.

Gavardic , op, cit, p, 176

(٣٣) جريدة السعادة، ٢ و ٩ حزيران ــ يونيو ــ ١٩٢٥.

(٣٤) جريدة السعادة، ١٣ و ١٨ حزيران ــ يونيو ــ ١٩٢٥.

(٣٥) Gulien , op. cit, p.124.

(٣٦) يحيى، عبد الكريم، ص٧٤ ــ ٧٥.

(٣٧) انظر نص الرسالة: القاضي، المصدر السابق، ص ص ١٩٤ ــ ١٩٩.

(٣٨) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية، ص ص ١١٨ ــ ١١٠.

(٣٩) البوعياشي، المصـــدر الســابق، جـــ٢، ص٣٥٧ ، ٣٩١ ــ ٣٩٣؛ القــاضي، المصدر السابق، ص ص ١٩١ ــ ١٩٢،

Gavardie, op. cit, p. 177,

(٤٠) الجمل، المصدر السابق، ص٣٥٤.

(٤١)القاضي، المصدر نفسه، ص١٩١، ٢٠١ ــ ٢٠٢.

(٤٢) Marchat , op . cit, pp. 84 – 85.

(٤٣)يحيى، المغرب الكبير، جــ٣، ص ص ١٠٠٠ ــ ١٠٠٢؛ وكذلك: عبد الكريم، ص ص٧٨ ــ ٨٠.

(٤٤)فارس، تنظيم الحماية الفرنسية، ص١٢٢؛ البوعياشي، المصدر السابق، جـــ٢، ص ص ٤٠٩ ــ ٤١٠.

(٤٥) Times, 1, 5, Aug. 1925.

(٤٦) Brignon , op. cit, p. 390.

(٤٧) سعيد، ثورات العرب، ص٢١٠.

(٤٨) جريدة السعادة، ٢٧ آب ــ أغسطس ــ ١٩٢٥.

(٤٩) لاندو، تاريخ المغرب، ص١٥٥، يحيى، المغــــرب الكبـير، جـــ٣، ص١٠١٣، وصلت القوات الفرنسية في هذه الفترة الى (٦٠) الف جنــــدي اضافـــة الـــى القـــوات المغربية العاملة بها،

وانظر:

Vencent Monteil : La guerre revolutionnair , (Gulien), p. 151.

(٥٠) القاضي، المصدر السابق، ص٢٠٣.

(٥١) واعترف المارشال ليوتي بدور هؤلاء عندما صرح لصحيفة لونون قـــائلاً: "هــذه الوحدة ــ وحدة الكولونيل سويني ــ التي تتميز بروح التفاني والقيمة العليا لاعضائــها، وقد قامت يومياً بالمهام الصعبة مهام الارتباط والاستكشاف والقصف حتى انها حققـــت خلال ستة أسابيع ٩٥٠ عملية حربية وألقت (٤٠) طناً من القنابل".

Abdelhak Harouchi : Les Etats – Unis Face a La republique du Rif , pp. 371 – 372, (Julien)

(٥٢) القاضي، المصدر السابق، ص ص ٢٠٣ ــ ٢٠٤؛ العمري، المصـــدر الســابق، ص٨٩؛ يحيى؛ المغرب الكبير، جــ٣، ص١٠١٠.

(٥٣) جريدة السعادة، ٦ تشرين أول ــ اكتوبر ــ ١٩٢٥.

(٥٤) العمري، المصدر السابق، ص٨٩؛ الجمل، المصدر السابق، ص٣٥٦.

(٥٥) سعيد، ثورات العرب، ص ص٢١٢ ــ ٢١٣.

(٥٦) اللوه، المصدر السابق، ص٢٩٦.

(٥٧) ابو النصر، المصدر السابق، ص١٨٢؛ جريدة السعادة، ١٧ جانفير: ١٩٢٥.

(٥٨) Bidwill , op. cit, pp. 140 – 145.

(٥٩) صبحي، تاريخ شمال افريقيا، ص١٣٣، الجندي، العالم الاسلامي، ص١٨٩، جريدة السعادة، ١٦ كانون الأول ــ ديسمبر ــ ١٩٢٤، ستودارد، المصدر السابق، جـ٣، ص٢٠٤، ابو النصر، المصدر السابق، ص٢١٤، ٢٣١، رابطة الدفاع عن مراكش، مراكش

في معركة الحرية، ص٢٩.

(٦٠) البوعياشي، المصدر السابق، جـ٢، ص٤٤٢ ــ ٤٤٥.

(٦١) سعيد، ثورات العرب، ص٢١٤.

(٦٢) اللوه، المصدر السابق، ص٢٩٨.

(٦٣) سعيد، ثورات العرب، ص٢١٥.

(٦٤) اللوه، المصدر السابق، ص٢٩٨، القاضي، المصدر السابق، ص٢١٢.

الفاسي، حماية اسبانيا، ص٤٧.

(٦٥) البوعياشي، المصدر السابق، ص٢١٢، الفاسي، حماية اسبانيا، ص٤٧. عسه، المصدر السابق، ص ص ١٧٨ ــ ١٧٩، سعيد، المصدر نفسه، ص٢١٦، وأشار Monteil الى أن القوات الفرنسية بلغت في هذه الفترة ٣٢٥ الف جندي نظامي، و٤٠ الف جندي ملحق و٦٦ جنرالا مع المارشال بينان ومدفعين كبيرين و٤٤ وحدة طيران وكل هذه الارقام قدمت في ١ حزيران ــ يونيو ــ ١٩٥٦ من على منبر البرلمان، ولم يتم تكذيبها، انظر:

Monteil, op. cit. P. 151.

(٦٦) القاضي، المصدر السابق، ص٢١٣ ــ ٢١٤.

(٦٧) القاضي، المصدر نفسه، ص٢١٥.

(٦٨) ابو النصر، المصدر السابق، ص٢٣٤.

(٦٩) اللوه، المصدر السابق، ص٢٩٩ ــ ٣٠٠.

في أيلول ــ سبتمبر ــ عام ١٩٢٦ نفي الأمير وعائلته الى جزيرة ينيــون فــي شرق مدغشقر في المحيط الهندي وقد كانت مستعمرة فرنسية، وبقي هناك اكــثر مــن (٢٠) عاماً، وفي عام ١٩٤٧ سمحت له الحكومة الفرنسية بالاقامة في فرنسا وأثنــاء وصوله الى بور سعيد نزل الأمير وعائلته الى مصر، وطلب اللجــوء اليــها فأكرمتــه وواصل نضاله السياسي من خلال ترأسه للجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة وبقــي في مصر حتى وفاته في ٦ شباط ــ فبراير ــ ١٩٦٣، فدفن في القاهرة.

(٧٠) جريدة الاستقلال (العراقية)، ١١، ٢٣، ٢٥ آب ــ أغسطس ــ ١٩٢٦، جريــدة الاستقلال (العراقية)، ١٥، ٢٦، أيلول ــ سبتمبر، ١٨ تشرين أول ــ اكتوبر ــ ١٩٢٦، الريسوني، ابطال صنعوا التاريخ، ص ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧، البوعياشي، المصدر السابق، جــ٢، ص ص ٤٥٩ ــ ٤٦١، اللــوه، المصــدر الســابق، ص ص ٣٠٠ ــ ٣٠١، الريسوني، المصدر السابق، ص ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧، فارس، تنظيم الحماية الفرنســية، ص١٢٦، رابطة الدفاع عن مراكش، مراكش تحت النفوذ الاسباني، ص١٦ ــ ١٧.

الملحق

الملحق (١)

مراسلات ورسائل بين الزعيمين
الخطابي والريسوني

أ ـ جواب هام من الزعيم الريسوني الى الزعيم الخطابي:

"احباءنا في الله، اخواننا المجاهدين في سبيل الله، الفارس الأنجد والمجاهد المحنك، الطالب محمد ابن المرحوم بكرم الله الفقيه العلامة السيد عبد الكريم الخطابي، وكافة أعيان محلتكم السعيدة الموقرة عموماً وخصوصاً.

وفقكم الله وأعانكم وهداكم لصالح الأعمال وأرشدكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد، فقد وصل كتابكم صحبة ابن العم السيد عبد الرحمان وسطرتموه في قبيلة بني رزين، وأخبرنا المذكور بأنه قد فارق محلتكم مخيمة ببني خالد، وأنتم على نية أن تدخلوا لقبيلة الأخماس بقصد حصار العدو بمدينة شفشاون حسبما أشرتم في كتابكم، وأكدتم فيه على أن نقوم على ساق في تسيير الاستعداد واصلاح ذات البين وتحريضهم على الجهاد ابتغاء لخير المعاد، وعلى أن نوجه

لكم عشرين خزانة ليستقر فيها رجال محلتكم لكون فصل الشتاء قابلا بالبرد والمطر. واستشرتمونا على أن نعرفكم بالخطة الحربية والسياسية التي يجب اتباعها في هذه القبائل الجبلية وبأن نكون واثقين بالعلائق الودية والسياسية التي تجمعنا معكم الخ.

ماسطرتموه فقد صرنا من الجميع ببال وعليه، فاما اعلامكم بالقدوم فقد أدخلتم علينا به فرحا وسرورا كثيرا مما لا مزيد عليه، فأهلا ومرحبا بكم ترحيبا يقوم بواجبات الشكر لكم عن نهضتكم الحسنة وأعمالكم المستحسنة العائدة على قطركم بالسعادة بتطهيره من دنس الكفر والشرك. وأما قولكم على الاجتهاد في تحريض القبائل فاوتاالله لقد أحرزتم قصبة السبق وغنمتم سعادة الدارين فهنيئا لكم على عملكم الصالح في بدايتكم ونهايتكم بهذه الحسنة لقوله ﷺ ((من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة. ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة))، سيما وقد قصدتم بمهمتكم العالية وعزيمتكم السامية تطهير هذا القطر الجبلي الملحوظ بشرف حرم القطب الكامل مولانا عبد السلام. أعاد الله على جميع المسلمين من بركاته، ولا شك في كون عملكم الصالح نافعا بفضل الله في جميع المواطن لقوله تعالى: "ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * وان تشكروه يزككم ويرفع مكانكم".

من ذلك هو عملنا ودأبنا من قبل الى الآن تقبل الله. ولازلنا على تلك السنة حتى يفتح الله بتطهير وطننا مثل وطنكم بفضله سبحانه وكرمه لاحرمنا الله ذلك، انه ولي ماهنالك.

وأما الخزائن التي طلبتم فسترد عليكم بحول الله حين تحلون بالمحل الذي تختارونه لتخييمكم، وحتى ان لم تحصل لكم الكفاية بذلك القدر الذي ذكرتم فاننا

نزيدكم عليه. ولما يقع لها التلاشي تجددها لكم بحول الله لأننا نسينا أنفسنا ومالنا لله ابتغاء مرضاته، تقبل الله.

وأما طلب الاشارة منا عليكم بالخطة الحربية والسياسية التي يجب اتباعها فان الطريقة الوحيدة والمصلحة العمومية النافعة التي ظهرت لنا بل تعينت في ضميرنا ويقين علمنا ومعرفتنا بعوائد أهل وطننا ـ كما قيل: "أهل مكة أدرى بشعابها" هو أن ترجعوا عزمكم في الدخول لقبيلة الأخماس بقصد الحصار على مدينة شفشاون كما ذكرتكم في كتابكم، وانما الواجب أن يكون دخولكم لقبيلة غمارة، وتخيمون أولاً على القشلة الواقعة بمرسى تجساس، وبعدها تغنمونها بحول الله يكون رباطكم على قشلة مرسى اسراس، وبعدها تغنمونها كذلك يكون رباطكم على القشلة الواقعة بواد لو في قبيلة بني سعيد، وبعد ذلك يكون تخييمكم بالقلعة ببني سجيل، وهناك نقدم عليكم بحول الله لملاقاتكم، وما أخرنا على القدوم عليكم الآن الا سبب العلل والمرض الذي ألم بنا نسأل الله العافية لنا ولكم ولجميع المسلمين آمين.

لكن وجب أن نطلعكم على الاسباب والعلل التي اقتضى الحال اتباع تلك الخطة المشار بها اعلاه لتكونوا منها على بال فتطمئن قلوبكم عند العلم بها.

هذا ثم يضيف في جوابه الهام جداً قائلاً:

وأما حصار المدينة على طريق قبيلة الأخماس التي في بلادهم فانها خاصة مصلحتها بالمدينة، وربما تطول مدة الحصار على المدينة بغير نتيجة ولا جدوى، وتدعوكم الضرورة الى تجديد حصار المدينة على الطرق التي ذكرنا لكم ولابد

لذلك من أيام أخرى في تلك الفسحة تظهر للعدو خطة في مقاومة مجهوداتنا اجمعين نطلب الله من فضله أن يجعل تدميره في تدبيره بجاه من له الجاه.

واما قبيلة بني حزمر فهي تابعة لعمل بني سعيد وبني حسان لكونها مجاورة لهما، وجبلهم واحد، متصل رابط بينهم وحيثما يقع انقلاب بني حزمر فذلك هو حصار مدينة تطوان بنفسها لكون جبل بني حزمر المذكور مشرفا عليها، وهي مبسوطة في حجره، وأجنة المدينة متصلة مع اجنتهم.

وأما القبائل غير هؤلاء المذكورين بانهم ينتظرون مايسمعون عن اعمالكم مع تلك القبائل. وان حصلت نتيجة في اعمالكم بتلك الناحية فانهم ينقلبون من حينهم، وعندها الاتفاق مع كبرائهن على ذلك العمل. نطلب الله التيسير والظفر بالأعداء هنا وهناك، انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير.

ومما وجب للتنبيه عليه لتلفتوا أنظاركم اليه هو أن خبر قدومكم بعددكم وعدتكم قد أوقع الخوف والرعب في قلوب العدو وجيوشه، وصار العدو يدفع دراهم كثيرة للناس المتحاشين لجانبهم، التابعين لسياستهم لاغرائهم على تعكير اعمالكم وافساد سياستكم وعملكم.

وجل أفكار العدو منصرفة لناحية غمارة حيث أن حل الزعماء التي فيها درقاوة وغيرهم متحاشين لجانب العدو. وهناك أمور وغرائب أخرى يطول شرحها. ولأجل ذلك نبهناكم على أن تقدموا اعمالكم في قبيللة غمارة، وأن لاتسمعوا لكلام احد يخالف ما أشرنا عليكم، فان كل من يشير عليكم بخلاف ذلك العمل فهو اما جاهل بالأمور والعواقب واما حسود أو شيطان اغراه العدو بالدراهم وجل قبيلة غمارة مشهورة بحب الطمع اكثر من غيرهم. واشارتنا هي الطريقة النافعة لأهل هذا القطر الجبلي كله حسبما شرحناه لكم اعلاه.

وهذه نصيحة منا اليكم صادرة عن صدق نية واخلاص صحيح لقولـــهﷺ : ((الدين النصيحة)) لله ولرسوله ولعامة المؤمنين وخاصتهم، وقد قدمناها لكـــم مشفوعة ببركة القطب الكامل وناشئة عن حرمه المبارك. وبعثناها عارا واحتراماً منكم فعساكم أن لا تخالفوا اشارتنا بل تقتفون اثرها. وان بقي لكم غمـــوض فـــي وجه وعمل من تلك الاشارة فعرفونا بتلك الاشارة فعرفونـــا بتلـــك النقـــط التـــي اشكلت عليكم لنشرح لكم تفصيل المجمل منها. وما يضرنا مساعدتكم علـــى رأى حصار شفشاون ببلاد الأخماس وانما يهمنا ويقلق بالنا هو انكم لما تتبعون تلـــك الطريق فتقيموا عليها عدداً من الأيام ويخرج حصاركم بغير جـــدوى كبـــيرة ولا مهمة فتدفعكم الضرورة الى الرجوع لطريق اشارتنا. ولأجل ذلك، يجـــب تقديـــم العمل على نهجها واتباع طريقها لئلا يصعب تداركها بقوات ابانها ســـيما كـــون العدو في غاية التفكر يترقب مايسمع عن عملكم الأول في هذا القطر ليبني عليـــه قواعد حربه معنا ومعكم في هذه الناحية. ولذلك مرادنا ان تكـــون البدايـــة علـــى أحسن مايرام من الاعتبار والتفكر في عواقب الأمور.

نطلب الله من فضله أن يوفقنا واياكم وجميع المسلمين وأن يعيننا وياكم على مافيه خير البلاد والعباد، وأن يدخر لنا أجر ذلك الى يوم المعاد بجاه أفضل العباد ﷺ وبه وجب الاعلام والسلام.

في ١٤ صفر الخير عام ١٣٤٠هـ (موافق ١٧ ــ ١٠ ــ ١٩٢١)

احمد بن محمد الريسوني

....

ب ـ من الزعيم احمد محمد الريسوني الى الزعيم محمد عبد الكريم الخطابي

١٠ ربيع الثاني ١٣٤١ هـ / ٢٠ نوفمبر ١٩٢٢م:

"صحبنا الأمجد، الفقيه الأسعد، الفارس الأنجد، السيد محمد بن عبد الكريم أمنك الله وسلام عليكم، ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، فبناء على ماكان تقدم بيننا وبينك كتابة ومراسلة، قد حدث عندنا أمر جديد وجب اعلامك به فقد انتخبنا صاحبنا حامله الحاج محمد بومغيث الطنجوي لما له من المعرفة بطرق تلك الناحية ـ وعندنا فيه الثقة التامة لما سلف بيننا معه من المذاكرة في امور عديدة ومهمة لأنه موصوف عندنا بالصدق وكتمان الاسرار فلذلك انتخبناه لقضاء هذا الغرض بالمشافهة بما عرفناه به وأمرناه بتبليغه اليك لتجيبه على مقتضاه بالمشافهة أيضا.

نعم فان كان عندك أحد من أصدقائك وخاصة أحبائك وظهر لك بأن توجهه الينا في رفقة الحامل لقصد أن نتشافه معه أيضا ويرجعون اليك بحيث تعين أنت واحدا من جانبكم يكون يترافق مع الحامل ذهابا وايابا حتى تتم مراسلات المفاوضة في الأمور الحادثة جديدا فهو أولى. وان لم يكن عندك توجيه أحد من جنابكم فأجب الحامل مشافهة على مايخاطبك به بالنيابة على لساننا ولابد والسلام

في ١٠ ربيع الثاني عام ١٣٤١هـ ـ (٢٠ نوفمبر ـ ١٩٢٢)

احمد بن محمد الريسوني

المحتوى

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة



وزارة الثقافة

دار الشؤون الثقافية العامة ـ شركة عامة ـ بغداد ٢٠٠٢ ـ السعر ١٢٥٠ دينار

تصميم : نهلة محمد عبد الوهاب